غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الثاني والتسعون

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

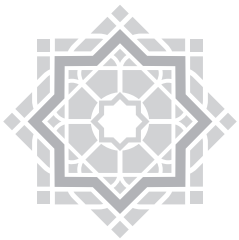

المِحْوَرُ الحَادِي عَشَر

خُطَبُ الجُمُعَةِ

١٨٢ خطب الشيخ القرضاوي ١٩

١٨٣ خطب الشيخ القرضاوي ٢٠

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحـور الحادي عشر

خطـب الجـمعة

١٨٢

خطب الشيخ القرضاوي

١٩

إعـــداد

المكتب العلمي للشيخ

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٤].

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عبد الله بن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**عُذِّبَت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض**». متفق عليه.

عن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذبيحته**». رواه مسلم.

عن حذيفة، عن النبي ﷺ قال: «**لا ينبغي لمسلم أن يذلَّ نفسه**». **قيل: وكيف يذل نفسه؟ قال:** «**يتعرض من البلاء لما لا يطيق**». رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١

أحاديث الفتن ومستقبل الإسلام(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حدث لي وأنا آتٍ إلى هنا، وأنا أركب الطائرة مع إخواني ومشايخي بالأمس أن جاء بعض الإخوة من مُضيفي الطائرة يسألون عن بعض الأشياء الَّتي تُهِمُّهم في دِينهم، وهذه من علامات الصحوة الإسلاميَّة ودلائلها، أنَّك حيثما ذهبتَ في كلِّ مكانٍ تجد من يسألك عن الإسلام، وعن أحكام الإسلام، وعن أمور الإسلام.

حتَّى بعض هؤلاء الفتيات من المُضِيفات اللَّاتي يراهنَّ الإنسانُ وهنَّ يلبسْنَ القصير، يسألْنَ في أشياءَ عن صومهنَّ وصلاتهنَّ، وماذا يفعلْنَ في الصلاة؟ وماذا يفعلْنَ في الصيام؟

هذا يدلُّ على أنَّ المسلمين في جملتهم بخير، وأنَّ الإسلام في هذه الأُمَّة عميق الجذور، ولا يمكن لقوَّة من القوى أن تطفئ هذه الشعلة الَّتي ستظلُّ مضيئةً أبدًا إلى ما شاء الله.

(١) ألقيت في ألمانيا على هامش فعاليات مؤتمر: الحقوق والحريَّات في العالم الإسلامي، في ثمانينيات القرن العشرين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أحاديث آخر الزمان:

كان من الأسئلة الَّتي طرحها هؤلاء الإخوة المضيفون أنَّهم يقرؤون مع شيخٍ لهم في صحيح البخاري وفي كتاب الفتن، وممَّا قرؤوه فهموا أنَّه لا فائدة من العمل، ولا فائدة مـــن محاولة الإصلاح والتغيير، فنحن في آخر الزمان، فسدت الدُّنيا، وفســـد النَّاس، وفسد الزمان، ولا ينتقل النَّاس إلَّا من سيِّئ إلى أســـوأ، ومن الأسوأ إلى الأشدِّ سوءًا، حتَّى تقوم الساعة على لُكع بن لُكع، أو كافر ابن كافر. هكذا تصوَّروا!

وقال الأخ الســـائل: لقد قرأنا حديث حُذَيْفة بن اليَمَـــانِ: كان النَّاس يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يُدْرِكَني، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنَّا كُنَّا في جاهليَّة وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم**». قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**». قلـــتُ: وما دخنُه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هَدْيِي، تعرف منهم وتُنكر**». قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم، دعاةٌ إلى أبـــواب جهنَّم، من أجابهـــم إليها قذفوه فيها**». قلتُ: يا رســـولَ الله، صِفْهم لنا؟ فقال: «**هم من جِلْدَتِنا، ويتكلَّمون بألسنتنا**». قلتُ: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعةَ المســـلمين وإمامَهم**». قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال «**فاعتـــزلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تعضَّ بأصل شـــجرة، حتَّى يدركك الموتُ وأنت على ذلك**»[1]. ففهم الأخ من شيخه هذا أنَّ الشرَّ سيغلب، والخير سينهزم أمام الشرِّ، وأنَّ عليه أن يعتزل كلَّ الجماعات وكلَّ الفرق الَّتي في الســـاحة، ويعَضَّ على جذع شـــجرة حتَّى تقوم الساعة، هكذا تُفهم أحاديث الفتن!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهم مخالف للواقع:

وحديث آخر عن أنس: «**لا يأتي عليكم زمان إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه**». سمعته من نبيِّكم[١]. ففهموا من هذا الحديث الإطلاق والعموم، أنَّه لا يكون زمان إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه بإطلاق، وهذا مخالفٌ للواقع؛ فكم من أزمنة جاء فيها الخير بعد شرٍّ، وجاء فيها صلاح بعد فساد، وجاء فيها عدلٌ بعد ظلم، ولو لم يكن إلَّا زمن عمر بن عبد العزيز الَّذي جاء بعد الحجاج وجبروته وظلمه، فملأ الأرض عدلًا بعد مُلئت جورًا حتَّى قال بعضهم: إنَّه هو المهدي المنتظر. وهو خامس الراشدين بإجماع علماء الأمة، لو لم يكن إلَّا عهد عمر بن عبد العزيز لكان كافيًا على نفي الإطلاق.

وهناك فترات كثيرة حدثت فيها إضاءة بعد إظلام، وإصلاح بعد إفساد: عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، هؤلاء الَّذين وقفوا أمام الصليبيَّة الغربيَّة وردوها مدحورة على أعقابها، وانتصروا للإسلام، وعاد الإسلام خافق الرايات، وعاد المسجد الأقصى بعد أن ظلَّ أسيرًا تسعين سنة في أيدي الصليبيين، هذه الفترات كيف ننكرها؟! ولذلك هذه الأحاديث تُفهم خطأ.

الحديث كما ذهب إليه بعض المحققين من الشراح هو خطاب خاص للصحابة الَّذين خاطبهم النبي ﷺ، وإن فهم أنس رضي الله عنه العموم، ففهمه ليس حجة على جميع المسلمين.

(١) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وهـذا الحديث نفسـه ينافي الأحاديـث الأخرى الَّتي جـاءت بأنَّ للإسـلام دولة آخر الزمان، وأنَّه سـيأتي المهدي، وسـيأتي المسـيح، وسـيأتي كذا، فكيف ندع النصوص يضرب بعضها بعضًـا؟ الواقع أنَّ أحاديث الفتن يسيء كثير من النَّاس فهمها.

فترات وموجات:

كنت في مناقشـة أيضًا مع بعض النَّاس حول حديث: «**بدأ الإسلام غريبًا وسـيعود غريبًا كما بدأ**»[١]. فإذا كان الإسـلام فـي غربة فلماذا العمل؟ ولماذا الجهاد؟ ولماذا كل هذه الجهود؟ هكذا يريدوا أن يفهموا أحاديث الرسول ﷺ!

والإسـلام بدأ غريبًا، وسـيعود غريبًا، وسـتزول غربتـه، هي فترات وموجات، تذهب موجة، وتأتي موجة، لم يقل النبيُّ ﷺ: إنَّ الإسلام سيظلُّ غريبًا إلى أن تقوم السـاعة. وكما يقول الإمام ابن القَيِّم: قد تكون غُربة في بلدٍ دون بلد، وفي زمنٍ دون زمن، وعنـد قومٍ دون آخرين، وفي حال دون حال، ليسـت غربة عامَّة ولا دائمة ولا شـاملة[٢]. هذا هو الواقع، الإسلام لا تغيب شمسه أبدًا، قد تغيب في جزء من العالم لتطلع في عالم آخر.

سقط المسلمون في الأندلس جزاء أعمالهم واختلافهم، وإعراضهم عن الإسلام؛ ولكن شـمس الإسـلام طلعت في نفس الوقت هناك في المشرق بفتح القسـطنطينيَّة، وانتصار العثمانيين، وهكذا، وفي عصرنا نرى هذا بوضوح، فليس الأمر كما يظن هؤلاء الناس.

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: مدارج السـالكين لابن القيم (١٩٦/٣)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

النبيُّ ﷺ لا يُثَبِّط أُمَّته:

ولا يُعقل أو يُتَصَوَّر أن يقول النبيُّ ﷺ حديثًا أو أحاديث تُثَبِّط النَّاس أن يعملوا لدينهم، ويجاهدوا من أجل إعلاء كلمته ورفع رايته، لا يُتصوَّر هذا لأنَّ المسلم مُطالَب بأحكام الإسلام إلى أن يلفظ آخر أنفاسه، وإلى أن تلفظ الحياة آخر أنفاسها، ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، والإنسان يعبد ربَّه بعمل الصالحات، وبالتواصي بالحقِّ وبالتواصي بالصبر، وبالدعوة إلى الله، وبالدعوة إلى الخير، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالجهاد في سبيل الله. هو مُطالَب بكلِّ هذه الأحكام: أن يُقِيمها في نفسه، وفيمن يقدر عليه ممَّا حوله ومن حوله.

لا يُتصور أن يُثَبِّط النبيُّ ﷺ المسلمين عن العمل، وهو الَّذي يقول في أمور الدُّنْيا في الحديث الَّذي رواه البخاري في الأدب المفرد، ورواه الإمام أحمد، وصحَّحه العلماء الثقات: «**إنْ قامت الساعةُ وفي يد أحدِكم فسيلةٌ** ـ نخلة صغيرة أو شتلة ـ **فإن استطاع ألَّا تقوم** ـ أي الساعة ـ **حتَّى يغرسَها فلْيَغْرِسها**»[(١)].

لماذا يغرسها وهو لا يأكل منها، وليس هناك جيل بعده يأكل منها؟ ليس الأمر كما قال ذلك الشيخ، الَّذي انحنى ظهره، واشتعل رأسه شيبًا، وهو يغرس شجرة الزيتون، فقيل له: لماذا تغرس وأنت على حافة القبر؟ قال: غرس لنا من قبلنا فأكلنا، ونغرس ليأكل من بعدنا.

هنا الأمر ليس كذلك؛ لأنَّ الساعة قائمة، وإسرافيل يمسك في

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الصور لينفخ فيه لينهدَّ هذا العالم، وينهدم هذا السرادق بما فيه، لماذا يغرس إذن؟ هذا إشارة إلى أنَّ الإنسان المسلم منتج عامل معطاء، لا يترك العمل، ولا يكف يده عنه ما دام في الحياة رمق، ما دام هناك نَفَس يتردد، حتَّى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، هو تكريم للعمل لذات العمل، العمل في ذاته عبادة، فهو يتعبد لله بالعمل والغرس، ولو لم يأكل من ثمرته أحد.

إذا كان النبي ﷺ يقول هذا في أمور الدنيا: أن اغرس ولو كانت الساعة قائمة، «**إن استطاع ألَّا تقوم** ـ أي الساعة ـ **حتَّى يغرسها فليَغْرِسْها**». فهل يُعقل في أمر الإسلام، وفي الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الجهاد، وفي الإصلاح: أن يقول: فسد الزمان؛ فدع كل شيء على ما هو عليه؟!

إساءة فهم أحاديث الفتن:

إنَّ فهم أحاديث الفتن بهذه الطريقة فهمٌ يسيء إلى الإسلام، وفهم يقعد النَّاس عن العمل وعن الجهاد الواجب، ولماذا يفهم النَّاس الأمر كذلك؟ الحديث يقول: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[(١)]. ثمَّ جاءت روايات تفسر الغرباء: قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**الذين يُصلحون ما أفسد النَّاس من سُنَّتي، ويُحْيُون ما أمات النَّاس من سُنَّتي**»[(٢)]. الغرباء ـ إذن ـ قومٌ إيجابيُّون بنَّاؤون، ليسوا جماعة من الدراويش، ولا جماعة من العاطلين، وإنَّما هم يعملون،

(١) سبق تخريجه صـ١٠.

(٢) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠)، وقال: حديث حسن. والطبراني (١٦/١٧)، عن عمرو بن عوف المزني.

QaradawiBooks.com

يصلحون ما أفسده الزمان، ويُحْيون ما أماته النَّاس من السنن والآداب والمعالم، هذا هو الَّذي ينبغي أن تُفهم في ضوئه الأحاديث النَّبويَّة.

الأحاديث المُبَشِّرات:

ويذكر النَّاس هذه الأحاديث وينسون الأحاديث الأخرى المُبَشِّرات الَّتي جاءت عن النبيِّ ﷺ، وهي كثيرة، تدلُّ على أنَّ دين الإسلام سينتشر، ودولة الإسلام ستتسع، وأُمَّة الإسلام ستَعِزُّ وتنتصر.

جاء الحديث الَّذي رواه ابن حِبَّان في صحيحه: «**ليبلغنَّ هذا الدينُ ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت مدرٍ أو وَبَرٍ** ـ في البادية أو الحضر ـ **إلَّا أدخله اللهُ هذا الدينَ؛ بعِزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليل، عزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلام، وذلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكفر**»[(١)].

وهذا هو المطابق لما جاء في القرآن الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]. على كل الأديان، صحيح انتصر الإسلام من قبل، وغلب على أكثر الأديان، اليهوديَّة والنصرانيَّة والمجوسية، ولكن بقيت الهندوسيَّة والبوذيَّة أو الكونفشيوسيَّة، والأديان الوثنيَّة في بلاد شتَّى، ولكن نحن نؤمن أنَّ هذا الوعد الإلٰهي في القرآن سيقع لا محالة، وهو مذكور في ثلاث آيات في كتاب الله، في سورة التوبة، وفي سورة الصف، وفي سورة الفتح، فظهور الإسلام على الدين كله حقيقة نؤمن بها، سينتصر الدين الإسلامي باعتباره دينًا.

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

ثم سينتصر الإسلام باعتباره دولة، وفي الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله زوَى لي الأرض، فأُريتُ مشارقها ومغاربها؛ وإن مُلْك أُمَّتي سيبلغ ما زُوِيَ لي منها**»[١]. الحديث الأوَّل يدل على اتِّساع الدِّين، وهذا الحديث يدلُّ على اتساع الدولة.

وجاء الحديث الآخر أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**تكون النُّبُوةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون خلافةٌ على منهاج النبوَّة؛ فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون ملكًا عاضًّا؛ فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون مُلكًا جبريًّا؛ فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون خلافةٌ على منهاج النبوَّة**». ثمَّ سكت[٢]. تكون النهاية خلافة على منهاج النبوة، وهذا ما نرجوه، ونسعى إليه ونعمل له.

لماذا لا تُذكر هذه الأحاديث المُبَشِّرة عن رسول الله ﷺ؟!

فتح القسطنطينيَّة ثمَّ رُوميَّة:

لقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي قبيل ـ وهو راوٍ ثقة من التابعين ـ قال: كُنَّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، فجاءه رجل يسأله: أي المدينتين تُفتح أوَّلًا: روميَّة أم القسطنطينيَّة؟ فأخرج عبد الله صندوقًا له حِلَق، وفتح الصندوق، وأخرج منه صحيفة وقرأ فيها، وكان عبد الله له

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥)، عن ثوبان.

(٢) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبزار (٢٧٩٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٦٠): رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وقال الحافظ العراقي في محجة القرب إلى محبة العرب صـ١٧٦، ١٧٧: هذا حديث صحيح. نشر دار العاصمة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م. عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

صحيفة تُعرف بالصادقة، كما قال أبو هريرة: كان يكتب ولا أكتب[١].
فقرأ فيها: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سُئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفتح أوَّلًا؟ وكأنَّ الصحابة كانوا قد سمعوا من البشائر أن تلك المدينتين ستفتح، ولكن الَّذي يسأل يريد أن يعرف أولهما فتحًا: قسطنطينيَّة أو روميَّة؟ روميَّة: هي كما يقول ياقوت في معجم البلدان[٢] ما نُسَمِّيها الآن (روما) عاصمة إيطاليا. وقسطنطينيَّة: هي الَّتي نسميها الآن (إستانبول)، كانت في ذلك الوقت مقرَّ الإمبراطوريَّة الرومانيَّة البيزنطية، وعاصمة لها، فماذا كان جواب النبي ﷺ؟ قال: «**مدينة هرقل تفتح أوَّلًا**»[٣]. وهي القسطنطينيَّة.

وقد فُتحت القسطنطينيَّة، حاول الصحابة أن يفتحوها، واستشهد على أبوابها أبو أيُّوب الأنصاري، إخواننا الأتراك والَّذين ذهبوا إلى إستانبول يعرف أنَّ هناك حيًّا اسمه (حي أيُّوب)، وفيه مسجد وقبر لأبي أيُّوب الأنصاري كما يزعمون، هو يقينًا استشهد على أسوار القسطنطينيَّة، ولكنَّ الصحابة لم يستطيعوا أن يفتحوا القسطنطينيَّة.

ادَّخر الله تعالى هذا الفضل لأحد فتيان المسلمين، ذلك الفتى العثماني ابن الثالثة والعشرين: مُحَمَّد بن مُراد، الَّذي يُعرف في التاريخ باسم مُحَمَّد الفاتح، قرأ في كتب الحديث في (مستدرك الحاكم) وغيره هذا الحديث، الَّذي يقرؤه من ذهب إلى جامع الفاتح هناك في إستانبول

(١) رواه البخاري في العلم (١١٣).
(٢) معجم البلدان (١٠٠/٣)، نشر دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
(٣) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير أبي قبيل وهو ثقة. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤).

QaradawiBooks.com

على باب الجامع: «**لتُفتحن القسطنطينيَّة، فلنعم الأميرُ أميرُها، ولنعم الجيشُ ذلك الجيش**»[١]. قرأ هذا الحديث فتاقت نفسه، وبعض النَّاس لهم أنفس تواقة إلى المعالي، تاقت نفسه أن يكون هو ذلك الأمير، وأن يكون جيشه ذلك الجيش، وفكَّر ورتَّب حين آل الأمر إليه، وظل يضع الخطط ويعدها إلى أن كتب الله الفتح على يديه، ودخل القسطنطينيَّة في ذلك الوقت سنة (١٤٥٣م ـ ٨٥٧هـ).

فُتحت القسطنطينيَّة، وبقي إذن أن تُفتح روميَّة، ورومية تعني الفاتيكان، ومعنى هذا أنَّ الإسلام سيدخل إلى أوروبا مرَّة أخرى بعد أن أُخرج منها مرَّتين، أُخرج منها من الأندلس، وأُخرج منها بعد أن طرق أبواب فِيينَّا عدَّة مرَّات.

سيعود الإسلام فاتحًا، وما قاله لكم الشيخ الغزالي اليوم قلته أيضًا للإخوة في الجزائر، قلت لهم: إنَّ الإسلام سيعود إلى أوروبا، قد يعود على أيديكم أنتم، كما دخل الإسلام أوروبا على يد طارق بن زياد قديمًا، يدخل على أيديكم الآن، يفتح الإسلام أوروبا مجددًا.

حاجة العالم إلى الإسلام:

وفي اعتقادي أنَّ الفتح القادم ليس فتح سيف، ولكنَّه فتح دعوةٍ وفكر، لن نحتاج إلى الجيوش هذه المرة، وإنَّما نحتاج إلى الدُّعاة، نحن نعلم أن هذا الغرب الَّذي استطاع أن يصل إلى القمر لم يسعد

(١) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الخثعمي.

QaradawiBooks.com

الإنسان على ظهر الأرض، هذه الحضارة على ما وصلت إليه استطاعت أن تصنع الكثير، ولكنها لم تستطع أن تصنع السعادة للإنسان، عرفت الوسائل والآلات، ولكنها لم تصل الإنسان بالمقاصد والغايات، لم يعرف الإنسان لماذا يعيش إلى الآن؟! ما هدفه وما رسالته؟!

ما نراه من ثورات الشباب من مرضى القلق العصري، من العيادات النفسية المنتشرة تدل على أن هذه الحضارة تشكو من خواء روحي، تشكو من أمراض ذاتية، هذه الحضارة ينقصها شيء، (الهيبيز) من الشباب الَّذين يقولون عنهم، هؤلاء الشباب الَّذين تركوا الحضارة والأزرار الأتوماتيكية، وعاشوا حياة بُوهِيمِيَّة متجرِّدة، هم ثاروا على الحضارة، ولكن لم يعرفوا طريقًا آخر، عرفوا أنَّ هذا شيئًا لم يملأ فراغهم النفسي، ولم يشبع نهمهم الروحي، ولم يحقق لهم السكينة والطمأنينة، ولكنَّهم يحتاجون إلى شيء كان المفروض أن نقدمه نحن المسلمين، ولكننا لم نستطع أن نفعل هذا إلى الآن كما ينبغي، نفعله بشكل جزئي بسيط جدًّا.

جهاد الدعوة:

إنَّنا في حاجة إلى جهاد كبير، وقد سمى الله تعالى الجهاد بالدعوة والتبليغ (جِهَادًا كَبِيرًا)، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. أي جاهدهم بالقرآن، فنحن في حاجة إلى جهاد كبير بالقرآن الكريم؛ لنبلغ صوت القرآن إلى الأمم، إنَّ كثيرًا من النَّاس في العالم لا يعرفون عن الإسلام شيئًا، وبعض النَّاس يعرفون عن الإسلام صورًا شائهة، لم نستطع أن نصحِّحها إلى اليوم!

QaradawiBooks.com

يا له من دِين لو كان له رجال:

سـرَّني اليوم ونحن في الأكاديميَّة الإسـلاميَّة: العمل الَّذي تقوم به الأكاديميَّة، لتصحيح الإسـلام عند الغربيِّين، وخصوصًـا في المناهج الدراسية والكتب المدرسيَّة، هذا عمل جادٌّ، نحن محتاجون إلى أعمال جادة في مسـتويات شـتَّى وعلى أصعدة شـتَّى، هذا كلُّه مـن الجهاد المطلوب منَّا.

إنَّنا نأسف من أن بعض الشـباب يظنُّ أنَّنا محتاجون إلى أن يكون عندنا أسـلحة نوويَّة مثل ما عند القوم؛ حتَّى يمكن أن ننصر الإسـلام، لسـنا محتاجين إلى هذا، نحن محتاجون إلى رجال يحملون الإسـلام فكرة واضحة في رؤوسهم، وعقيدة راسخة في قلوبهم، وأخلاقًا موجهة لحياتهم، يحيون بالإسلام وللإسـلام، ويموتون على الإسلام، نحن في حاجة إلى هذا النوع من الرجال!

الرجل الأجنبي الَّذي درس الإسلام وأُعجب به، وقال كلمته المؤثِّرة، الَّتي يجب أن نحفظها ونعيها، ونرويها لإخواننا وأبنائنا وبناتنا، قال: يَا لَهُ من دِينٍ لو كان له رجال! مع أنَّ للإسـلام مليـارًا أو أكثر من مليار من البشر، لكن مَنْ مِن هؤلاء يُعتبر من رجال الإسلام، ومن أبناء الإسلام، ومن دعاة الإسلام؟! نحن في حاجة إلى هؤلاء الرجال.

اليهوديَّة وجدت لها رجالًا أقاموا لها دولة في قلب ديارنا، والنصرانيَّة وجدت لها رجالًا ينشرونها في العالم، ويُخَطِّطون لتنصير المسلمين في العالم، ويرصدون لذلك المليارات، ورأينا المبشِّـرين في أنحاء الأرض بالملايين، أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف مبشِّر ومبشِّرة، ينشرون ديانتهم في العالم، ورأينا الشُّـيُوعيِّين يدخلون السجون من أجل المبدأ

QaradawiBooks.com

الشيوعي، ويتحمَّلون المشقَّات والبلايا؛ أفلا نتحمَّل نحن المسلمين في سبيل إسلامنا، وفي سبيل قرآننا، وفي سبيل دعوة ربِّنا ما يفرضه علينا الواقع؟! هذا هو ما يجب علينا.

ونحن نعتقد أنَّ المستقبل أمام الإسلام مفتوح، وعندنا بشائر كثيرة، بشائر من القرآن، وبشائر من السنَّة، وبشائر من التاريخ، وبشائر من الواقع، وبشائر من سنن الله تعالى.

هكذا ينبغي أن نفهم أحاديث الفتن، وهكذا ينبغي أن نعمل للإسلام، حتَّى تعلو رايته، وتسود كلمته، وتعم رحمته العالمين، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجبْ لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢

عصر المآسي والبكاء[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كُنَّا بالأمس وأوَّل أمس في اجتماع الجمعيَّة العموميَّة، للهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة في الكويت الشقيقة، بعد أن حرَّرها الله تعالى من الغزو الغاشم، وأتيح لمؤسسي الهيئة بعد طول زمن أن يجتمعوا في لقائهم العام، ممثلون من كل دول العالم الإسلامي تقريبًا: من الشرق والغرب، والشمال والجنوب، من قارات الدُّنْيا الست، تحدَّثوا أو تحدَّث الكثير منهم عن المآسي الَّتي يعيشها المسلمون في عالم اليوم، مآسي الأمَّة الإسلاميَّة داخل العالم الإسلامي وخارجه، بعضها من صنع المسلمين أنفسهم، وبعضها من صنع أعداء المسلمين وما أكثرهم!

بعض هذه المآسي لا نستطيع أن نردَّها إلى أعداء الإسلام وحدهم وإن كان لهم يد فيها، فتش عن أعداء الإسلام في كل مصيبة تحل بالمسلمين، ولكن هذا لا يعفي المسلمين لأنَّهم كانوا فريسة لذلك، لماذا أصبح المسلمون دائمًا هم الَّذين يُمكر بهم ولا يمكرون بأحد؟

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، في ١٢ فبراير ١٩٩٣م.

غير مرخص للطباعة
نسخة معدلة

لماذا أصبحوا ضحايا لمخطَّطات أعداء الله ولا يخطِّطون هم لأنفسهم؟! بكينا كثيرًا على مآسي المسلمين، وحُقَّ لنا أن نبكي، فنحن في عصر البكاء.

آثار الصحوة الإسلامية:

كنا قد استبشرنا ببروز الصحوة الإسلاميَّة الَّتي أنشأ الله بها هذا الشباب وتلك الشابَّات من صُوَّام النهار، وقُوَّام الليل، وقُرَّاء القرآن والحديث، هذه الصحوة الَّتي ردَّت النَّاس إلى الإسلام ردًّا جميلًا، فأصبحت المساجد تمتلئ بالمُصَلِّين، وأصبحت مواسم الحجِّ والعمرة تمتلئ بالحجَّاج والمعتمرين، وأصبح الكتاب الإسلامي يُقرأ في كل مكان.

استبشرنا بهذه الصحوة، ولكن هذه الصحوة أزعجت أعداء الله، أقلقت القوى المعادية للإسلام، فحرَّكتها من سكون، ونبَّهتها من غفلة، فبدؤوا يتآمرون على الإسلام وصحوته، وأمَّته ودعوته، بدؤوا يتحرَّكون في كل مكان، وللأسف نجحوا كثيرًا.

ونجح الكثير من كيدهم ومكرهم، وبدأنا نسمع عن مآسي المسلمين. حتَّى ذلك الجهاد الَّذي كنا نتابعه بقلوبنا، وندعو له بألسنتنا، ونمده بأموالنا، ونبعث إليه بشبابنا، الجهاد الأفغاني، لم نقطف حتَّى اليوم ثمرته، ورأينا المجاهدين بالأمس يتقاتلون اليوم، يدمِّر بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، ألَّا تَقَرَّ أعينُنا يومًا بنصر نرى فيه الإسلام وقد ارتفعت رايته، وعلت كلمته، وقامت دولته، وحكمت شريعته، وسادت أمَّته، ألا نرى هذا اليوم حتَّى يفرح المسلمون بنصر الله؟!

يقول أعداء الله: ولكن المسلمين مسؤولون عن هذا أيضًا.

QaradawiBooks.com

تعاون أعداء الإسلام على أمة الإسلام:

تحدث الإخوة الَّذين شاركوا في هذا الاجتماع عن مآسي المسلمين في كل مكان، مآسٍ صنعتها الصليبيَّة العالميَّة، ومآسٍ صنعتها الوثنيَّة الشركيَّة، ومآسٍ صنعتها الصهيونيَّة اليهوديَّة، وكلهم أعداء الله، كلهم يتعاونون فيما بينهم على الإثم والعدوان، فالكفر كله ملَّة واحدة، وإنَّ الظالمين بعضهم أولياء بعض، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، لهذا نرى تحالفًا قد يكون سريًّا، وقد يكون علنيًّا بين هذه القوى كلِّها.

اعتداءات القوى الوثنية في الهند وكشمير:

نرى القوى الوثنيَّة المتربصة تفعل فعلها، الَّذين أشركوا، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]، عبَّاد الأوثان يفعلون بالمسلمين أفاعيلهم، نجد هؤلاء الَّذين هدموا مسجد (بابري) في الهند بعد خمسة قرون، ويُعِدُّون العُدَّة لآلاف المساجد الأخرى، قائمة بثلاثة آلاف مسجد يعدها المتعصبون الهندوس الَّذين خطَّطوا لهذا الأمر من قديم، وبدؤوا ينفذون خططهم، وما لهم لا يفعلون؟ هم يقولون: لا تخافوا المسلمين، لقد صُنع بالبوسنة ما صُنِع ولم يفعل المسلمون شيئًا، وقد صُنِع بفلسطين ما صُنِع ولم يفعل المسلمون شيئًا. وقد حدث ما حدث ولم يفعل المسلمون شيئًا، هذا هو الواقع، رحم الله المُتَنَبِّي حين قال:

ذلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيل بعَيْشٍ ... رُبَّ عَيْش أخفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ

مَن يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ عَلَيْهِ ... ما لجُرْحٍ بميتٍ إيلامُ[1]

(١) ديوان المتنبي صـ١٦٤، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

سهل الهوان علينا، هُنَّا على أنفسنا فهُنَّا بعد ذلك على أعدائنا، فأصبحت مساجدنا تُهدَّم ولا يغضب لذلك أحد، ولا يحمى لذلك أحد، الأمور على ما يرام مع الهندوس، الهندوس في بيوت كثيرة هنا يسوقون ويطبخون، ويخدمن ويربين، ولا يتحرج النَّاس، ليس هناك حميَّة إسلاميَّة، في عيد الهند أجد الصحف مليئة بتهنئات كثيرة، وما رأيت هذا حدث من قبل، هذه السنة بالذات هنَّأ المُهَنِّئون، وسارع المسارعون، كأنَّ إخوة لنا هناك لا ينالهم ما ينالهم!

وقام الإخوة الَّذين تحدَّثوا عن كشمير وما فيها من مصائب، ليست معي إحصائيَّة، ليتني أتيت بها معي لتروا ماذا حدث في كشمير؟ عشرات الآلاف من المشرَّدين، آلاف من النساء المغتصَبات، ليس الاغتصاب في البوسنة فقط، وآلاف من المقتولات، مَنْ تمرَّدت منهن قُتلت وألقيت في النهر، آلاف الجثث من النساء المسلمات، بيوت لم يعد لها عائل، لأنَّ عائلها إمَّا قُتل أو سُجن أو شُرِّد أو مع المقاتلين، هل سمعتم بكشمير، جنَّة الله في أرضه، الَّتي كان يجب أن تُضمَّ إلى باكستان من أوَّل يوم كما ضُمَّت حيدر آباد إلى الهند؛ من يسمع بهذا؟ من يغضب لهذه المآسي.

الوثنيَّة تفعل فعلها ضد المسلمين، ونحن معهم (سمن على عسل) وُجِد من المسؤولين من استنكر إنكارًا مؤدَّبًا مهذَّبًا رقيقًا لطيفًا، وبعد ذلك لم نجد شيئًا.

القوى الصليبية في البوسنة والهرسك:

فالوثنيَّة من جانب، ونرى الصليبيَّة تفعل فعلها في أماكن شتَّى، في البوسنة والهرسك، القضيَّة الساخنة الَّتي سمعنا فيها ما سمعنا، وقرأنا

ما قرأنـــا، ورأينا بأعيننا ما رأينـــا، وقد ذهبنا هناك إلـــى عاصمة كرواتيا ورأينـــا بأعيننا، هـــذه القضيَّـــة الَّتي يشـــهدها العالم، وعلى شاشـــات التليفزيون، ماذا صنع المســـلمون لهذه القضيَّة وهي تُمَثِّل الإســـلام في أوروبا؟ أنَّهم يريدون أن يطردوا الإســـلام من أوروبا، ولا تبقى له هناك قائمة، هكذا قالوا صراحة: نحن فرســـان الصليب، نحن ســـندفع خطر الإسلام عن أوروبا.

ماذا صنع المسلمون لهؤلاء الَّذين يُذبَّحون ويُقتَّلون، ولهؤلاء النسوة اللاتي اغتُصبن بـــالآلاف، واللَّاتي يحملْنَ في أحشـــائهنَّ تلك الأجنَّة، ولا زِلْنَ يُنادين إلى اليوم؟ ماذا فعل المسلمون لهؤلاء؟

اجتمـــع وزراء الخارجيَّة فـــي منظَّمة المؤتمر الإســـلامي منذ مدَّة، وأعطوا مهلة إلى الخامس عشـــر من يناير، ولا أدري لماذا أعطوا هذه المهلـــة، والأمر عاجلٌ وناجـــز، والذبح والاغتصاب مســـتمرٌّ؟ ولكنَّهم أعطوا مهلة طويلـــة إلى منتصف يناير، وفات يناير كله، وأصبحنا الآن على وشْـــك منتصف فبراير، ولم يتحرَّك المؤتمر الإســـلامي، ولم يقلْ كلمة واحدة بعد انتهاء الأجل! ماذا أصاب هذه الأمَّة؟!

هذا كله امتحان لهذه الأمَّة: هل هناك أمَّة إســـلاميَّة موجودة قائمة؟ هناك أمَّة إسلاميَّة بالمشاعر والعواطف، عواطف المسلمين في كل مكان أشهدها ألمسها، كل الشـــعوب باعتبارهم مســـلمين يتجاوبون مع هذه القضايا والمآسي، لكن متى يُترجَم هذا إلى عمل عام لهذه الأمَّة؟

بالأمس قرأت في صحف قطر هنا ـ جريدة الشرق ـ عن زيارة البابا إلى السودان، زار البابا السودان رغم اعتراض المعترضين، ورحَّب به المسؤولون في السودان، ولكنَّه لم يبالِ بهذا الترحيب، ولا بالضيافة،

QaradawiBooks.com

وقال: إنَّ ما تعانيه الأقليَّة المسيحيَّة في السودان يشبه عملية صلب المسيح. وقال: إنَّ موقفه لا يسمح له أن يبقى صامتًا وأحد من إخوانه في الدين يعاني، وإنَّه يجب أن يستجيب ويرفع صوته بالنيابة عنهم، وإنَّه، وإنَّه!

هنيئًا لكم أيُّها المَسيحيُّون، أيُّها النَّصارى، لكُم بابا يرفع صوته بالنيابة عنكم، ويجعل من الحبَّة قُبَّة، ويعتبر المَسِيحيِّين في السودان مظلومين ومهضومين، ويدافع عن المُتَمَرِّدين الَّذين طالما قتلوا، وفعلوا الأفاعيل، وأطلقوا النيران، ودمَّروا البلاد، وقتَّلوا العباد، هنيئًا لكم، فلكم أحد يقول كلمة.

قيمة الخلافة الإسلامية وآثار فقدها:

كان لنا قديمًا خليفة يوم كانت لنا خلافة تضمُّ المسلمين تحت راية (لا إلٰه إلَّا الله، مُحَمَّد رسول الله)، كانت آخر تجمُّع للمسلمين تحت راية العقيدة، كان الخليفة إذا حدث أمر يصرخ صرخته، ويقول كلمته فيسمع لها المسلمون في أنحاء العالم، وتزلزل غير المسلمين، ثمَّ ذهبت الخلافة، هُدِّمت هذه القلعة العظيمة، ولم يوجد بديل بعدها، حدث فراغ بعد هذه الخلافة، ليس هناك من يقود كلمة المسلمين.

قلت مازحًا وساخرًا في بعض المواقف وأنا في الجزائر: للنصارى البروتستانت مجلس الكنائس العالمي يدافع عنه، وللنصارى الأرثوذكس بِطْريق أو بابا في مصر يدافع عنهم، وللنصارى الكاثوليك في أنحاء العالم بابا في الفاتيكان يدافع عنهم، ولكن المسلمين ليس لهم بابا ولا ماما، ولا أحد يدافع عنهم، أو يتحدَّث باسمهم!

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا هو حال المسلمين أيُّها الإخوة، لا يجد من يصرخ من أجلهم، ويقول: لا يجوز لي أن أبقى صامتًا، والمسلمون يُفعل بهم كذا وكذا. المسلمون هم الضحايا في كل مكان، نشرات الأخبار حيثما قرأت أو سمعت أو رأيت وجدت مآسي المسلمين وآلام المسلمين.

انظر إلى الصومال وما يحدث في الصومال، تآمر المتآمرون عليه من قديم، الصُّومال يعتبر نفسه بلدًا عربيًّا، وأهله يعتبرون أنفسهم عربًا، والإسلامُ قد دخل فيه من قديم منذ الهجرة الأولى إلى الحبشة، الإسلام قديم في الصومال، وأهله لا يفرطون في دينهم، البلد الوحيد الَّذي أخفق فيه التبشير، وفشل فيه التنصير، ولم يستطع أن ينصِّر مسلمًا واحدًا، هذا البلد هو الصومال.

ولكن الَّذي حدث هو أنَّ الاستبداد سُلِّط على هذا البلد، حكمت السلطة المستبدَّة النَّاس بالقهر، وفرقت الشعب باسم القَبَلِيَّة، وفرغته من معاني الإيمان والأخلاق، حكم ظالم، نشر الفقر والجوع، والمرض والجهل والعصبيَّة، فلمَّا انهار هذا الحكم ظهرت آثاره في ذلك الاقتتال الجاهلي، الَّذي لا يقوم على دين ولا عقل، بين الفصائل والقبائل الصومالية.

علامَ يقتتل هؤلاء الصوماليُّون؟ أنَّهم يفعلون ذلك تنفيذًا لمُخَطَّط صليبي ماكر استجابوا للأسف معه، وتجاوبوا معه، وظلُّوا يتقاتلون ويتقاتلون، ويُدَمِّرون كلَّ شيء ليُهيِّئوا الفرصة للتدخل الأجنبي، ليأتي هذا التدخُّل الصليبي في صورة المنقذ، فلا يكون هناك حلٌّ إلَّا ذلك.

ومتى يأتي هذا التدخُّل الأجنبي؟ بعد أن مات الملايين من النَّاس، لماذا لم يأتِ التدخُّل قبل شهرين أو ستَّة أشهر أو سنة أو سنتين والناس

QaradawiBooks.com

يموتون؟ لا، بل ترك الأمر حتَّى يختمر تمامًا، حتَّى تنهار كل الأســس، ثمَّ يأتي بعد ذلك للإنقاذ، ماذا ينقذ؟ لم يبقَ شيء يُنقَذ.

هناك الآن فكرة لصوملة العالم الإســلامي، لإيجــاد فرص ليتقاتل النَّاس بعضهم مع بعض في بلاد شتَّى، ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا إلَّا أن يطلبوا المنقذ من هناك من وراء البحار!

أين دور الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي؟

يا خيبتَنا نحن العرب، يا خيبتَنا نحن المسلمين، لم تستطع الجامعة العربيَّة، ولم يستطع المؤتمر الإسلامي أن يوقف سيل الدماء المستمر، لم يستطع أن يفعل شيئًا ليصالح بين هؤلاء النَّاس، لم يستطع أن يبعث ببضعة آلاف من الدبابات والمدافع والجنود تســتطيع أن توقف هؤلاء المتصارعين، أفي كل شــيء نحتاج إلى غيرنا ليســاعدنا؟ يساعدنا في الغذاء، ويساعدنا في الدفاع، ويساعدنا في المصالحة، من نحن؟ أنحن خير أمَّة أخرجت للناس؟ أنحن الأمَّة الوســط؟ أنحــن أمَّة مُحَمَّد ﷺ؟ أنحن أحفاد الصحابة والفاتحين؟!

من حق الصليبيَّــة إذن أن تعمل في كل مــكان، وأن تحاول تنصير المسلمين في الأرض، وأن ترصد لذلك آلاف الملايين من الدولارات، من حقِّها أن تفعل ذلك طالما أنَّ هذا هو حالنا.

ما يحدث في أريتريا والصومال:

هل أُحَدِّثُكــم عن إريتريا وما يحدث فيهــا، والحكم الصليبي الَّذي يحكمها، وكيف قطف ثمار جهاد إسلامي استمرَّ نصف قرن، إلى آخره؟ ماذا نقول أيُّها الإخوة؟ المآسي كثيرة.

QaradawiBooks.com

الوثنيَّة تعمل عملها في المسلمين، والصليبيَّة تعمل عملها في المسلمين، كما أنَّ اليهوديَّة تعمل عملها في المسلمين أيضًا، بل أصابع اليهوديَّة تجدها مع هؤلاء جميعًا، بل أصابع اليهوديَّة في البوسنة والهرسك، وكثير ممَّن قاموا بتعذيب المسلمين، واغتصاب المسلمات تدربوا هناك في إسرائيل.

وأصابع اليهوديَّة تجدها في الصومال، تجدها في إريتريا، في الزيارات المتبادلة، في تدريب الفنيين على الأعمال المختلفة في الإيقاع والمكر، وتجدها هناك في الهند، الموساد الإسرائيلي، المخابرات اليهوديَّة لها أصابعها هناك، فتش عن اليهود وراء كل مصيبة فهم وراءنا في كل مكان.

خشية اليهود من الصحوة الإسلامية:

وهاهم اليهود اليوم، حينما قام جهاد باسم الإسلام، انطلق من المساجد، ورفع المصاحف، وأعلن أن لا إلٰه إلَّا الله، والله أكبر، حينما قام أطفال الحجارة، هؤلاء الصغار الكبار، هؤلاء الأشبال الأسود، هؤلاء التلاميذ المُعلِّمون، حينما قام هؤلاء ينادون بالإسلام أساسًا للجهاد ومحورًا للمقاومة: استطاعوا أن يقضُّوا مضاجع إسرائيل.

كان ما يخافه اليهود أن يقوم جهاد حقيقي باسم الإسلام، يرفع راية القرآن، هذا ما كانوا يخافونه، قيل لموشي ديان قديمًا: إنَّكم انتصرتم، ولكن هذا النصر لن يدوم لكم، إن عندنا في القرآن أنَّكم ستنهزمون، وأنَّ الإسلام سينتصر عليكم. فقال: ونحن عندنا في التوراة وملحقاتها أيضًا هذا الَّذي قلت، ولكن هذا الجيل (العِلْماني) ليس هو الَّذي سينتصر علينا، وإنَّما هو جيل آخر لم يأتِ بعد!

QaradawiBooks.com

وقد ولد هـذا الجيل بعد أن ذهب موشـي ديان، ولـد هذا الجيل المؤمن، جيل (حماس)، جيل (الجهاد)، جيل التضحية في سـبيل الله، جيل هؤلاء الشباب، تلك الزنود الفتيَّة، تلك السواعد القويَّة الَّتي نراها، هؤلاء الَّذين يقذفـون بالمقاليع، هـؤلاء الَّذين لا يبالـون بالرصاص، ويقدمون كل يوم شهيدًا وشـهيدين، ولا يبالي الأب، ولا تبالي الأم إذا جاءها خبر ابنها وقد استُشْـهد: أنَّها فقدت عزيزًا عليها، أو حبيبًا إليها، ولكنها تزغرد أنَّ الله تعالى قد اختاره شهيدًا في سبيل الله، هذا هو الَّذي لم يحسب حسابه موشي ديان، أو لم يكن يظن أنَّ يومه سيأتي قريبًا.

قد أتى هذا الجيل الَّذي وعدنا الحديث أن كل شيء سيكون معه إن شاء الله، حتَّى الحجر والشجر سـينطق مؤيِّدًا له ودالًّا على عورة عدوه، الحجر والشـجر الَّذي يقول: «**يا عبدَ الله، يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي، تعالَ فاقتلْه**»[1]. هذا الشباب المؤمن هو الَّذي أقلق إسرائيل وأفزعها، فهم لا يبالون بالفئات المختلفة؛ ما دام جهادها ليس قائمًا على أسـاس الله أكبر، ولا إلٰه إلَّا الله، إنَّما إذا نادى المنادي: يا ريح الجنَّة هُبِّي، ويا كتائب الله سيري. هذا ما يخيف أعداء الله اليهود.

ولهذا جُنَّ جنونهم، تراهم الآن وقد أبعـدوا هؤلاء الإخوة أربعمائة وسـبعة عشـر من خيار الرجـال، مـن كل التَّخصصات، أسـاتذة في الجامعات، أطباء، مهندسـون، علماء، وعاظ، خطباء مسـاجد، من كل المهن، ومـن كل الأعمار، ومن كل المسـتويات، ومـن كل الطبقات، أبعدوا هؤلاء ليفتُّوا في عضد الجهاد، ليثبطوا مـن وراءهم، ليخيفوهم ويزلزلوهم، وهيهات!

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٢٩٢٥)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

عودة روح السلف الصالح بين أبناء الصحوة الفلسطينيين:

ثم أرادوا أن يفرِّقوا شملهم بأن يسمحوا للبعض منهم بالعودة، ولا يسمحوا للبعض، ولكن هؤلاء أفشلوا خطَّتهم، وأقسموا جميعًا، وعاهدوا الله وواثقوه على أن يعودوا جميعًا أو يبقوا في الخارج جميعًا، إلى أن يأذن الله ﷻ، أفشلوا الخطة، لم يقبل بعضهم العودة ويعود إلى الحياة الهنيئة مع أهله وأولاده ويدع إخوانه، هذه هي الأنانيَّة الَّتي قتلتنا، هذه هي الفرديَّة المشرذمة.

لكن الروح الجماعيَّة، روح السلف الصالح، الَّذين كان أحدهم يجود بقدح الماء وقد أصيب بالسهم في كبده، وهو في حاجة إلى الماء في لحظاته الأخيرة، فإذا جاءه من يسقيه الماء سمع أنينًا بجواره؛ فيقول لمن يسقيه: اذهب إلى أخي هذا لعله أحوج إلى الماء مني. فيذهب إلى ذلك فيقول له: أسمع أنينًا، اذهب إلى هذا الجريح لعله أشد ظمأ مني. ثمَّ يذهب إلى ثالث ورابع وسابع، فإذا ذهب إلى السابع وجده قد مات، فيعود إلى الأوَّل لعله يدركه فيجده قد مات، وهكذا الَّذين من بعده، ماتوا جميعًا عطاشًا، وهم في حاجة إلى شَرْبَةٍ تَبُلُّ رِيقَهم، وتَرْوِي ظمأهم، وكل منهم آثر أخاه على نفسه[1]، هذه هي روح المسلمين، تلك هي الروح الإسلاميَّة، الروح الجماعيَّة، الروح الإيثاريَّة، فهؤلاء أبوا إلَّا أن يعودوا جميعًا، أو يظلُّوا جميعًا؛ حتَّى يأذن الله لهم، فجُنَّ جنون إسرائيل.

(١) ذكره الخطابي في غريب الحديث (٦٨٢/١)، وقال: يرويه الواقدي، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن محمود بن لبيد.

QaradawiBooks.com

إفراغ اليهود حقدهم على المساجد:

الآن أفرغت إسرائيل حقدها على المساجد، كما ذكرت صحف أمس، سبعون مسجدًا تغلقها إسرائيل لمدة أسبوع أو أسبوعين، أو شهر أو شهرين، لماذا؟ لأنَّها وجدت فيها مواد تحريضيَّة، جنود إسرائيل يقتحمون المساجد، هانت مساجدنا لأنَّا وجدنا في بعض بلاد المسلمين المساجد تُقتحم، فاقتحم الإسرائيليون المساجد، إذا كان المسلمون يقتحمون مساجدهم بأنفسهم، فلماذا لا يقتحم اليهود مساجد المسلمين؟! وهذا ما فعلوه، قالوا: وجدنا في هذه المساجد مواد تحريضيَّة، كتبًا ولافتات وغير ذلك.

وطبعًا هؤلاء اليهود يرون أن قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢]. مادة تحريضيَّة، وأن قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]. مادة تحريضيَّة، القرآن والحديث دعوة إلى الصمود والثبات، ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، كل هذا دعوة إلى الجهاد والخفة إلى الجهاد، دعوة إلى البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله، لكنها تعتبر مواد تحريضيَّة في نظر اليهود، وإن كانت من القرآن والسُّنَّة، هكذا أصبحت مساجد المسلمين تُقتحم، وبعض المساجد الكبيرة في المدن الكبرى، في نابلس وفي رام الله وفي غيرها تقتحم وتغلق، والمسلمون صامتون! أين بابا المسلمين ليقول: لا يسعني أن أسكت وأن أقف مُتَفَرِّجًا، وبيوت الله يُفعل بها كذا وكذا؟ ما الَّذي يحدث في بلاد الأمَّة الإسلاميَّة؟!

لا يملك أحد نزع ملكية المسجد:

كُنَّا نتحدَّث عن مسجد (بابري) في اجتماع الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة، فقام أحد الإخوة وقال: ولكن هناك مساجد أخرى هدمها المسلمون،

QaradawiBooks.com

مسجد في طوكيو من قديم الزمان، بناه بعض الإخوة الَّذين فروا من ظلم القياصرة في روسيا وغيرها، وهم تتريُّون في الأصل، وأرادوا أن يأخذوا الجنسيَّة التركيَّة، فطلبت منهم الحكومة التركيَّة في ذلك الوقت: أن يتنازلوا عن هذا المسجد لها فتنازلوا، وإذا بالحكومة التركيَّة تهدم المسجد على أساس أن تبني مكانه مسجدًا، ثمَّ بعد ذلك سمعت أن سعر القدم في طوكيو بآلاف الدولارات؛ فطمعت في هذا المكان الكبير لتجعل مكانه عمارة استغلاليَّة، وتجعل فيها قاعة للصلاة! ما هذا الَّذي يحدث؟!

لا يجوز لأحد أن يهدم مسجدًا إلَّا إذا أقام مكانه مسجدًا، المسجد لا جنسيَّة له، ليس هناك مسجد تركي، ومسجد مصري، ومسجد قطري، المسجد يبنيه من يبنيه ثمَّ يصبح بعد ذلك ملكًا لله، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، يخرج عن ملكيَّة صاحبة ليصبح ملكيَّة لله. أي: للأمَّة الإسلاميَّة كلها، فلا يملك أحد أن ينزع ملكيَّة المسجد ويجعلها له، لكن هذا المسجد هُدِّم، ويريدون أن يقيموا بدلًا منه مكانًا تجاريًّا، هذا المسجد خطبت فيه الجمعة منذ نحو عشرين سنة، مسجد جميل، قيل: إنَّه صار قديمًا ولا بدَّ من تجديده. ثمَّ جرى ما جرى، ما الَّذي يحدث في هذه الأمَّة في كل مكان؟

لا نستطيع أن نتحدَّث عن المآسي الَّتي تحدث في بلاد إسلاميَّة كثيرة؛ حيث يُحارَب الإسلام سرًّا وعلانية، ويُحارَب دعاة الإسلام، ويُعتبر كل من يدعو إلى من يدعو إلى شريعة الإسلام متطرفًا، لا نستطيع أن نتحدَّث عن هذا أيُّها الإخوة.

لمن نشكو إلَّا إلى الله تبارك وتعالى، لمن نشكو إلَّا لمن بيده الخَلْق والأمر.

QaradawiBooks.com

ولي كبـــدٌ مقروحةٌ مَـــنْ يبيعُني بهـــا كبدًا ليســـتْ بـــذاتِ قروحِ
أباها علـــيَّ النَّاسُ لا يشـــترُونَها ومَنْ يشـــترِي ذا علَّةٍ بصحيحِ[1]؟

هذه الأمَّة المُصابة من هنا وهناك لا بدَّ أن تستيقظ، ولا بدَّ أن يوقظها الواعون من أبنائها، يحاولون أن يُضَمِّدوا جراحها، يحاولون أن يجمعوا كلمتها، يحاولون أن يقفوا وراء كلِّ قضيَّة من هذه القضايا، وكلِّ مأســـاة من هذه المآسي، لا بالكلام فقط، ولكن بالبذل والعطاء.

أمة الإسلام مطالبة بالبذل في سبيل قضاياها:

علينا أن نبـــذل لإخوتنا المُبعدين ومن وراءهـــم من المجاهدين في فلسطين: أرض النبوَّات، حول المســـجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله، نبذل لنساعدهم ونشـــدَّ أَزْرَهم، ونبطل كيد إسرائيل ومن وراء إسرائيل، نبذل لإخوتنا في البوسنة والهرسك، وإخوتنا في الصومال، وإخوتنا في كشـــمير وجامو، وإخوتنا في بورما، وإخوتنا فـــي بنجلاديش، وإخواننا الَّذين يتعرَّضون للتنصير الصليبي في إندونيســـيا، نبذل لإخوتنا في كل مكان أيُّها الإخوة.

نحمد الله أنَّنا نعيش في أمن، أطعمنا الله من جوع، وآمننا من خوف، فأين شكر هذه النعمة، لنشـــكر نعمة الله تبارك وتعالى؛ علينا بأن ندفع ونبذل لهؤلاء.

وأهم من ذلك الصدقة الجاريـــة الَّتي قامت من أجلها الهيئة الخيريَّة الإســـلاميَّة العالميَّة، رصد المبشـــرون النصارى في جلسة واحدة ألف

(١) البيتان بلفظ مشابه في ديوان ابن الدمينة رواية الزبير بن بكار عن أبي مسلمة صنعة ثعلب صـ٢٧، تحقيق أحمد راتب النفاخ، نشر مكتبة دار العروبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم، ونحن صار لنا ست سنوات أو أكثر، ولم نجمع الألف مليون الَّذي دعونا إليه.

قلنا: لو أنَّ كل مسلم دفع دولارًا واحد في المتوسط لجمعنا الألف مليون. أتدرون ماذا جمعنا طيلة تلك السنوات؟ حوالي ثلاثين مليون دولار، هذا فقط حصيلة الأمَّة الإسلاميَّة، دفعت الأمَّة الإسلاميَّة هذا المبلغ للحفاظ على الوجود الإسلامي من التنصير، هل المسلمون فقراء؟ مهما كانوا فقراء يستطيعون أكثر من هذا، قلنا: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا. هل يفقر الدولار أحدًا؟

هناك من يدخنون السجائر ويدفعون فيها آلاف الملايين سنويًّا، لو أنَّ هؤلاء وفَّروا صحَّتهم، ووفَّروا مالهم، ودفعوا نصفه لله، للإسلام، للأمَّة لكان شيئًا عظيمًا، هناك آلاف الملايين تُنفق في البذخ والسرف والترف، فيما لا معنى له، كم ينفق على أشياء تافهة يشكو كل النَّاس منها؟ لو وُفِّر هذا لجمعنا الألف مليون دولار!

الأمَّة الإسلاميَّة عندها أموال كثيرة؛ لماذا لا ندفعها إلَّا في المصائب؟ رجل أحمق مجنون كلَّف الأمَّة مئات الملايين، بل مئات البلايين من الدولارات، غزو الكويت شهوة تسلط من رجل واحد؛ ليتسلَّط ويحكم، كلَّفت الأمَّة عشرات بل مئات المليارات، هذا غير ما حدث بعد ذلك من آثار معنويَّة لا تُقدَّر بالأموال، ولا بملء الأرض ذهبًا، لماذا تُنفق ملياراتنا هنا وهناك؟ وفي عمل الخير لا نجد إلَّا القليل، والأقل من القليل.

يا أيُّها الَّذين آمنوا، يا أيُّها المسلمون، يا قومُ، ابذلوا في سبيل الله، ونحن مُقْبِلُون على موسم الخيرات، على رمضان، ابذلوا لإخوانكم في

QaradawiBooks.com

كل مكان، وابذلوا للصدقــة الجارية؛ لأنَّنا نريد مالًا يكــون وقفًا يبقى أصله، ويُنفق من ثمرته وعائده، هــذا ما نريده، وما قامت الهيئة الخيريَّة من أجله.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرَنا، وأن يسدِّد خطانا، وأن يقيَنا من كيد الكائدين، ومكر الماكرين.

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجبْ لكم.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة

٣

مساوئ الحضارة الغربيَّة المعاصرة(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

انتهى مؤتمر السُّكَّان والتنمية في القاهرة، وحدثت تعديلات طفيفة على برنامج عمل المؤتمر، أهم هذه التعديلات ما يتعلق بالإجهاض، وما يتعلق بأشكال الارتباط الأخرى غير الزواج، وما يتعلَّق بالعلاقات غير المشروعة بين الجنسين.

وكانت هناك وصية ختامية أنَّ لكل دولة أن تحتفظ لنفسها في سياستها السكانيَّة بما يتفق مع مبادئها الدينيَّة والأخلاقيَّة والثقافيَّة، كان هذا هو أهم ما حدث في هذا المؤتمر.

توجه الحضارة الغربيَّة:

ولكن المؤتمر من ناحية أخرى كان مسرحًا لصراع الحضارات، كان مسرحًا لتوجُّهَين أساسيَّيْن مختلفَيْن: توجُّه الحضارة الغربيَّة، وتوجُّه الحضارة الإسلاميَّة.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

١ ـ المادِّيَّة المسرفة:

التوجُّه الَّذي تقوم عليه الحضارة الغربيَّة الَّتي تغلب عليها المادِّيَّة المسرفة، والإباحيَّة المُتْلِفَة، الحضارة الَّتي تسود العالم اليوم حضارة نسيت الله تعالى؛ فأنساها الله أنفسها.

تزعم الحضارة الغربيَّة أنَّها حضارة مسيحيَّة، ولكن المسيح منها براء، إنَّها أبعد ما تكون عن المسيحيَّة، المسيحيَّة زهد في الدُّنيا، وهي تتكالب على الدُّنيا، المسيحيَّة تقول: أحبُّوا أعداءكم، باركوا لاعِنِيكم، ومن ضربك على خدِّكَ الأيمنِ، فأدِرْ له خدَّكَ الأيسر[١]. وهذه الحضارة تقوم على العدوان، المَسيحيَّة تقول: لا يدخل الغنيُّ ملكوت السماوات حتَّى يدخل الجَمَل في سَمِّ الخِيَاط[٢]. وهذه الحضارة تقوم على المتعة والثروة، فهي مع المَسيحيَّة على طرفي نقيض.

هذه الحضارة الغربيَّة ليست هي حضارة المسيح عيسى ابن مريم، وإنَّما هي حضارة المسيح الدجَّال؛ لأنَّها حضارة عوراء، وأبرز ما يوصف به المسيح الدجَّال أنَّه أعور، وهي حضارة عوراء لأنَّها تنظر إلى الحياة بعينٍ واحدة: هي العين الماديَّة، لا مجال فيها للإيمان بالله، ولا للإيمان بالآخرة، ولا للإيمان بالقيم الأخلاقيَّة الثابتة، ليس فيها أن للإنسان رُوحًا، ولا أنَّ للكون إلهًا، هذه أمورٌ معزولة عن هذه الحضارة.

يقول الأستاذ ليوبولد فايس ـ الَّذي هداه الله إلى الإسلام وتُسمَّى باسم (محمد أسد) ـ في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق): إنَّ الحضارة

(١) انظر: إنجيل متَّى (٣٨/٥ ـ ٤٤)، وإنجيل لوقا (٢٩/٦، ٣٠).

(٢) إنجيل متَّى (٢٣/١٩، ٢٤).

QaradawiBooks.com

الغربيَّة لا تجحد الله البتَّة ـ أي جحودًا صريحًا مطلقًا ـ ولكن ليس لله مكان في نظامها الفكري والثقافي والاجتماعي[١].

لا يوجد لله مكان في نظام هذه الحضارة الغربيَّة، لقد عزلت الله تعالى عن مُلكه، فليس حاكمًا فيها ولا مُشرِّعًا، ولا مُلزمًا للعباد بشيء، ولذلك تقوم على المبدأ العِلْماني، على أنَّ الدين شيء، والحياة الاجتماعيَّة شيء آخر، إذا اعتُرف بالدين فإنما هو في ضمير العبد بينه وبين ربه، فإن كان ولا بدَّ أن يخرج من قفص الضمير؛ فليكن في حدود المعبد، في حدود الكنيسة، أمَّا أن ينزل الدين إلى الحياة: يوجهها ويشرع لها، ويأمر وينهى ويحكم؛ فهذا ليس من شأن الدين، هذا ما قامت عليه الحضارة الغربيَّة!

ولعلَّ السرَّ في هذا أنَّه في بداية عصر النهضة حينما مسَّ الغربَ المسيحي قبسٌ من الشرق الإسلامي، حينما عرف عن المجتمعات الإسلاميَّة: في الأندلس في إسبانيا وفي صقليَّة، وفي لقائه بالمسلمين أيَّام الحروب الصليبيَّة عرف المجتمع الإسلامي، وعرف العلم الإسلامي، وعرف الحضارة الإسلاميَّة؛ فبدأ يُفكر تفكيرًا آخر من جديد، اقتبس من المسلمين المنهج التَّجريبي، المنهج الاستقرائي، أخذه وطوَّره على لسان (روجر بيكون) و(فرانسيس بيكون)، وكانت النهضة الحديثة.

اصطدمت هذه النهضة بالكنيسة الغربيَّة الجامدة الَّتي تقف مع الجمود ضدَّ التطوُّر، وتقف مع الجهل ضد العلم، وتقف مع الملوك ضد الشعوب، وتقف مع التأخُّر ضدَّ التقدُّم، ولذلك حاكمت العلماء

(١) الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد صـ٣٩، ترجمة د. عمر فروخ، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٦٥م.

QaradawiBooks.com

والمُفَكِّرين في محاكم معروفة في التاريخ اسمها (محاكم التفتيش)، قتلت العلماء أحياءً، وحرَّقت جثثهم بعد الموت، كلُّ مَنْ اكتشف شيئًا يخالف ما كانت تقوم عليه الكنيسة، مثل أنَّ الأرض كرويَّة، وهذا أمر كان يدرسه المسلمون من قديم في كتبهم، حتَّى في كتب التوحيد والتفسير يذكرون أنَّ الأرض كرويَّة، حينما اكتشفوا هذا حُوكم مَنْ حُوكم، وعُذِّب مَنْ عُذِّب، قامت محاكم التفتيش بمآسٍ يندى لها جبين الإنسانيَّة، وفعلت ما فعلت؛ ممَّا انتفخت به بطون كتب التاريخ.

ولذلك كانت النتيجة من هذا الصدام أن انتصر العلم على الدين، انتصر التطور على دعاة التأخُّر، انتصر الفكر المتحرِّر على الفكر الجامد، وثار الثائرون وقالوا: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس.

كانت هذه نظرتهم إلى الدين أيْ إلى دين الكنيسة الغربيَّة الجامدة على أفكار الأقدمين، فتحرَّرت من تسلُّط رجال (الإكليروس)، رجال الكهنوت، رجال الدِّين هناك، وانطلقوا يكتشفون ويخترعون ويبتكرون، وعزلوا الكنيسة عن التدخُّل في شؤون الحياة، أو عزلوا الدين عن الدولة، هذا هو المبدأ العِلْماني عندهم.

ولذلك ليس من المنطق أن يُعمَّم هذا على كلِّ دين، وأن يقال ما قالته رئيسة وزراء النرويج في مؤتمر السُّكَّان بالقاهرة: إنَّ الأديان كانت عقبة في سبيل تَقَدُّم البشريَّة. هكذا بإطلاق.

لا، إنَّ الأديان لم تكن عقبة في سبيل تقدم البشريَّة، الدِّين هو روح الوجود، هو جوهر الحياة، الإنسان بغير دين أشبه ببهيمة الأنعام؛ يعيش حياةً لا هدف لها، ولا رسالة منها، ولا يعرف: لماذا يعيش، ولماذا يموت؟ لا يستطيع أن يجيب عن الأسئلة الخالدة: مَنْ أنا؟ ولماذا جئت

QaradawiBooks.com

إلى هذه الدنيا؟ ولمـــاذا أموت بعد ذلك؟ وماذا بيـــن الحياة والموت؟ وما رســـالتي في هذه الحياة؟ وما مصيري بعـــد أن أموت؟ الإجابة عن هذه الأســـئلة: مَنْ أين، وإلى أين ولِمَ؟ لا يســـتطيع أن يجيب عنها إلَّا الدِّين، والدِّين الصحيح.

والإســـلام هو الدين الَّذي أنقذ البشـــريَّة من الجهالة، وأخرجها من الضلالة، أخرجها من الظلمات إلى النور، وهداها الصراط المســـتقيم، فتح الله بهـــذا الدين الأعين العُمْـــي، والآذان الصُـــمَّ، والقلوب الغُلْف، وأخرج العرب الَّذين كانوا يرعـــونَ الغنم إلى رعاية الأمم؛ فقادوا العالم وأنشؤوا حضارة العلم والإيمان، وأقاموا دولة العدل والإحسان، وعلَّموا البشـــريَّة من جديد التوازن بين الدين والدنيا، بيـــن الروح والمادَّة، بين الســـماء والأرض، هذا هو الإســـلام العظيم، فلا ينبغي أن يُعمَّم أنَّ كل الأديان كانت عقبة في سبيل تقدم البشريَّة.

والمَســـيحيَّة نفســـها الَّتي جاء بها المسيح لم تكن ســـببًا في تأخُّر البشريَّة، لا، بالعكس، ولكن المَســـيحيَّة المحرَّفة هي الَّتي تسبَّبت في هذا التأخُّر.

كان هذا المؤتمر صراعًا بين الحضارة المادِّيَّـــة المُتَمَثِّلة في الغرب والحضارة الإيمانيَّـــة المُتَمَثِّلة في الإســـلام العظيم، الَّـــذي يُمَثِّل رؤية نموذجيَّة للحياة، يُقَدِّم مشـــروعًا متكاملًا للحضارة، يُقَدِّم حياة متكاملة يحيا فيها الإنسان موصولًا بربه، موصولًا بدُنياه، موصولًا بأمسه ويومه وغـــده، يقيم له حياة التـــوازن، الَّتي لا يمكن أن تقـــوم إلَّا في ظلِّ هذا الدِّين، وفي ظلِّ هذا الإيمان.

QaradawiBooks.com

٢ ـ الإباحيَّة المُتْلِفة:

الحضارة الغربيَّة حضارة ماديَّة، حضـــارة دُنيويَّة، حضارة تقوم على المتعة والشهوة، ولا تُقيم للقيم وزنًا في حياة النَّاس، ولأنَّهم يريدون أن يستمتعوا بأكبرَ قدرٍ ممكن من اللَّذَّات والشهوات. جاؤوا كما قال المفكر الفرنسي (روجيه جارودي) الَّذي هداه الله للإسلام أخيرًا: اجتمع الأغنياء في القاهرة تحت مِظَلَّة الأمم المتحدة الَّتـــي يقودها الأمريكيُّون ليقولوا للفقراء: لا تنجبوا أولادًا حتَّى نتمكن من الاستمتاع بترفنا وإسرافنا. هذا هو منطق الأقوياء والأغنياء.

وفي هذا المؤتمر يقول جارودي: إنَّ مشكلة السُّكَّان مشكلة وهميَّة، إنَّ تخصيب الصحراء من داكا في البنغال إلى مقديشـــيو في الصومال يحتاج إلى مليار ونصف دولار لعمـــل مضخات مائيَّة تعمل بالطاقة الشمســـية، ما أهون هذا المليـــار والنصف الَّذي يُنفـــق في أمور ترفيهيَّة اســـتهلاكيَّة لا معنى لها. فلماذا يقـــال للناس: لا تنجبوا، ونحن نســـتطيع أن نُخَصِّب الصحراء؟ وهناك عشـــرات الملايين من الأفدنة لا تحتـــاج إلَّا إلى تكلفة بسيطة لاســـتخراج الماء من الأرض حتَّى تُزرع، ولماذا طالب الأمريكيُّون الأوربيِّين بتبوير خمسة عشر في المائة (١٥٪) من أراضيهم لا تُزرع قمحًا، ليظلَّ سعر القمح الأمريكي كما هو في الأسواق العالميَّة ولا يتأثَّر؟

هذا ما يحدث فـــي الحضارة الغربيَّة، حتَّى إنَّهـــم يتلفون المنتجات الزراعيَّة والحيوانيَّة، يُلقونها في البحار أو يحرقونها، ليظلَّ الســـعر على مُعدَّله المنشـــود، وهناك من النَّاس من يحتاج إلى اللقمة، ويحتاج إلى قطعة الجبن، وقطعة الزبد، ولكن هؤلاء يلقونها في البحر لتبقى الأسعار محتفظة بما يريدون.

QaradawiBooks.com

الحضارة الغربيَّة حضارة المتعة، وحضارة الشهوات، يريدون أن يظلَّ الحبل على الغارب للجنسين، وممَّا قالوه في وثيقتهم: ينبغي تعميم الوسائل الآلية الَّتي تمنع العدوى بمرض الإيدز، نقص المناعة الطبيعيَّة، وهذا عن طريق تعميم ما يسمُّونه (الواقي الذكري).

بدل أن يقولوا للشبَّان: لا تزنوا، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. يقولون له: خذ احتياطك، حينما تذهب إلى بلدٍ، احمل معك هذا العازل الذكري.

هذا هو المجتمع الغربي، ولذلك انتشر الإجهاض، هناك اثنان وخمسون مليونًا من حالات الإجهاض سنويًّا كما نشرت الصحف، اثنان وعشرون مليونًا منها تقع سرًّا، وواحد وثلاثون مليونًا تقع علنًا، ونحو مائة ألف امرأة تموت من الإجهاض، هذا نتيجة الإباحيَّة الجنسيَّة الَّتي يدعو إليها هؤلاء.

هذه هي حضارتهم، ليست حضارة العفَّة، ليست حضارة الإحصان، لا تقوم على تربية البنين والبنات، وإشراف الأسرة على هؤلاء، والشعور بالمسؤوليَّة أمام الله ﷻ، أن كل أب وكل أم مسؤولان عن أولادهما وعن ذرياتهما، و«**إنَّ الله سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّن استرعاه حفظ أو ضيَّع**»[1] «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ راعٍ في أهل بيته وهو مسؤول عن رعيَّته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيَّتها**»[2]، لا بدَّ

(١) رواه النَّسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصحَّح إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس.

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

من هذه المعاني، ولكن الحضارة الغربيَّة لا تعرف هذه المعاني، هي تعرف الاستغراق في اللَّذات والشهوات، ولو على حساب القيم والأخلاق.

٣ ـ العنصريَّة المُسْتَكْبِرة:

الحضارة الغربيَّة تقوم للأسف على العنصريَّة، تنظر إلى نفسها بعين الاستكبار، وتنظر إلى غيرها بعين الازدراء والاحتقار، أنَّ الرجل الأبيض والجنس الأبيض يجب أن يكون سـيِّد العالم، أمَّـا الأجناس الأخرى فلا مكانَ لها، هذا ما عرفناه في هذه الحضارة، وما استمرت عليه قرونًا: التمييز العنصري، والتمييز بين الأجناس، والتمييز بين الألوان.

حتَّى في الكنائس: هناك كنائس للبيض، وكنائس للسود والملوَّنين! وعندما دخل رجل أسود كنيسة للبيض يومًا أرسـل إليه القسيس، وهو مشغول بموعظته ورقة يقول له: إنَّ كنيسة الملوَّنِين أو السُّود في الشارع الفلاني. أي إنَّك أخطأت الطريق، هذه هي حضارتهم!

حتى الشيوعيُّون الَّذين كانوا ينادون بالمسـاواة، عندما أحبَّ شابٌّ أفريقيٌّ كان يدرس في موسـكو فتـاةً بيضاء قتله البيـض، فثار إخوانه الأفارقة في مظاهرة في شوارع موسـكو؛ فردَّ عليهم الآخرون بمظاهرة يقولون لهم: عُودوا إلـى غاباتكم أيُّها القردة. انظـروا إلى رؤية هؤلاء النَّاس للأجناس الأخـرى، أنَّهم يحتقرون كلَّ الأجنـاس أيًّا كانت هذه الأجناس، ولا يعترفون لغيرهم بوجود.

ولذلك؛ فهذا المؤتمر نوع من الإمبرياليَّة الجديدة الَّتي تريد السيطرة على العالم، انتهى عصر الإمبرياليَّة العَسـكريَّة، وانتهى عصر الإمبرياليَّة السياسـيَّة، والآن يدخلون في عصر آخر هو عصـر الإمبرياليَّة الثقافيَّة،

QaradawiBooks.com

يريدون أن يفرضوا ثقافاتهم وسلوكيَّاتهم على العالم كلِّ العالم، وإن كانوا يخالفونهم في الحضارة، وفي النظرة إلى الحياة وإلى الكون، وفي الفلسفة الكُلِّيَّة للوجود.

الحضارة الغربيَّة تكيل بمِكْيَالَيْن وتزن بمِيزَانَيْن:

الحضارة الغربيَّة عنصريَّة تكيل بمكيالَيْن، وتزن بميزانَيْن، وتعامل النَّاس بمعيارَيْن، تُحلُّ الأمر عامًا وتُحرِّمُه عامًا، بل تُحِلُّه يومًا وتُحرِّمُه يومًا، هذا ما تقوم به الحضارة الغربيَّة.

عندما غزا العراق الكويت زعم هؤلاء النَّاس أنَّهم غضبوا للحق، وغضبوا لغزو بلد لبلد آخر، وجمعوا الجموع، وجيَّشوا الجيوش لإخراج العراق من الكويت، هذا حسن؛ ولكن لماذا لا يُطبَّق هذا على الصِّرب أيضًا؟ إذا كان العراق معتديًّا؛ أليس الصرب معتدين؟!

هؤلاء الصرب الوحوش الَّذين فعلوا الأفاعيل، كم من دماءٍ سُفكت؟ كم من أعراضٍ هُتكت؟ كم من مساجد دُمِّرت؟ كم من منازل حُرِّقت؟ كم من بيوت خُرِّبت؟ كم من رقاب ذُبحت؟ كم من نساء اغتصبت؟ كم من حرمات انتهكت؟ كم وكم وكم ممَّا فعله الصربيون الوحوش بإخوتنا المسلمين؟ والغرب وحضارة الغرب صامتة أمام هذا كلِّه! تقول ولا تفعل، أكثر من سنتين مضتا والعدوان الصربي مستمرٌّ، ولم يحُرِّك الغرب ساكنًا.

ليس هذا فحَسْب؛ بل حتَّى حق المعتدَى عليه في الدفاع عن نفسه حرَموا المسلمين منه، حرَموا المسلمين من أن يدافعوا عن أنفسهم، أن يكون لهم حقُّ شراءِ السلاح كما يشتريه غيرهم بحجَّة غريبة وعجيبة، وهي: حتَّى لا يزدادَ سفكُ الدماء!

QaradawiBooks.com

ومعنى هذا: أن يظلَّ سفك الدماء من جهة واحدة، جهة المسلمين الَّذين لا يملكون السلاح، ويظلَّ الآخرون هم المُتَحَكِّمين والمُقْتَدِرين عليهم! أين العدالة يا حضارة الغرب، ويا دُعاة هذه الحضارة؟

موقفهم من الديمقراطيَّة في البلاد العربيَّة:

حينما نجح الإسلاميُّون في الانتخابات في الجزائر جُنَّ جنون الغرب، كيف يستطيع الإسلام أن يصلَ إلى الحكم عن طريق انتخابٍ حرٍّ نزيه؟ أن يصلَ إلى الحكم عن طريق الصناديق الانتخابيَّة الزجاجيَّة البلوريَّة الشفَّافة!! فهذا ما لا ينبغي أن يكون أبدًا، ووقفوا ضد هذا، وقام حكم عسكريٌّ غاشمُ يفرض على النَّاس إلغاء هذه الانتخابات والرضا بالواقع؛ أين هذا ممَّا يُراد الآن من غزو هايتي غزوًا عسكريًّا لطرد الطغمة العَسكريَّة الحاكمة؟ كيف قبلتم هذا في الجزائر، ولم تقبلوا هذا في هايتي؟! الغرب لا يقف عند ميزان واحد، ليس له معيارٌ واحدٌ في الأشياء.

حرمان المسلمين من أبسط حقوقهم:

الغرب يَدَّعِي أنَّه حامل راية الحُرِّيَّة، وحامل حقوق الإنسان، ومع هذا يحرم المسلمين من أبسط حقوقهم، فرنسا أمُّ الحُرِّيَّة، بلد الثورة، نادت الثورة في فرنسا بالحُرِّيَّة والإخاء والمساواة، ومع هذا تحرم فرنسا الفتيات المسلمات من حقِّهنَّ في ارتداء زيِّ الحجاب الشرعي.

وقد قرأنا ما صرَّح به وزير التربية الوطنيَّة في فرنسا: إنَّ مدارس فرنسا ستمنع كلَّ الرموز الدينيَّة البارزة. قيل له: وهل الحجاب من الرموز الدينيَّة البارزة؟ قال: نعم هو منها، ولا يمكن أن تقبل فرنسا بهذه الرموز، نحن بلد عِلْماني ولا نقبل هذه الرموز.

QaradawiBooks.com

هذا مع أنَّ العِلْمانيَّة الغربيَّة تتيح للإنسان الحُرِّيَّة، تفصل بين الدين والحياة، فلماذا إذنْ تفرضوا عليَّ أن أتخلى عن ديني؟ دين المسلمة يأمرها أن تغطي رأسها، وأن تحتشم في لبسها، وإلَّا استحقَّت عقابَ الله تعالى، فكيف تُلزموا المسلمة أن تخالف دِينَها؟ أهذه هي الحُرِّيَّة؟ أهذه هي حقوق الإنسان؟ أين حقوق الإنسان في هذه الديار؟

هذا ما نراه في فرنسا حامية الحُرِّيَّات، وأمِّ الحُرِّيَّات، تحرم هؤلاء الشابَّات المسلمات أن يلتزمن أمر الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

هذه للأسف هي حضارة الغرب، حضارة ماديَّة، حضارة إباحيَّة، حضارة عنصريَّة، فيها جوانب إيجابيَّة كثيرة لا ننكرها: العلم، والتكنولوجيا، وحسن الإدارة، واحترام حق الإنسان إجمالًا؛ خصوصًا المواطن الأصلي، وخصوصًا في ديارها، لأنَّ الحضارة الغربيَّة تتعامل في ديارها بشكل، وفي خارج ديارها بشكل آخر، هذا أيضًا من الموازين المختلة عندها.

توجُّه الحضارة الإسلاميَّة:

تلك هي حضارتهم، أمَّا حضارتنا نحن فهي حضارة الإيمان، حضارة الأخلاق، حضارة القيم، الحضارة الَّتي تتعامل مع النَّاس جميعًا بمقياسٍ واحدٍ، ومعيارٍ واحد، الحقُّ للنَّاس جميعًا، والعدل للنَّاس جميعًا؛ لأنَّه عدل الله لعباد الله.

حينما اتُّهِم يهوديٌّ ظُلمًا في سرقة: نزلت تسع آيات من القرآن في سورة النساء تُدافع عن هذا اليهودي المتَّهم ظُلمًا، اتَّهمه بعض ضعاف

QaradawiBooks.com

الإيمان من المسلمين، وكاد النبيُّ يُصَدِّقهم، ويهم بالجدال عنهم، نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۞ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٥ ـ ١٠٨]. إلى آخر الآيات.

نحن أصحاب الحضارة الجامعة المتوازنة المتكاملة الَّتي مزجت الروح بالمادَّة، ووصلت الدُّنْيا بالآخرة، وربطت الأرض بالسماء، ووصلت الخَلْق بالخالق، وجمعت بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، ووازنت بين هذا كلِّه موازنةً لا يقدر عليها إلَّا العليم الحكيم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

هذه هي حضارتنا، وتلك هي حضارتهم، فعلينا نحن أن نستمسك بقيم حضارتنا الأصيلة، ونُرَبِّي عليها أبناءنا وبناتِنا، ولا نُفَرِّط فيها.

مقاومة القيم السلبيَّة الموروثة، والقيم السلبيَّة الغازية:

وعلينا أن نطرد نوعين من الأفكار والتقاليد: الأفكار والتقاليد الَّتي ورثناها من عهود التراجع والانحطاط، والتي تحمل قِيَمًا سلبيَّة، مثل التواكل في هذه الدُّنيا، والزهد في العمل للحياة، والرُّوح الفرديَّة والأنانيَّة، اترك الخلقَ للخالق، ودع المُلْكَ للمالك، انشغال الإنسان بنفسه وعدم اهتمامه بأمر أمَّته، و«**من لم يهتمَّ بأمرِ المسلمين فليس منهم**»[1]، وعدم التعاون على البرِّ والتقوى، والتواصي بالحقِّ والصبر،

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣)، والصغير (٩٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤):

QaradawiBooks.com

وترك فريضة الأمـــر بالمعروف والنهـــي عن المنكـــر، والبعد عن رُوح الجهاد والجِدِّيَّة. هناك قيم ســـلبيَّة ورثناها من عهود التراجع والتخلُّف؛ فعلينا أن نتخلَّى عنها.

وهناك أفكار وقيم وتقاليد غزتنا من الحضارة الغربيَّة، ودخلت على مجتمعنا في غفلة من الزمن، وقبِلها مَنْ قبِلها، وأصبحت مسلَّمات لدى بعض النَّاس، مثل التَّحلُّـــل من القيم والأخلاق، والتَّعرِّي في النســـاء، وذهاب الشـــباب كل مذهب في الأمور الإباحيَّة، والانشـــغال بالماديَّة، والغفلة عن الآخـــرة. أمور كثيرة غزتنا بها الحضـــارة الغربيَّة وأخذناها، وأثَّرت في الكثيـــر منا، وصبغت بعض المجتمعات للأســـف بصبغتها؛ فعلينا أن نقاومها.

علينا أن نقاوم القيم الســـلبيَّة الموروثـــة، والقيم الســـلبيَّة الغازية، فكلاهما خطر علـــى قيمنا الأصليَّة، وعلـــى حضارتنا الأساســـيَّة، هذا ما نؤمن به، وهذا ما ندعـــو إليه، وهذا ما يجـــب أن نعتصم به، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

رواه الطبراني في الأوســـط والصغير، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

حقوق الإنسان بين الغرب والإسلام

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كان المجلس الأعلى للأسرة في قطر ولجنة حقوق الإنسان قد أرسلا إليَّ لأتحدَّثَ في الخطبة الماضية عن حقوق الإنسان في الإسلام، ولمَّا كنت غائبًا في تلك الخطبة؛ فإنَّني أتحدَّث اليوم عن هذا الموضوع؛ لأنَّ هذا الموضوع لا يفوت ولا ينتهي بموعد معيَّن، إنَّه موضوع دائم ثابت، يستحقُّ الحديث عنه، وقد تحدَّثت عنه في خطبة ضافية فيما مضى، ونُشرت في الجزء الثالث من خطبي، ولكنِّي أُكملها اليوم بحديث لا بُدَّ منه.

دواعي الحديث عن حقوق الإنسان:

والحديث عن حقوق الإنسان في الإسلام لازمٌ ودائمٌ وثابتٌ، لأسباب عدَّة:

١ ـ جناية الغرب على حقوق الإنسان:

من دواعي الحديث عن حقوق الإنسان: أنّ أكثر الَّذين يتحدَّثون عن حقوق الإنسان ويزعمون أنَّهم صانعوها ومُصدِّروها إلى العالم هم أكثر

QaradawiBooks.com

النَّاس جناية عليها، وأكثر النَّاس انتقاصًا لها، وأكثر النَّاس طغيانًا على الإنسان: الغربيُّون عامَّة، والأمريكيُّون خاصَّة، الَّذين يتشدَّقون بحقوق الإنسان، ويزعمون أنَّهم دعاتها ورعاتها، هؤلاء هم الَّذي يجورون أبدًا على حقوق الإنسان، أنَّهم يرعون حقوقَ الإنسان الغربي في بلادهم، أو الإنسان الغربي حيثما كان، أمَّا الإنسان الشرقي، الإنسان العربي، الإنسان المسلم، فإنَّ حقوقه مُضيَّعة.

حينما كان هؤلاء الأوربيُّون يستعمرون بلاد المسلمين: كانوا يذيقون النَّاس عذاب الهُون، يمتهنونهم، يعاملونهم كأنَّهم عبيد عندهم، أهدروا حريَّاتهم الدينيَّة، وحريَّاتهم السياسيَّة، وحريَّاتهم المدنيَّة، وكلَّ حقوق الإنسان أهدروها، فقد رأينا الفرنسيين في الجزائر، ورأينا الإيطاليين في ليبيا، ورأينا الهولنديين في إندونيسيا، ورأينا الإنجليز في بلاد شتَّى، أهدروا حقوق الإنسان، أنَّهم يحترمون حقوق الإنسان الغربي، أمَّا الإنسان الآخر؛ فكأنَّما ليس إنسانًا!

ولذلك نهبوا الخيرات، ونهبوا الثروات، وأقاموا منها حضارتهم، هذه الحضارة الشامخة إنَّما بنتها أموال هذه البلاد الشرقية والعربيَّة والإسلاميَّة، لقد تركوها في تخلُّف، كانوا قادرين على أن ينمُّوها، ولكن نمَّوْها في حدود ضيِّقة؛ بحيث تظل في دائرة التخلُّف، تظل تُسمَّى البلاد النامية، والبلاد النامية هو تعبير مؤدَّب للبلاد المتخلفة.

هكذا فعل هؤلاء، ولا يزالون إلى اليوم، ففي هذه الأيام، في هذا الزمن تنتقص حقوق المسلمين في بلاد الغرب، منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م. وحقوق العرب والمسلمين تنتقص في أوروبا وأمريكا، لماذا؟ خوفًا من الإرهاب ومن العنف ومن كذا! ليس

QaradawiBooks.com

لأحد أي حــقٍّ هناك، وهناك قوانين تنشــأ خصيصًــا لمحاربة الإرهاب تنتقص من حقوق الإنســان المســلم، هزَّة واحدة جعلتهم يتنازلون عما كانوا يقولونه قرونًا وقرونًا، هذا هو حال الإنسان.

وما تفعله أمريكا الآن في العالم واضح الدلالة على هذا، إنَّها تضرب النَّاس بالفوسفور الأبيض، وبأسلحة الدَّمار الشامل، وبالأسلحة المحرَّمة دوليًّا. والأسلحة الَّتي زعموا أنَّهم يحاربون العراق من أجل امتلاكها لم يجدوا شيئًا منها، ولكنَّهم يستعملونها هم، يحرمون الأشياء على غيرهم ويســتبيحونها لأنفســهم، لأنَّهم يســتعملونها مع إنســان لا حقوق له، الفوسفور الأبيض، والقنابل المحرَّمة، والقنابل العنقوديَّة، وما فعلوه في العــراق منذ أن احتلُّــوه إلى اليــوم، وما فعلوه في ســجن أبي غريب، وما يفعلونه فــي معتقل غوانتانامــو وغيرهما، إنَّما يفعلونه مع إنســان لا حقوق له، لهذا فنحن نتكلم عن حقوق الإنسان.

٢ ـ ضياع حقوق الإنسان في بلادنا:

ومن دواعي الحديث عن حقوق الإنســان: أنَّ حقوق الإنســان في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة مضيَّعة إلَّا من رحم ربِّي، معظم حقوق الإنسان فــي بلادنا غيــر موجــودة، وإذا كانت موجــودة فهي موجودة شــكلًا لا مضمونًا، وصورة لا حقيقة، وهي موجودة في الحدِّ الأدنى وفي غير الحدِّ الأدنى.

أين حقوق الإنسان في بلادنا؟ أين حقُّ الإنسان في الكرامة؟ الإسلام قرَّر حقَّ الكرامة للإنسان من حيث هو إنسان، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، الإنسان الَّذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه،

QaradawiBooks.com

وأسكنه جنَّته، وأسجد له ملائكته، وجعله في الأرض خليفة، وسخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، هذا الإنسان مضيَّع في بلادنا، لا كرامة له، يُرمى في السجن بغير تهمة، ويحاكم محاكمة عَسكريَّة وهو مدني، وليس له حقٌّ في أن يُنشئ حزبًا يُعبِّر عنه؛ لاعتبارات شتَّى.

يقول بعضهم: إنَّه لا يسمح لأيِّ حزب أن يقوم على أساسٍ دينيٍّ.

بأيِّ منطق يُمنع الإنسانُ المتديِّن من تكوين حزبٍ يُعبِّرُ عنه؟ للملحد حقٌّ في تكوين حزب يُعَبِّر عنه، وللفاسق حقٌّ في تكوين حزب يُعبِّرُ عنه، أمَّا المُتديِّن الَّذي يريد أن يحتكم إلى شريعة الله فيُمنع من تكوين حزب يُعَبِّر عنه! أقل البلاد هي الَّتي أجازت هذا: اليمن، والأردن، وباكستان، والمغرب، والجزائر. أمَّا بقيَّة بلاد الإسلام فهي تمنع إقامة حزب على أساس ديني، يمكن أن يُقام على أساس إلحادي فيُسمح للشيوعيِّين، ويُسمح للماركسيِّين، ويُسمح لليبراليِّين، ويُسمح للقوميِّين، يُسمح للجميع إلَّا مَنْ كان يدعو إلى الإسلام.

ويقول بعضهم: لا نريد أن نقيم حزبًا إسلاميًّا حتَّى لا يقوم حزب نصراني. وما المانع أن يقوم حزب نصراني يعمل في العلن، أحسن من أن يعملوا في الخفاء، دَعُوا النَّاس يعملون علانية.

لكن لا توجد حُرِّيَّة حقيقيَّة في بلاد المسلمين، معظم المسلمين مقموعون إلَّا في بلاد قليلة جدًّا، لا يستطيع الإنسان أن يقول رأيه بصراحة، وإذا قاله بصراحة أُخفي عن الأعين، ذهب وراء الشمس، يسأل عنه أهله: أين هو؟ فلا يجدونه، لا توجد حقوقٌ للمحبوسين والمعتقلين والمسجونين، الحكم للقوَّة، ليس لقوَّة الحقِّ، ولكن لحقِّ القوَّة، هذا ما نراه في بلادنا!

QaradawiBooks.com

لقد شـــاهدت هذا بعيني رأســـي، وعاينته وجرَّبته فـــي المعتقلات والسجون، صُرِف لي من قائد الســـجن الحربي خمسون سوطًا، وباللغة المصريَّة خمسون كرباجًا، لماذا؟ لأنِّي دافعت عن نفسي أمام المحكمة، كيف أدافع عن نفسي؟! اضربوه إذن خمسين كرباجًا! رأيتُ قائد السجن الحربي يقول لبعض المعتقلين: أين ربُّكـــم هذا؟!! هاتوا لي ربَّكم وأنا أضعه في زنزانـــة معكم! فهم يتطاولون حتَّى علـــى الله ﷻ، فعجب ألَّا توجد حقوق للنَّاس عند هؤلاء.

رأيت أناسًـــا قُتلوا تحت الســـياط، ولُفُّوا في بطانيَّة، ودُفنوا في رمال العبَّاســـيَّة، مدينة نصر الآن، وكتب أمامهم أُفرج عنهم في يوم كذا، مَنْ منهم يحاســـب على ذلك ويُســـأل عنـــه؟ لا أحد، فحقوق النَّاس ضائعة!

والتعذيب داخل الســـجون في البلاد العربيَّة أمر شـــائع، شكت منه المنظَّمات الدوليَّة: منظَّمة العفو، ومنظَّمة حقوق الإنســـان، وشكت منه المنظَّمات الإقليميَّـــة، منظَّمة الحقوق العربيَّة، وشـــكت منه المنظَّمات المحلِّيَّة، كلُّ هؤلاء يشـــكون، ولكن مَنْ يستجيب لهم؟ حقوق الإنسان ضائعة في بلادنا العربيَّة.

من حقِّ الإنســـان أن يعيش عيشـــة كريمة، أن يُكفل له عيشُـــه، هذا ما قرَّره الإسلام، لا بُدَّ أن يتقرَّر للإنســـان حدُّ تمام الكفاية من العيش، هناك حدود ومســـتويات للمعيشـــة، هناك حد الضرورة كي لا يموت، وهناك حدُّ الكَفاف، الحدُّ الأدنى من المعيشة، وهناك حد الكفاية، وهناك تمام الكفاية، هذا ما يقرره الإسلام لكلِّ من يعيش على أرضه، وفي ظلِّ دولته، مسلمًا كان أو غير مسلم.

QaradawiBooks.com

قال علماؤنا: الزكاة توفِّر تمام الكفاية للإنسان. فلو كان دخل إنسان سبعة، لكنَّه يحتاج إلى عشرة، فالزكاة تعطيه تمام الكفاية حتَّى يتمَّ العَشَرة، لا تكتفي بمعظم الكفاية، لا، بل تُتَمِّم له الكفاية.

والكفاية: هي ما يحتاج إليه الإنسان: من مأكل ومشرب، وملبس ومسكن، وعلاج وتعليم، وما لا بُدَّ له منه على ما يليق بحاله وحال من يعوله؛ بغير إسراف ولا تقتير، هكذا قال الإمام النووي[١]. وقالوا: كتب العلم من الكفاية، وأدوات الحرفة من الكفاية، والزواج من الكفاية[٢]. فلا بُدَّ أن يكون للإنسان تمام كفايته.

رأى سيِّدنا عمر رضي الله عنه شيخًا يهوديًّا يسألُ على الأبواب، فقال له: لماذا تسأل؟ فقال: الحاجة والجزية والسنِّ. فقال له: ما أنصفناك إذ أخذنا منك الجزية شابًّا ثمَّ ضيَّعناك اليوم. وقال لخازن بيت المال: افرضوا لهذا ولأمثاله من بيت مال المسلمين ما يكفيه، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وهذا من مساكين أهل الكتاب[٣].

وجاء في عقد أهل الذمَّة الَّذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحِيرة بالعراق: أيُّما شيخٍ ضعُف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر، وصار أهل دِينه يتصدَّقون عليه؛ طُرحت جزيته، وعِيل من بيت مال المسلمين[٤]. وكان هذا في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) المجموع (١٩١/٦)، نشر دار الفكر.

(٢) انظر: هامش مطالب أولى النهى (١٤٧/٢)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٣) رواه أبو يوسف في الخراج صـ١٣٩، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

(٤) رواه أبو يوسف في الخراج صـ١٥٧.

QaradawiBooks.com

وهكذا كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى واليــه: مَنْ كان عنده من أهل الذمَّة وافتقر لا بُدَّ أن يُعان. وكتب ذلك أبو يوسف في كتابه الخراج لهارون الرشيد[١]، فهذا أمر معمول به في الإســلام من قديم، لا بُدَّ أن يتمَّم للإنسان كفايته، فهل يتحقَّق هذا في بلاد المسلمين اليوم؟!

إنَّنا نجد في بلاد المســلمين اليوم مَنْ لا يجــد القُوت، من يئنُّ من الجوع أنين الملســوع، قالوا: إنَّ هناك في كثير من بلادنا من يقلُّ دخله عن دولارين، وبعض النَّاس لا يجدون دولارًا واحدًا، ولا نصف دولار. بعض النَّاس لا يجدون قُوتهم، وآخرون يعيشــون في الترف والسَّرف، ويلقون بالفضلات من أطعمتهم ما يكفي أُسرًا وعائلات!

بعض النَّاس في بعض المــدن مثل القاهرة يعيــش الرجل وامرأته وأولاده، وربَّما كانت معه أمُّه فــي حجرة في البدروم، بينما هناك أناس يملكون من القصــور ما لا حاجة لهم إليها، هناك مــن يملك قصرًا في بلده أو أكثر، وقصرًا في لبنان أو المغرب أو مصر أو سوريا، وقصرًا في أوربا أو كــذا، وربَّما تغلق هذه القصور ســنين طويلة ولا يدخلها أحد، وآخــرون لا يجدون حجرة ينــام فيها أحدهم هــو وزوجته، ولا حجرة لأولاده، لا يجد هذا، أين حقوق الإنسان في بلادنا؟!

وأين حقوق الطفل في بلادنا؟ هناك أطفال يموتون في الصغر، تقول الإحصــاءات: إنَّ أكثر الأطفال موتًا في صغرهم هم أطفال المســلمين، الملايين يموتون، أربعة مليون وثلاثمائة ألف طفل من المسلمين يموتون كل سنة، يموت هؤلاء ويتعرضون لأمراض ســوء التغذية وغيرها، كما جاء في تقرير منظمة المؤتمر الإسلامي.

(١) الخراج لأبي يوسف صـ١٣.

QaradawiBooks.com

لا زالت الأمية في بلادنا أمية شائعة، يوجد في بعض البلاد حوالي ستين في المائة لا يتعلمون، وربَّما سبعين في المائة من النساء، والعالم وصل إلى ما وصل إليه من العلم، لماذا لا نوفر العلم للناس؟ أليس من حق الإنسان أن يتعلم؟ لا بُدَّ للإنسان أن يتعلم، لا يمكن للأمة أن تنهض وترقى إلَّا بالعلم.

وأنا أقول: إنَّ الحـدَّ الأدنى من محو الأُمِّيَّة فرض على المسـلمين جميعًا، ليس فرض كفاية؛ بل هو فرضُ عين، يجب أن يتعلَّم المسلمون جميعًا، فلا يمكن للأمَّة أن تواجه الأمم الأخرى بأُمِّيِّين، لا بُدَّ أن يكون أبناؤها مُتَعَلِّمين، فلماذا لا نوفِّر هذه الحقوق؟ هناك ملايين تنفق في غير موضعها، وأشياء مُهِمَّة لا تجد ما يسدُّ ثغرتها أو يلبِّي حاجتها!

أين حقوق الإنسـان في بلادنا؟ حقوق الإنسـان في بلادنا مُضيَّعة، ولذلـك نرحِّب بـكل جهد يقـام في لجان حقـوق الإنسـان المحليَّة والإقليميَّة والدوليَّة، ويجب أن تقـوم هذه اللجان بدورها، ويجب على الحكومات أن تصغي لها، ولا تستكبر عن النصح ولا تستعلي، لا بُدَّ أن يقوم الحاكم والمحكوم برعاية هذه الحقوق، فهذا أمر آخر جعلنا نتحدَّث عن حقوق الإنسان.

٣ ـ أسبقيَّة الإسلام في تقرير الحقوق:

ومن دواعي الحديث عن حقوق الإنسـان: أنَّهم يزعمون أنَّ حقوق الإنسـان من مخترعات الغرب، وأنَّ المسـلمين لم يتحدَّثوا عن حقوق الإنسـان إلَّا بعد أن ظهر الميثاق العالمي لحقوق الإنسـان سنة ١٩٤٨م. وما تلاها، أمَّا قبل ذلك، فلم يكن المسـلمون يعرفون حقوق الإنسان، فنحن عالة على الغربيِّين في هذه المسألة، وهذا جهل بالحقائق، وجهل بالتاريخ، وجهل بالحضارات.

QaradawiBooks.com

بعض النَّاس إذا لم يجد الشيء بعنوانه وبمصطلحه ظنَّ أنّه غير موجود، ربَّما لا نجد في الفقه الإسلامي أو في الشريعة الإسلاميَّة أو التراث الإسلامي (باب حقوق الإنسان)، ولكنَّنا نجده مبثوثًا في القرآن، وفي السُّنَّة، وفي الفقه، وفي أصول الفقه، وفي التفسير، وفي الحديث، في كل التراث الإسلامي توجد حقوق الإنسان.

حقوق الحيوان:

بل توجد حقوق الحيوان، ليس حقوق الإنسان فقط، بل حقوق الحيوان أيضًا، وهذا ما جعل الداعية السوري الشيخ مصطفى السباعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكتب كتابًا في حقوق الحيوان في الإسلام، ولكن الأجل لم يمهله حتَّى يتم الكتاب، فللحيوان حقوق في الإسلام.

جاء في الحديث: «**عُذِّبت امرأة في هِرَّة سجنتها حتَّى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[(١)]. والنبي ﷺ يقول: «**لولا أنَّ الكلابَ أمَّة من الأمم لأمرت بقتلها**»[(٢)]. الكلاب أمَّة من الأمم يجب أن تبقى، لا ينبغي أن نُبيد الكلاب، فما بالك بالذين يبيدون البشر، يُصَفُّونهم؟ والله تعالى يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]. الكلاب أمَّة أمثالنا، والقطط أمَّة أمثالنا، والحشرات والثعابين، والحيَّات والضفادع، كل هؤلاء أممٌ أمثالنا، فنحن نحترم كلَّ أمَّة في الأرض.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ يقول: «**من قتل عصفورًا عبثًا عَجَّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إنَّ هذا قتلني عبثًا، ولم يقتلني منفعة**»[١]. أي أنَّ الله ﷻ لم يُبح لنا أن نذبح الطيور أو الحيوانات للعبث، لا، إذا أردت أن تأكله اذبحه، أمَّا أن تريق دمه وتتركه فهذا لا يجوز، سيسألك الله عنه يوم القيامة، هذا حق الحيوان في ديننا، فما بالك بحق الإنسان؟

ويأمرنا النبي ﷺ إذا أردنا أن نذبح ذبيحة أن نُحسن ذبحها فيقول: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وليُحِدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»[٢]. يُحِدَّ شفرته، ويريح ذبيحته ولا يتعبها، ولا يذبح حيوانًا أمام آخر، ولا يُحِدَّ الشفرة أمامه، بل بعيدًا عنه.

رأى عمر رضي الله عنه رجلًا يجرُّ ذبيحة له بعنف، فقال له: ويْحك! قُدها إلى الموت قوْدًا جميلًا، أتريد أن تُمِيتَها مَوْتات[٣]؟ يكفيها موتة واحدة، سُنَّ الشفرة بعيدًا، هذه حقوق الحيوان، فما بالك بحقوق الإنسان؟ وكيف يزعم هؤلاء أنَّ الإسلام لم يرعَ حقوق الإنسان لأنَّه لم يذكر بابًا باسم هذا؟ هذا أمرٌ غريب!

تقرير حقوق الإنسان في الإسلام:

والعبرة ليست بالأسماء والعناوين، ولكن بالمُسمَّيات والمضامين، ومضامين حقوق الإنسان موجودة في الإسلام، ماذا نسمِّي قول النَّبي ﷺ

(١) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، عن الشريد بن سويد. وانظر تعليقنا عليه في المنتقى حديث رقم (٥٧٧)، نشر دار الوفاء، مصر.

(٢) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣٣٢/١١)، والأوسط (٣٥٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠٣٣): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٠)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

حينما وقف في المسجد في مرض الموت يقول: «**أيُّها النَّاس، ألا من كنتُ جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهري فليستقِدْ منه**». إذا كنتُ ضربته فليأت وليضربني كما ضربته، يقتص منِّي «**ومن كنتُ أخذتُ له مالًا فهذا مالي فليأخذْ منه، ولا يخشَ الشحناء من قِبَلي؛ فإنَّها ليست من شأني، ألا وإنَّ أحبَّكم إليَّ مَنْ أخذ منِّي حقًّا إن كان له، أو حلَّلني فلقيتُ ربي وأنا طيِّب النفس**»[١]. ماذا نسمِّي هذا؟ أليس هذا من تقرير حقوق الإنسان؟!

وحينما وقف النبي ﷺ في حَجَّة الوداع وقال: «**ألا إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم، كحرمةِ يومِكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[٢]. حرمة الدم والمال والعرض؛ أليس هذا تقريرًا لحقوق الإنسان؟

ثم يقول: «**يا أيُّها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلَّا بالتقوى**»[٣]. أليس هذا تقريرًا لحقوق الإنسان على الملأ، أمام مائة ألف شخص.

ماذا نقول عن أوَّل خطبة خطبها أبو بكر رضي الله عنه بعد أن تولَّى الخلافة؟ وقف على المنبر وقال: أيُّها الناسُ، أمَّا بعد، فإنِّي وليت أمركم، ولستُ

(١) رواه أبو يعلى (٦٨٢٤)، والطبراني في الأوسط (٢٦٢٩)، وفي «الكبير» (٢٨٠/١٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢٥٢): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى بنحوه، وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم وثَّقه ابن حبَّان وغيره، وضعَّفه جماعة، وبقية رجال أبي يعلى ثقات. وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم. عن الفضل بن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٣) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، عمَّن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

بخيركم، ولكنَّه نزل القرآن وسنَّ النبيُّ ﷺ، وعلَّمنا فعَمِلْنا، واعلموا أيُّها النَّاس أنَّ أكيس الكَيْس الهُدَى، وأن أعجــز العَجْز الفجور، وأنَّ أقواكم عندي الضعيفُ حتَّى آخذ له بحقِّه، وأنَّ أضعفَكم عندي القويُّ حتَّى آخُذَ منه الحقَّ، يا أيُّها النَّاس، إنَّما أنا متَّبع، ولســتُ بمبتدع، فإن أنا أحسنتُ فأعينوني، وإن أنــا زِغتُ فقوِّمونــي، أقول قولي هذا وأســتغفر الله لي ولكم[١]. في أي باب يدخل هذا الإعلان؟ أليس في حقوق الإنسان؟!

وحينما وقف عمر رضي الله عنه على المنبر يقول: من رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقوِّمني. فقال لــه بعض النــاس: واللهِ يا ابنَ الخطَّاب لــو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بحدِّ سيوفنا. فلا يغضب عمر ولا يضطرب، بل يقول: الحمد الله الَّذي جعل في المسلمين من يُقوِّم اعوجاج عمر بحدِّ سيفه[٢].

ويقول لواليه على مصر عمرو بن العاص في قضيَّة القبطي المعروفة: يا عمرو، متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[٣]؟ وهذه الكلمة الَّتي قالها عمر على البديهة في هذا الموقف صارت تُســتفتح بها مواثيق حقوق الإنســان العالميَّة، فأول مادة في ميثاق الحقوق: يولد النَّاس أحرارً متساوين. في أيِّ باب تُوضع هذه الكلمة؟ أليس في حقوق الإنسان؟!

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢١٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤١٥/٩)، وصحح إســناده، عن أنس. تحقيق عبد الله بن عبد المحســن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) ذكره علي بن خلف في كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد (١٩١/١)، تحقيق محمد محمد تامر، نشــر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة. ورواه ابن أبي شــيبة في الزهد (٣٥٦٢٩) بنحوه؛ بدون ذكر السيف.

(٣) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للســيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشــر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

وحينما يقف علي بن أبـــي طالب رضي الله عنه وقد طُعِن من هذا المجوســـي الفاجر الظالـــم عبد الرحمن بن ملجم الَّـــذي طعن عليًّا وهـــو ذاهب إلى الصلاة، ويمســـك النَّاس بالقاتل، فيقول عليٌّ: إن عشت سأحاكمه بنفسي، وإن مِتُّ فضربة بضربة، لا تُعذِّبوه ولا تُمثِّلوا به، وأن تعفوا أقرب للتقوى[1].

في أيِّ باب توضع هذه المبادئ والقيم؟ أليس في حقوق الإنسان؟

تأثر الغرب بالإسلام في مجال الحقوق:

إنَّ حقوق الإنسان في الإســـلام قضيَّة مقررة منذ أوَّل يوم، بل نحن نقول: إنَّ الغربيِّين هم الَّذين تأثَّروا بالإســـلام، فلـــم يكن في تاريخهم حقوق للإنسان، لم يعرف هذا عنهم، كان الظلم هو الفاشي، كان الإقطاع هو الَّـــذي يتحكَّم في الفلاحيـــن ويعتبرهم عبيـــد الأرض، كان الملوك يعتبرون أنفســـهم يحكمـــون بحكم الآلهـــة، كان القسيســـون والرهبان يتحكَّمون في رقاب النَّاس، يُحلُّون ما يشـــاؤون ويحرِّمون ما يشاؤون، يفتحون أبواب الجنَّة لمن شاؤوا ويغلقونها عمَّن شاؤوا.

هكذا كانت أوروبا، لم يكـــن فيها حقٌّ لأيِّ لإنســـان، ولكن بدأ النور يدخل على أهلها حينما امتزجوا بالمســـلمين، امتزجـــوا بهم في الحروب الصليبيَّة، ورأى هؤلاء الهمج الَّذي جاؤوا من أوروبا، واكتسحوا كلَّ شيء، وكانوا كالريح العقيم، ما تذر من شـــيء أتت عليه إلَّا جعلته كالرميم، قتلوا حتَّى المَسِيحيِّين من أمثالهم في الطريق في القســـطنطينيَّة وغيرها، وحينما اقتحموا بيت المقدس غاص النَّاس في الدماء إلى الركب، عشرات الآلاف قتلوا، فأين حقوق الإنسان عندهم؟ حينما انتصر صلاح الدين عليهم لم يُرق دمًا بغير حقٍّ، أوقف القتال بمجرَّد أن انتصر وأعمل روح التَّسامح والعفو.

(١) رواه الشافعي في المسند (٣٣٥) ترتيب السندي، والبيهقي في النفقات (٥٦/٨).

QaradawiBooks.com

لم يكن الأوربيُّون إذن هم صانعي حقوقِ الإنسان؛ حينما مسَّتهم نفحة من الشرق المسلم في هذه الحروب الَّتي سمَّاها علماؤنا (حروب الفِرَنجة)، وسمَّاها الأوربيُّون (الحروب الصليبيَّة).

كما لم يكن الأوربيُّون هم صانعي حقوق الإنسان حينما اختلطوا بالمسلمين في الأندلس، وجاء طلابهم يدرسون العلم عند علماء الأمَّة، هناك في الأندلس الإسلاميَّة، تعلَّموا من ابن رشد، وابن باجه، وابن طُفَيْل، وعرفوا لأوَّل مرَّة أرسطو عن طريق ابن رشد، تعلَّموا من الأندلس، وتعلَّموا من صقليَّة، وتعلَّموا من قنوات شتَّى، وبدؤوا يعرفون شيئًا عن حقوق الإنسان.

ولذلك حينما قامت الثورة الفرنسيَّة كانت مُتَأَثِّرة بالتراث الإسلامي، بالمذهب المالكي، بالفقه المالكي، وقد قالوا: أنَّهم ترجموا (مختصر خليل) في الفقه المالكي، وبعض الكتب المالكيَّة، واستفادوا منها، وقالوا: إنَّ هذا التأثُّر ظهر بوضوح لكلِّ دارس في قانون نابليون. نحن الَّذين علَّمناهم هذه الحقوق، وليسوا هم الَّذين علَّمونا إيَّاها، صحيح أنَّهم تقدَّموا وتخلَّفنا، واستيقظوا ونمنا، وتحرَّكوا وقعدنا، وأصبحنا في ذيل القافلة بعد أن كنَّا في مقدِّمتها، هذا صحيح، ولكن هذا لا يُبطل الحق، ولا يُحق الباطل، إنَّ عندنا من تراثنا الكثير والكثير، الَّذي يجعل لحقوق الإنسان منزلة أي منزلة، ووزنًا أي وزن.

خصائص حقوق الإنسان في الإسلام:

على أنَّ حقوق الإنسان عندنا تتميَّز بخصائص لا تتميَّز بها حقوق الإنسان عند الغربيِّين، من هذه الخصائص:

QaradawiBooks.com

١ ـ الشمول:

تتميَّز هذه الحقوق بالشمول، فهي حقوق ماديَّة ومعنويَّة، رُوحيَّة وعقليَّة وجسميَّة، فرديَّة واجتماعيَّة، كل الحقوق موجودة في الإسلام، من حقِّ عقل الإنسان أن يفكر، ومن حقِّ روح الإنسان أن تتديَّن وتتعبَّد، ومن حقِّ جسد الإنسان أن يستريح، ومن حقِّ الإنسان أن يلهو ويلعب، كل الحقوق يرعاها الإسلام.

٢ ـ التوازن:

وحقوق الإنسان في الإسلام متوازنة، لا يطْغى فيها حقٌّ على حق، حينما رأى النبي ﷺ بعض أصحابه يغالي في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل، ويهمل بعض شؤونه الخاصَّة، يهمل شؤون نفسه، ويهمل شؤون زوجه، ويهمل شؤون من حوله، وكان منهم عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له: «**يا عبد الله، إنَّ لجسدك عليك حقًّا** ـ أي في الراحة ـ **وإنَّ لعينك عليك حقًّا** ـ أي في النوم، فلا تقم الليل كلَّه ـ **وإنَّ لأهلك عليك حقًّا** ـ أي في الإمتاع والمؤانسة ـ **وإنَّ لزورك عليك حقًّا** ـ أي في المشاركة ـ **فأعْط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**»[1]. لا بُدَّ من التوازن بين الحقوق بعضها وبعض، بين حظِّ النفس وحقِّ الرَّب، لا تُعطي للربِّ حقَّه وتنسى حظ نفسك، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص: ٧٧]، لا تُعط الحقَّ لنفسك وتنسى غيرك، لا بُدَّ أن توازن بين الحقوق كلِّها، فحقوق الإنسان في الإسلام حقوق شاملة تشمل كلَّ شيء، وحقوق متوازنة لا يطغى بعضها على بعض.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

٣ ـ الثبات:

وحقوق الإنسان في الإسلام ثابتة لا تزول؛ لأنَّ مصدرها وأساسها ربَّاني، ليس مصدرها مجرَّد فكرٍ إنساني؛ ولهذا تسمَّى حق القانون الطبيعي، أو العدالة الطبيعية، أو العقد الاجتماعي، أو سمِّه ما تسميه، فما قاله رسو أو فولتير أو فلان أو فلان، هذا فكر بشري يسعنا أن نقبله، ويسعنا أن نرفضه، أمَّا هذه الحقوق فهي أمر الله ﷻ، هي شرع الله، هي حكم الله، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فليس من حقِّ أحد أن يرفض حقوقَ الإنسان في الإسلام؛ لأنَّها حقوق ربَّانيَّة جاءت بها شريعة ربَّانيَّة، جاءت بها أوامر الله ونواهيه، فهي حقوق مُقدَّسة، لا يستطيع مسلم أن يُنكرها، أو يلغيها.

٤ ـ الإلزام:

ومن خصائص حقوق الإنسان في الإسلام: أنَّ الإسلام ارتقى بها فجعلها واجبات وفرائض، ما يعتبره الغربيُّون مجرَّد حقوق، يعتبره الإسلام واجبات وفرائض، الغربيُّون يقولون: حقُّ التعبير، حقُّ النقد أو المعارضة. والحقُّ يمكنك أن تتنازل عنه، تقول: هذا حقِّي إن شئتَ عملتَ بهذا الحقِّ وإن شئتَ تركتَه.

أمَّا الإسلام، فيقول لك: إذا رأيتَ منكرًا شائعًا، أو معروفًا ضائعًا: يجب عليك أن تعبِّر، وتُنكر المنكر، وتُعرِّف المعروف، فليس هذا مجرد حقٍّ لك، بل هو حقٌّ لك وواجبٌ عليك أيضًا، إذا لم يقم به أحدٌ غيرك ففرضٌ عليك أن تنكر المنكر، وتأمر بالمعروف على قدر استطاعتك، كما جاء الحديث: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع**

QaradawiBooks.com

فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]. لا بُدَّ أن تقوم بهذا الواجب.

هكذا اهتمَّ الإسلام بحقوق الإنسان وجعلها واجبات وفرائض، والفرض لا يستطيع الإنسان أن يتنازل عنه، بل لا بُدَّ أن يؤديه بقدر استطاعته، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولهذا حقَّق الإسلام هذا الأمر وثبته عن طريق رعاية الواجبات، فإذا رعى النَّاس الواجبات أُدِّيت الحقوق؛ لأنَّ حقَّ الفقراء في أموال الأغنياء واجبٌ على الأغنياء، وحقُّ العمال عند أرباب العمل واجبٌ على أرباب العمل، وحقُّ الأُجراء عند مُلَّاك العقارات والمساكن واجب على مُلَّاكها، وحقُّ الشعوب واجبٌ على الحكام، فلو أدَّى الحكام واجباتهم، وأدَّى الأغنياء واجباتهم، وأدَّى المُلَّاك واجباتهم، وأدَّى أرباب العمل واجباتهم، رُعِيَت الحقوق بطبيعة الحال.

ولذلك حرص الإسلام على أن يأمر النَّاس بأداء الواجبات الَّتي كلَّفهم الله بها ورتَّب عليها الثواب والعقاب، وقامت من أجلها سوق الجنَّة والنَّار، رعاية الواجبات وأداء الفرائض، هذا الَّذي به تُرعى الحقوق.

ولذلك تخالف نظرة الإسلام إلى الإنسان نظرة الغربيِّين إليه، فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مكلَّف، مُبْتَلًى بالتكليف، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢] نبتليه بالتكليف، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، أن يُترك بلا أمر ولا نهي؟ لا، فالله أمره ونهاه، هو إنسان عليه التزامات وواجبات.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

أمَّا الإنسان في الغرب فهو مخلوقٌ له حقوق فقط، كأنَّما الواجبات هذه غير موجودة، دائمًا ما يقولون: حقُّ الإنسان، وحقُّ الطفل، وحقُّ المرأة، وحقُّ العامل، وحقُّ كذا. لا توجد واجبات.

لكن الإسلام يوازن بين الحقوق والواجبات، فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مكلَّف، نقول: مطالَبٌ مسؤول، وهو عند الغربيِّين مطالِبٌ سائل، الإنسانُ في الغرب يقول: ماذا لي؟ والإنسانُ في الإسلام يقول: ماذا عليَّ؟ وفرقٌ كبير بين مَنْ يقول: ماذا لي. ومَنْ يقول: ماذا عليَّ؟ فالأول همُّه نفسُه، يدور حول ذاته، يعيش لمصلحته، أمَّا الثاني فهو يفكر في الآخرين، ماذا يعمل لهم؟ ما واجبه نحوهم؟ هذه هي خصائص حقوق الإنسان في الإسلام.

ضمانات حقوق الإنسان في الإسلام:

ولحقوق الإنسان في الإسلام ضمانات لا توجد عند الغربيِّين.

١ ـ الفرد:

كلَّف الإسلام الفرد المسلم أن يدافع عن حقوقه، ألَّا يفرِّط فيها، خصوصًا ما يتعلق بهُويته، وما يتعلق بكرامته، وما يتعلق بعزَّته، ينبغي ألا يفرط في هذا أبدًا، جاء في الحديث الَّذي رواه حُذَيْفة عن النبي ﷺ قال: «**لا ينبغي لمسلم أن يذلَّ نفسه**». قيل: وكيف يذلُّ نفسه؟ قال: «**يتعرَّض من البلاء لِما لا يُطيق**»[(١)]. لا يذلُّ نفسه فهو عزيز، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، لا يُفرِّط في كرامته، لا ينحني لأحد،

(١) رواه أحمد (٢٣٤٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٩٧)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

إنَّما ينحني لله راكعًا، أو يُعفِّر جبهته لله ساجدًا، وما عدا ذلك فالناس سواسية، النَّاس كلهم عبيد لله، وأبناء لآدم.

علَّم الإسلام المسلم ألَّا يُفرِّط في حقِّه، حقِّ كرامته وحقِّ عزَّته، وإذا رأى الظلم في بلد ما وعجز عن أن يقاومه، يحاول أن يهاجر إن استطاع إلى ذلك سبيلًا، وإلا كان ظالمًا لنفسه، وعرضها لعذاب الله وسخطه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩]. إذا كان له سبيل ووجد حيلةً للخروج من الظلم فليخرج، يطلب اللجوء السياسي، يهاجر حيثما استطاع.

ومعنى ذلك أنَّه يجب عليه ألا يخضع لشروط ظالمة تُمْلى عليه، أو لوضع يحرمُه حقوقه: حقُّه في العبادة، وحقُّه في التنقل، وحقُّه في الحياة الحرة الكريمة، لا يجوز أن تختـرق عليه داره أو يدخل عليه النَّاس الَّذين يُسمَّوْن بزوَّار الفجر، وأنا أقول: هؤلاء ليسوا بزوار الفجر، أنَّهم زوَّار الظلام، لا يستحقُّون أن ينسبوا إلى الفجر، يدخلون على النَّاس، يأخذون الشخص من الدَّار إلى النَّار، ولا يعلم أحدٌ به، إذا كنت في بلد ليس لك فيها حق يُصان ابتعد عنها إن استطعت، المسلم عليه أن يدافع عن حقِّه، يقاوم ما استطاع.

٢ ـ المجتمع:

إذا كان على الفرد أن يقاوم من أجل حقوقه، فكذلك على الضمير الاجتماعي للمجتمع المسلم أن يساعد الفرد على أن يأخذ حقَّه، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

QaradawiBooks.com

والنبي ﷺ يقول: «**إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب منه**»[١]. فالساكت عن الظلم ظالم أيضًا، الساكتُ عن الحقِّ شيطان أخرس، وما أكثر الشياطين الخُرس في مجتمعاتنا، وإنَّما ضاع الحق؛ لأنَّ أناسًا يتكلمون بالباطل، وآخرين يسكتون عن الحق، فعلى المجتمع مسؤوليَّة، كما جاء في الحديث الَّذي رواه عبد الله بن عمرو قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا رأيتَ أُمَّتي لا يقولون للظالم منهم: أنت ظالمٌ؛ فقد تُودِّعَ منهم**»[٢]. أي: لا خير فيها، يستوي وجودُها وعدمُها، إذا فقدت الأمة هذا النوع من الرجال الَّذين يقولون: هذا حرام، وهذا لا يجوز. فلا خير فيها، تُودِّع منها، فعلى المجتمع أن يدافع عن الحقوق.

٣ ـ الدولة:

كما يجب على الدولة ممثَّلة في أجهزتها المختلفة أن ترعى بسلطان القانون، بالقضاء: حقوق الإنسان، لأبنائها جميعًا. كان القضاء الإسلامي يحكم على الوزراء والأمراء؛ بل الخلفاء، يحكم ضدَّ الخليفة لصالح فرد من الرعية، هكذا كان المسلمون، يحكم القضاء على الخليفة لصالح أهل الذمَّة من اليهود ومن النصارى.

وفي تاريخنا الإسلامي أمثلة ووقائع كثيرة، وقف فيها السلطان أو الخليفة أمام القاضي: مدَّعِيًا، أو مدَّعًى عليه، وفي كثير منها كان الحُكم

(١) رواه أحمد (١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي في الفتن (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

(٢) رواه أحمد (٦٧٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والبزار (٢٣٧٤، ٢٣٧٥)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٧٧)، عن عبد الله بن عمرو.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

على الخليفة أو السلطان؛ لصالح فرد من أفراد الشعب، لا حَوْل له ولا طَوْل، ونكتفي هنا بمثال واحد له دلالته الواضحة في موضوعنا:

سقطت درع أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فوجدها عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شُرَيْح يُخاصمه، قال عليٌّ: هذا الدرع درعي، ولم أبِعْ ولم أهَبْ. فقال شُرَيْح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلَّا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شُريح إلى عليٍّ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هل من بيِّنة؟ فضحك عليٌّ وقال: أصاب شُريح، ما لي بيِّنة. فقضى بها شُريح للنصراني. قال: فأخذها النصراني، ومشى خُطًا، ثمَّ رجع فقال: أمَّا أنا فأشهد أنَّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتَّبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق. فقال عليٌّ: أمَّا إذ أسلمت فهي لك. وحمله على فرس[1]. كلُّ هذا ضمان لبقاء حقوق الإنسان، وصيانة حقوق الإنسان، واستمرار حقوق الإنسان.

خاتمة:

هذا ما جاء به الإسلام أيُّها الإخوة في شأن حقوق الإنسان، وهي حقوق مرعيَّة ومقرَّرة، ومن حقِّ المسلمين أن يفخروا بأنَّ دينهم قرَّر هذه الحقوق، وعليهم أن يطالبوا بها، وأن يوعُّوا بها أنفسهم وأبناءهم وناشئتهم، عليهم أن يُبيِّنوا للنَّاس أنَّ الإسلام لم يُضِعْ هذه الحقوق، ولم

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨٦/٤٢، ٤٨٧)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

يهملها؛ بـــل رعاها، ودَعَا إليها، وحثَّ علـــى المدافعة عنها، والمحافظة عليها؛ لأنَّ الأمم تحيا بها، إذا ضاعت حقوق الإنسان في أمَّة فقد ضيَّعنا الأمة كلَّهـــا؛ لأنَّ الأمَّـــة ما هي إلَّا أفـــراد، فإذا ضاعت حقـــوقُ الأفراد وضاعت حرماتهم، ولم يُرعَ لهم دم ولا مال، ولا عرض ولا كرامة، ولم يرعَ حقُّهم في الحياة، ولا حقُّهم في التعلم، ولا حقُّهم في عبادة الله: فقد ضاعت الأمَّة.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، إنَّه سميع قريب، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الهرولة نحو إسرائيل:

طالعتُ الصحف، وشـاهدت التليفزيون في الأيام الماضية، فهالني شـيء لا بُدَّ أن أصارحكم به، هالتني هذه الهرولة العجيبة نحو الكيان الصهيوني، الغاصب الباغي المعتدي، الَّذي لا يزال يؤذي الفلسـطينيين بكل ما يستطيع، إنَّه يُدمِّر عليهم حياتهم، يحاصرهم بكلِّ أنواع الحصار، يقتل منهم ويغتال، ويُدمِّر بيوتَهم، ويفعل بهم الأفاعيل، ومع هذا وجدت كثيرًا من البلاد تهرول نحو إسرائيل، لماذا هذا؟!

يذهب وزير الخارجيَّة الإسـرائيلي من بلد إلى بلد، ويحضر مؤتمر هنا، ويحضر لقاءً هناك، وأرى في باكستان وفدًا يتكون من مائة وستين أو أكثر من الباكسـتانيين يذهب إلى تل أبيب، أي شـيء هذا؟ ما هذا الخبل؟ ما هذا الجنون الَّذي أصاب الأمَّة؟! أين غضبة الأمَّة الإسـلاميَّة للمسـجد الأقصى، أين غضبتهـا لبيت المقدس؟ أيـن غضبتها لأرض النبوات؟ وأرض الإسراء والمعراج؟!

ماذا فعلت إسرائيل حتَّى تُكافأ بهذا التقارب؟ لم تفعل إسرائيل شيئًا، وكل أمرهم كلام في كلام، مسـيرة السلام كلام في كلام، هذا هو الَّذي رأيناه حتَّى الآن، ورغم تنازل أبي مازن واقترابه منهم لم نرَ شـيئًا على أرض الواقع.

هؤلاء يريدون أن يأخذوا ما يشاؤون، ولا يعطون شيئًا، وكل الأمر تسـويف في تسـويف، لا خريطة الطريق، ولا الدولة الفلسـطينية،

QaradawiBooks.com

ولا أي شـــيء، ولا يزال الجدار العـــازل مســـتمرًّا، لا تزال الأرض الفلســـطينيَّة تُغتصب، ولا يزال المكر اليهودي بالمســـجد الأقصى والحفريات تحته قائمة.

كلُّ هذا الظلم لا يـــزال قائمًا، ويزداد يومًا بعد يـــوم، فلماذا تقترب بعض الدول العربيَّة والإســـلاميَّة من هذا العـــدو الغاصب؟! هل قدَّموا شيئًا يستحقُّون به أن نقترب منهم؟ لم نرَ شيئًا على أرض الواقع.

والله إنِّي أشـــكو إلى الله هؤلاء الَّذين يقتربون مـــن هؤلاء الظالمين، بدل أن يدعوا عليهم ويقولوا: اللهمَّ خلِّص الأرض من شرِّهم، أو اللهمَّ اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين.

إلى الله نشـــكو هؤلاء، وليس لنا إلَّا الله ﷻ، وليس لنا بعد ذلك إلَّا هذه الشعوب المسلمة، والجماهير المؤمنة، فهي الَّتي تحسُّ بهذا الظلم الَّذي يحزُّ في قلبها، بهذه الحرارة والمرارة، وتحسُّ بهذه الجراح تُدمي صدورها ألمًا، ليس لنا بعد الله إلّا هذه الشعوب.

نسأل الله ﷻ أن يُنير بصائرَ الجميع، وأن يُرِيَهم الحقَّ حقًّا ويرزقهم اتِّباعه، وأن يريَهم الباطلَ باطلًا ويرزقهم اجْتنابه؛ إنَّه سميعٌ قريب.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

العلاقات الجنسيَّة بين الإسلام والغرب

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في مؤتمر السُّكَّان الَّذي عُقد أخيرًا بالقاهرة، تبين لنا أن هناك حضارتين مختلفتين متمايزتين، إحداهما تُشرِّق، والأخرى تُغرِّب، الحضارة الغربيَّة هي السائدة اليوم بفلسفتها ومفاهيمها وتقاليدها، وتكاد تحكم العالم كله اليوم.

والحضارة الأخرى الَّتي تخالفها، وهي ضمن حضارات أخرى مخالفة، ولكنها الحضارة الأولى المتميزة بمخالفة حضارة الغرب في الأسس، وفي الفلسفة، وفي النظرة إلى الوجود، وإلى القيم، وإلى الحياة والإنسان والكون، وإلى ربِّ الحياة وبارئ الكون وخالق الإنسان، هذه الحضارة هي الحضارة الإسلاميَّة، حضارة الإسلام المنبثقة عن عقائد الإسلام، وشرائع الإسلام، وأخلاق الإسلام، ومفاهيم الإسلام.

خلاف حضاري:

تَبيَّن هذا الخلاف بين الحضارتين في أمور كثيرة، من أهم هذه الأمور: النظرة إلى العلاقات الجنسيَّة، الحضارة الغربيَّة لا ترى بأسًا

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٩٤م

QaradawiBooks.com

ولا حرجًا في أن يلتقي الرجل بالمرأة متى شاءا، متى شاءت شهواتهما وأهواؤهما، لا قيد عليهما، لا ضابط ولا رابط كما يلتقي الحمار والأتان، كما يلتقي الثور بالبقرة، كما يلتقي التيس بالعنزة، كما يلتقي الديك بالدجاجة، كذلك يلتقي الرجل والمرأة في ظل هذه الحضارة، ليس هناك حرج، وليس هناك قيود، بالعكس أصبحت العفَّة قيمة ساقطة في سوق الشهوات المُسْتَعِرَة في تلك الحضارة، لا معنى للعفَّة ولا للإحصان.

في بلادنا تُعيَّر الفتاة، بل ربما تُقتل إذا فقدت عذريتها وبكارتها، أمَّا هناك فتُعيَّر الفتاة إذا بلغت خمسة عشر سنة وهي لا تزال عذراء بكرًا إلى اليوم، لا صديق لها ولا رفيق، معنى هذا أنَّها سلعة مرغوب عنها، لا يرغب فيها أحد، ولا يُقبِل عليها أحد، هذه هي الحضارة الغربيَّة، لا عفَّة، لا إحصان.

قيمة العفة والعرض والشرف في الحضارة الإسلامية:

نحن عندنا العفة فضيلة من أولى الفضائل، هذا الأمر عندنا يتعلق بشرف الأسرة، بالعرض، بالكرامة، كرامة الشخص، وكرامة أسرته، وكلمة العرض هذه لا يعرفها هؤلاء، إنَّها من الكلمات الَّتي اختصت بها اللغة العربيَّة، وكما قال بعض العارفين: إنِّي بحثت عن كلمة تساوي أو ترادف كلمة العرض في اللغات الغربيَّة فلم أجد.

العرض الَّذي يغار عليه الإنسان، ويدافع عنه إلى حد الموت، «**مَنْ قُتل دون أهله فهو شهيد**»[1]، كمن قُتل دون نفسه، أو دون ماله، أو دون دينه، إلى حد أن يقاتل الإنسان فيُقتل دفاعًا عن عرضه وشرفه.

(١) رواه أحمد (١٦٥٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في السنة (٤٧٧٢)، والترمذي في الديات (١٤٢١)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في تحريم الدم (٤٠٩٥)، عن سعيد بن زيد.

QaradawiBooks.com

يقول الشاعر:

أَحْتَــالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَكْسِــبُهُ ولستُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ
أَصُــونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُــهُ لَا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ[1]

يحتال للمال إن ذهب وفَنِيَ، أمَّا إذا ذهب العِرْضَ فلا حيلة معه.

إطلاق الحضارة الغربية العنان للشهوات:

الحضارة الغربيَّة ليس فيهــا قيمة للعفة ولا للعرض، ولذلك أطلقت العلاقة بين الجنســين كلأً مباحًا، يرعاه مَنْ يشــاء، حتَّــى في الحدائق والميادين العامة والشــوارع والطرقات، دعك من علب الليل، دعك من المراقص والملاهي المغلقة وشــبه المغلقة، حتَّــى الميادين والطرقات أباحوا العلاقات الجنسيَّة دون ارتباط بأسرة، دون ارتباط بزواج.

وقالوا: لماذا لا نطلق العِنَان للجنسَيْن؟ لماذا نقف عائقًا ضد أن ينال كل منهما ما يشــتهي مــن صاحبه؟ لمــاذا نحييهما تحــت تأثير عقــد الكبت والحرمان؟ دعــوا الحبــل على الغــارب، اتركــوا الحرية للذكــر والأنثى ـ ولا أقول: للرجل والمرأة ـ لينال كل واحد من صاحبه ما يشتهي وما يحب أن يناله، حتَّى تنحل العقدة، ويصبح الأمر طبيعيًّا في العلاقات بين الجنسين.

آثار انتشار الإباحية على المجتمع الغربي:

وقد صار لهم عشــرات السنين، وعشرات وعشــرات، ومع هذا لم تنحل العقدة، لم ينطفئ الســعار؛ بل ازداد، فإن هــذا الأمر لا يُطفَأ، إنَّ الإنسان كلما ازداد منه شُربًا ازداد عطشًا، العلاقات الجنسيَّة رغم تركها على الحُرِّيَّــة والإباحيَّة كما يقولون لم تَحُلَّ العُقَد، الأمور تزداد ســوءًا

(١) ديوان حسان بن ثابت صـ١٩٢، شرح عبد أ. مهنَّا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

حتَّى شكا العقلاء منها، وسلَّط عليهم من الأمراض ما أصبحنا كلنا عليمين به.

من هذه الأمراض مرض نقص المناعة (الإيدز) الَّذي لم يجدوا له علاجًا، والَّذي أصبح يهددهم في حياتهم وينتشر انتشار النار في الهشيم، وأصبح المصابون به بالملايين، هؤلاء هم الَّذين يُعرفون، أمَّا الَّذين يحملون جراثيم المرض وفيروساته دون أن يُعرفوا فهم ملايين أكثر، وهو ينتشر كل يوم ويزداد انتشارًا.

أصبح هذا المرض يهددهم، وصدقت نبوءة رسول الله ﷺ حين قال: «**لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ حتَّى يُعلنوا بها؛ إلَّا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ الَّتي لم تكن في أسلافهم الَّذين مضوا**»[1]. فشا فيهم الطاعون، وهم يُسَمُّون الإيدز (الطاعون الأبيض)، عقوبة الفطرة، عقوبة القدر، انحرفوا فسلط الله عليهم هذه الأمراض.

اعتدال نظرة الإسلام للعلاقة الجنسية:

الإسلام يقف من هذا الأمر موقفًا معتدلًا، لا ينظر إلى العلاقة الجنسيَّة كما تنظر إليها النصرانيَّة المُحرَّفة، أنَّ العلاقة الجنسيَّة شيء قذر، شيء يُنظر إليه باشمئزاز واستقذار، حتَّى لو كانت العلاقة حلالًا.

ولذلك؛ فالإنسان المثالي في نظر النصرانيَّة هو الراهب الَّذي يعتزل الحياة، وينقطع في الصومعة، ولا يتزوج ولا يعرف الأسرة، وهذا ما كان عليه الرهبان في أوروبا في العصور الوسطى، كانوا ينفرون من المرأة أيًّا كانت المرأة، حتَّى المرأة الأم، والمرأة الأخت، والمرأة الزوج، كانوا

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٥٤٠/٤)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ينفرون من ظل المرأة ويعتبرونها رجسًا من عمل الشيطان، العلاقة الجنسيَّة أمر قذر في نظر المَسيحيَّة المُحرَّفة.

قابل هذا الغلو غلو آخر باعتبار العلاقة الجنسيَّة أمرًا مباحًا بلا قيود ولا شروط.

والإسلام وقف الموقف الوسط دائمًا، فجعل العلاقة الجنسيَّة مشروعة، ولكن في حدود الزواج، وفي إطار الأسرة، في إطار هذا الرباط الَّذي ربط الله به بين الذكر والأنثى. رباط الزواج.

لماذا حرَّم الإسلام الزنى؟

حرَّم الإسلام السفاح، حرَّم الزنى واعتبره كبيرة من الكبائر، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ذكر القرآن هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء: ٣١]. وقبل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣]. بين النهي عن قتلين نهى عن القرب من الزنى، كأن الزنى نوع من القتل، فالإنسان يقتل نفسه حينما يصبح عبدًا لشهواته، حينما لا يستطيع أن يعف نفسه، حينما لا يستطيع أن يقيدها بحلال الله وحرامه.

كما يقتل الإنسان المجتمع حينما تشيع فيه هذه الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وحينما تختلط الأنساب حينما تخون الزوجة زوجها، ولا يعرف الرجل: هل يُربِّي ابنه حقيقة، أم هو يُربِّي ابنًا لإنسان آخر؟ في هذا المجتمع تختلط الأنساب، وتروج الشهوات، وفي هذا المجتمع يبيع الإنسان شرفه، ويبيع وطنه، ويبيع أعظم ما يحرص عليه النَّاس من أجل شهوته، وهذا خطر، خطر على الفرد، وخطر على الأسرة، وخطر على المجتمع، وخطر على الاقتصاد، وخطر على الأخلاق.

QaradawiBooks.com

لهذا حرَّم الإسلام الزنى، بل حرَّم مجرد الاقتراب من الزنى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ﴾، فحرَّم الزنى وحرَّم كل ما يؤدي إليه، حرَّم خلوة الرجل بامرأة وحدهما، فهناك مَنْ يزعم أنَّه ملاك مُطهَّر أو نبي معصوم، وأنَّنا نُقرِّب النار من الكبريت ولا تحترق ولا خوف عليه، هذه خرافة، فالإنسان هو الإنسان، والغرائز هي الغرائز، ولها سلطانها وحكمها، والإسلام دين واقعي، لهذا حرَّم الخلوة.

وحرَّم التبرج، وأمر النساء أن يلتزمن الحشمة، ولعن الكاسيات العاريات المائلات المميلات، أمر بالاحتشام، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، آداب تُطهِّر المجتمع من أسباب الإغراء والفتنة.

تربية المسلم والمسلمة على العفاف والفضيلة:

وإلى جوار هذا كله يُربي الإسلام المسلم والمسلمة على العفاف والإحصان بدافع ذاتي، بخوفه من الله، بمراقبته لربه، حتَّى إنَّ الشهوة لتُعرض عليه فيرفضها ويركلها بقدميه، ويقول: إنِّي أخاف الله رب العالمين. كما فعل يوسف عليه السلام حينما عرضت عليه امرأة العزيز نفسها، وغلَّقت الأبواب، وهيَّأت الأسباب، وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وحينما لم يفلح معه سلاح الإغراء توجَّهت إلى سلاح التهديد، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۞ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٢، ٣٣]، التربية للإنسان المؤمن والإنسانة

QaradawiBooks.com

المؤمنة، حتَّى إنَّه لتتيسر أمامه سبل الحرام، فيرفضها طائعًا مختارًا، وترفضها المؤمنة طائعة مختارة.

راود رجل جارية عن نفسها، فأبت ورفضت، فقال لها: ما لك ترفضين ولا يرانا أحد إلَّا الكواكب؟ فقالت له: ويحك! وأين مُكوكبها ومُسيِّرها[1]؟ فاستحى وتركها، هذه التربية الفرديَّة الإيمانيَّة، ثمَّ التربية الاجتماعيَّة، والتطهير الاجتماعي من أسباب الفتنة والإغراء.

ثم هناك شيء آخر: تيسير الحلال للناس، فتح باب الزواج على مصراعيه، وإزالة العوائق من طريقه، ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

سورة النور وآداب الأسرة:

بعض النَّاس يظن أنَّ الإسلام لم يقاوم الزنى إلَّا بإقامة الحدِّ، لا، فسورة النور الَّتي عُنيت بالأسرة، وبآداب الأسرة والحفاظ على العرض ذكرت الحدَّ في آية واحدة: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، أمَّا سائر السورة فرسمت منهاجًا للحفاظ على العرض للحفاظ على الحياة الشريفة النظيفة الطاهرة، وذلك حينما أمرت الرجال والنساء جميعًا بغض الأبصار، وحفظ الفروج، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠، ٣١]، ذكرت السورة هذه التربية، وذكرت تطهير المجتمع من أسباب الفتنة.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٥٣).

QaradawiBooks.com

كما ذكرت السورة الوقوف ضد إشاعة الفاحشة في المجتمع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وذكرت آدابًا اجتماعيَّة في لقاء النَّاس وتزاورهم بعضهم لبعض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

حتى آداب الأطفال والخدم في البيت ذكرتها: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٨، ٥٩].

ثمَّ ذكرت تزويج الصالحين والصالحات من العباد والإماء: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]. فمن لم يستطع أن يتزوج فليستعف: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

هذه هي نظرة الإسلام إلى هذه القضيَّة، اعتبر الزنى جريمة خطيرة، وكبيرة من الكبائر الَّتي تهدد المجتمع، ولهذا يقول النبيُّ ﷺ: «**يا شبابَ قريش، لا تَزْنوا، أَلَا من حفظ فرجَه فله الجنَّة**»(١).

ويروي البخاري عن سهل بن سعد عن النبيِّ ﷺ قوله: «**مَنْ يضمن لي ما بين لحيَيْه وما بين رِجْلَيْه أضمن له الجنَّة**»(٢). ما بين لحييه: هو

(١) رواه الحاكم في التوبة (٣٥٨/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٥٠٤٢)، عن ابن عباس.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٤)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

اللســـان والفم، وما بين رجليه: هو الفرج، مَنْ حفظ نفســـه من شهوتي البطن والفرج، أو شهوتي الكلام والفرج ضمن له النبيُّ ﷺ الجنَّة.

هذا هو نظر الإسلام إلى هذه القضيَّة، حرَّم السفاح من ناحية، وحرَّم الرهبانية من ناحية أخرى، فلا رهبانية في الإسلام، لا يجوز للإنسان أن يتبتل ويترك الزواج، أراد بعض الصحابة أن يتبتلوا ويتعبدوا في الصوامع كما يفعل النصارى؛ فنهاهـــم النبيُّ ﷺ[1]. هذا الديـــن دين حياة، ودين كفاح، لا مكان فيه لصومعة، لا مكان فيه لاعتزال.

الأسرة هي محضن الحياة الاجتماعية المستقرة:

الأســـرة هي المحضن الطبيعي للحياة الاجتماعيَّة المستقرة، الأسرة هي الخلية الأولى فـــي البناء العضـــوي للمجتمع، لا يمكـــن أن يقوم مجتمع بدون أســـرة، ولا يمكن أن تســـتمر الحياة بدون أســـرة، وهذا ما حرص عليه الإسلام وأقام عليه الحياة الأُسريَّة.

الأسرة هي هذا المورد العذب، هي الحياة الدافئة، الحياة الَّتي تُظِلُّ شـــخصَيْن بظلال الســـكينة والمودَّة والرحمة، وهذه هـــي قواعد الحياة الزوجيَّة كما قرَّرها القـــرآن الكريم: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. المـــرأة من نفس الرجل، كمـــا أنَّ الرجل من نفس

(١) إشـــارة إلى الحديث المتَّفق عليه عن أنـــس، أنَّ نفرًا من أصحاب النبي ﷺ ســـألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا آكل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام علـــى فراش. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قـــال: «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنِّي أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**». رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح.

QaradawiBooks.com

المرأة، كما قال الله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل.

الرجل والمرأة متكاملان لا متنافسان:

ولذلك في الإسلام الرجل ليس منافسًا للمرأة، ولا ندًّا لها، ولا خصمًا لها، هو منها وهي منه، هو يُكمِّلها وهي تُكمِّله، ولا يستطيع أحد أن يعيش بدون امرأة، ولا تستطيع امرأة أن تعيش بدون رجل، ومنذ خلق الله الإنسان الأوَّل آدم عليه السلام خلق له من جنسه امرأة، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقال له: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩].

الإنسان في حاجة إلى نوعين من السكن: سكن مادي يسكن فيه، وسكن معنوي يسكن إليه، هذا السكن المعنوي هو الحياة الزوجيَّة، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده.

نظر الغربيُّون إلى الرجل والمرأة على أنَّهما متنافسان متخاصمان، كلٌّ منهما يريد أن يغلب الآخر، وأن يسبق الآخر، وكانت النتيجة أن أصبحت المرأة في الغرب تبحث عما سموه التحرر، أو تحرير المرأة من سلطان الرجل، ويكون لها من الحقوق ما له، إلى آخره.

هل تحررت المرأة الغربية؟

وتحرَّرت المرأة، أو قل في الحقيقة: تحلَّلت المرأة. وذهبت هنا وهناك، واستطاعت أن تزاحم الرجل بالمناكب، لأنَّ الرجل تركها وشأنها، فلو لم تجد عملًا لهلكت من الجوع؛ لأنَّ أحدًا لن يتولَّاها، ولن يتكفل بها، ولن يتحمَّل نفقتها، فلا بدَّ أن تلهث وراء العمل أيًّا كان هذا العمل حتَّى تضمن لنفسها العيش.

QaradawiBooks.com

ثم لا بدَّ أن تبحث عن رفيق لهـا، الجميلة يتهافت عليها الكثيرون، أمَّا غير الجميلة فلا يتهافت عليها الآخرون، بل هي الَّتي تتهافت عليهم فتصبح مبتذلة، سلعة غير مرغوب فيها، وهكذا نجد أحيانا بعض الرجال يتقاتلون على بعض النسـاء، إلى أن يقتل بعضهم بعضًا من أجل امرأة، ونساء أخريات لا يجدن أحدًا.

هذه نتيجة الحضارة الغربيَّة، أصبحت الأسـرة شـيئًا على الهامش، وأصبح الزواج قليلًا، والطـلاق كثيرًا وكثيرًا، وأصبـح الإنجاب قليلًا ونادرًا، وأصيب النَّاس بالعقم.

ولهذا أصبحـت أوروبا وأمريـكا تخافان من النقص المسـتمر في بلدانهمـا، ومن النمـو المتزايد فيما سـمَّوه العالم الثالـث، وأصبحوا يُحاولون أن يعالجوا المشكلة بمشكلات أخرى.

من ضمن ما عالجوا به هذه المشـكلة ـ نقص الإنجاب ـ ما سمَّوه (أُمَّهات للإيجار)، وبعبارة أخرى (أرحام للإيجار)، أن تُستأجر امرأة، أو تُستأجر أم، أو يُستأجر رحم امرأة بعشرة أو عشرين ألف دولار؛ لتحمل المرأة لامرأة أخرى، تأخـذ البويضة الملقحة من زوجهـا لتحملها في بطنها، وبعد أن تلد تُسلِّم المولود للمرأة الَّتي لم تتعب في الحمل؛ كيف تكون هذا أُمًّا ولم تحمله كُرهًا، ولم تضعه كُرهًا، ولم تتعب فيه، لا في الحمل، ولا في الطلق، ولا في الوضع، تأخذه جاهزًا؟!

وقد حدث أن إحداهن بعد أن حملت وتعبت تسعة أشهر رفضت أن تسـلم الطفل للأم المزعومة صاحبة البويضة، وهربـت بطفلها إلى أن قُبض عليها، وأصبح هناك جدل: مَنْ الأم؟ هل الأمُّ هي صاحبة البويضة، أم هي الَّتي حملت وتعبت وولدت؟

QaradawiBooks.com

خلل العلاقة بين الرجل والمرأة في الغرب:

كل هذا نتيجة هذا الخلـل الَّذي حدث في هذه الحضـارة، المرأة أصبحت تنافس الرجل، ووصلت إلـى ما وصلت إليه، ولكنها لم تصل إلى السعادة، المرأة العاملة هناك يُسميها بعضهم الجنس الثالث، أي إنَّها ليست من جنس النساء ولا من جنس الرجال، أصبح هناك جنس ثالث، فقدت المرأة أنوثتها ونعومتها وطراوتها، ولكنها لم تصل إلى أن تكون رجلًا، فهي بين بين، هي الجنس الثالث، هذا ما وصلت إليه المرأة.

نماذج غربية واقعية:

لم تصل المرأة فـي الحضـارة الغربيَّة حتَّى في أوج شـهرتها إلى السعادة. الممثلة الأمريكيَّة الشهيرة الَّتي كانت نجمة الجماهير ومعشوقة الملايين (غريتا غاربو)، بعد أن بلغت الشيخوخة ولم تعد تمثل، عاشت حياة في عزلة موحشـة، لا يزورها أحد، ولا يلقاها أحد، ولا يسأل عنها أحد، الملايين الَّذين كانـوا يُعجبون بها، ويحاولـون أن يحصلوا على صورتها، أو يأخذوا توقيعًا منها نسوها؛ فعاشت في حياة قاتلة.

وفي عيدها الخامس والسـبعين في ١٨ سبتمبر ١٩٨٠م. ذهب الرجل الَّذي يكتب قصتها ليحضر عيد ميلادها ـ كما يسمونه ـ في ذلك اليوم، ولم يجد عندها أحدًا، فقال لها: هل أخطأتِ في ترك الزواج؟ قالت له: نعم لقد أخطأت خطأ فاحشًا حين لم أبنِ لنفسـي عُشًّا للحياة الزوجيَّة يظللني في حياة الشيخوخة. فلا معنى للحياة بدون أسرة.

وهذه ممثلة الإغراء الجنسي (مارلين مونرو) كانت معبودة الجماهير كما يسـمونها، ولكنهـا رغم الصور الَّتـي تظهر علـى أغلفة الصحف بابتسـامتها المصنوعة، كانت تعيش مسـجونة داخل نفسـها في سجن

QaradawiBooks.com

الكآبة، تعيش اكتئابًا نفسيًّا حقيقيًّا، تنظر إلى الحياة بمنظار أسود قاتم، وظلت هكذا سنين إلى أن تخلصت من هذه الحياة الأليمة السوداء بالانتحار، ابتلعت كمية كبيرة من الأقراص المنومة وعمرها ست وثلاثون سنة، حياة لا معنى لها بدون أسرة.

ومثلها الممثلة الفرنسيَّة (بريجيت باردو) الَّتي قالوا: إنَّ أفلامها تدخل على ميزانية فرنسا أكثر ممَّا تدخله سيارة (رينو)، والتي ذكروا أن صورها ظهرت على أغلفة الصحف والجرائد في العالم أكثر من تسع وعشرين ألف مرَّة، حسب الكاتب الَّذي كتب قصتها، هذه الممثلة أرادت أيضًا أن تتخلص من الاكتئاب الَّذي تعيشه بابتلاع جرعات كبيرة من الحبوب المنومة، وأُغمي عليها ولكنها أُسعفت في المستشفى وخرجت، إلَّا أنَّها قررت اعتزال الحياة السينمائية والفنية لتعيش على شاطئ (الريفيرا) في حياة هادئة.

أسس الحياة السعيدة:

ليست الحياة السعيدة بالشهرة ولا بالمجد ولا بالمال، الإنسان في حاجة إلى عش، إلى أسرة، الله تعالى خلق النَّاس أزواجًا، ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النبأ: ٨]، لا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده ولو كانت معه الملايين؛ ماذا تغنيه الملايين إذا عاش وحده؟ الإنسان في حاجة إلى عش الزوجيَّة، إلى حياة أسرية هادئة هانئة، وهذا ما صنعه الإسلام.

الإسلام يريد أن يحيا الإنسان حياة أسرية، حياة زوجية، فالزوجيَّة قاعدة عامة في هذا الكون، ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، كل شيء في هذا الكون مزدوج، ليس هناك واحد إلَّا الله ﷻ، وكل من عداه، وكل ما عداه يعيش أزواجًا، هناك موجب وسالب

QaradawiBooks.com

في الكهربـــاء، هناك ذكر وأنثى في الإنســـان والحيـــوان والنبات، هناك إلكترون وبروتون في بناء الذرة، الَّتي هي الخلية الأساسية للبناء الكوني.

الازدواج قائم في الحياة، وهؤلاء الغربيُّون يريدون أن يقاوموا فطرة الله في الإنســـان والحياة، وفطرة الله فـــي الكون والوجـــود كله، ولهذا عاقبتهم الفطرة، وأصابتهم بما أصابتهم به.

الإسلام يبني الإنسان على الأسرة، فالأسرة المحضن الطبيعي الَّذي تنمو فيه العواطف النبيلة والمشاعر الخيِّرة، ويتربى فيه الإنسان في ظل أمومة حانية، وأبوة راعية، وأخوة حميمة، ويعرف معنى الحب والعطف والحنان والإيثار، وهذه المعاني لا يمكن أن تتربَّى إلَّا داخل الأسرة.

أمَّا أن يظلَّ الإنسان يعيش للذَّاته وشهواته كما تريد الحضارة الغربيَّة؛ أن ينطلق وراء الشـــهوات، ويعُبَّ منها عبًّا؛ فهذا لن يصنع السعادة، لن يحقق الســـعادة للإنســـان، لا والله، وهذا ما شـــهد به الغربيُّون أنفسهم، وما يشـــكو منه العقلاء والمُصلحون، ويخشـــون على هذه الحضارة أن تدمر نفسها بنفسها.

الخطر الذي يهدد الحضارة الغربية:

كان الَّذي صنع هذه الحضارة في بدايتها أناس يملكون قدرًا من الانضباط الأخلاقي، وقدرًا من الإيمان الديني، وقدرًا من الســـلوك الاجتماعـــي المُهـــذَّب، كانـــوا يملكون قـــدرًا من الحياة الأســـرية فاســـتطاعوا أن يبنوا الحضـــارة، ولكن هم الآن يخشـــون على هذه الحضارة أن يؤتَى عليها من القواعد، أن تنهار فوق رؤوسهم بسبب هذا التحلُّل الَّذي سادها، وبسبب تلك الفلسفة العقيمة الَّتي تريد أن

QaradawiBooks.com

تبرر هذا الانحلال باسم إطلاق الحُرِّيَّة للجنسين! لا يا قوم، أأنتم أعلم أم الله؟

الله الَّذي خلق الإنسان هو الَّذي شرع له ما يصلحه، خالق الإنسان أعلم بما يفسده ويصلحه، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، خالق الإنسان هو الَّذي يعلم ما يرقى به وما يهبط به، ولهذا شرع الزواج، وشرع الأسرة، وحرَّم الزنى تحريمًا باتًّا، وجاءت الآيات، وجاءت الأحاديث في تحريم هذا الأمر، الله تعالى يقول في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

حرَّم الإسلام الزنى في الحديث الَّذي رواه أبو أمامة، عن الرؤيا الَّتي رآها النبي ﷺ أنَّه صعد جبلًا، فرأى كذا وكذا، ثمَّ قيل له: انطلق. فانطلق قال: «فإذا قوم هم أشد شيء انتفاخًا، وأنتن شيء ريحًا، كأن ريحهم المراحيض، فقلت للرجلين الَّذين اصطحباني: «**مَنْ هؤلاء؟**». قيل: هؤلاء الزانون والزواني[(١)].

ويقول النبيُّ ﷺ: «**ما ظهر الزنى والربا في قرية إلَّا أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله** ﷻ»[(٢)]. الزنى إشارة إلى الانحلال في الحياة الأخلاقيَّة، والربا

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٩٨٦)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٤٩١)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد (٣٨٠٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو يعلى (٤٩٨١)، وابن حبان في الحدود (٤٤١٠)، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥٨١): لأبي يعلى فقط، وجود إسناده، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

إشـــارة إلى الانحلال في الحياة الاقتصاديَّة، فتفســـد الحيـــاة بوجهيها: المادِّي، والأخلاقي.

نســـأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يبصرنا بحقائقه، وأن يعصمنا من الوقوع في الهاوية، الَّتي وقعت فيها الحضارة الغربيَّة المعاصرة؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجبْ لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦
الصحوة الإسلاميَّة وهموم الوطن العربي

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا شكَّ أنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة أتى عليها حين من الدهر نامت فيه نومًا طويلًا، والنوم موت خفيف، كما أنَّ الموت نــوم ثقيل، فالنوم نوعٌ من الموت! وقد أراد الله لهذه الأُمَّة أن تستيقظ وتصحو وتنبعث من جديد!

طبيعة أُمَّة الإسلام:

ومن طبيعة هذه الأُمَّة ألَّا تنام طويلًا؛ فإنَّ إســلامها يوقظها، ويحرك بواعث النهضة فيها! الإســلام يُجَــدِّد منها ما بلي، الإســلام ينبهها إذا غفلت، ويذكرها إذا نسيت، ويحركها إذا همدت، هذا من طبيعة الإسلام!

ومن طبيعة هذه الأمة ألا تجتمع علــى ضلالة، وأن تظل فيها طائفة قائمة على الحق ـ على أمر الله ـ حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

لا بدَّ أن تظل أُمَّة، أن تظل طائفة من النَّاس ـ مجتمعين أو متفرقين ـ

QaradawiBooks.com

يدعون إلى الحقِّ، ويهدون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويعملون على إيقاظ أُمَّة الإسلام، وإعادة مجد الإسلام!

كيد أعداء الإسلام:

ولهذا كان بعض النَّاس يظنُّون أنَّ الأمة الإسلاميَّة قد انتهى أمرها بعد أن دخل الاستعمار أرضها، واحتلَّ البلاد، وأذلَّ العباد، وألغى الشريعة الإسلاميَّة، وأقام القوانين الوضعيَّة، ووضع ألوانًا من التعليم تخدم أهدافه بعيدة عن الإسلام الحقيقي، حتَّى كان الطالب يتخرج من المدارس في البلاد الإسلاميَّة، ويكاد لا يعرف من الإسلام شيئًا؛ إلَّا قشورًا! ومعظم هذه القشور مشوَّهة ومشوَّشة!

اطمأنَّ هؤلاء إلى أنَّ المسلمين قد ناموا؛ بل قد ماتوا، وأن صفحة الإسلام قد طويت، وأنَّ ظلَّ الإسلام قد تقلَّص، هكذا ظنوا، ولكن الله هيأ لهذا الإسلام من يجدد أمر الدين!

مظاهر الصحوة الإسلاميَّة:

هيَّأ له رجالًا صادقين في كل أرضٍ من أراضي الإسلام، منهم ﴿مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. فاستيقظت الأمة بعد غفوة، وصحت بعد سكرة، وتذكرت بعد نسيان، حتَّى وجدنا الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، وجدنا الشباب الَّذين كانوا لا يشغلهم شيء إلَّا سفاسف الأمور، إلَّا الذهاب إلى السينمات، أو الاستماع إلى الأغاني، أو البحث عن الملذات، والجري وراء الشهوات، وجدنا هذا الشباب يرتاد المساجد، يحرص على الصلوات الخمس!

كنا قديمًا لا نكاد نرى في المساجد إلَّا الشُّيَّاب، الَّذين أكل الدهر عليهم وشرب، الآن معظم المصلين من الشباب!

QaradawiBooks.com

كنا لا نرى في مواسم الحج والعمرة إلَّا الشيوخ والعجائز من الرجال أو النساء، الَّذين يريدون أن يختموا أعمارهم بحجة إلى بيت الله الحرام! انظر الآن في مواسم الحج والعمرة تجد الأغلبية الساحقة من الشباب، انظر إلى صلاة التراويح وصلاة القيام في رمضان تجد الَّذين يملؤون المساجد من الشباب!

الشباب الآن هم عماد الصحوة الإسلاميَّة، ما كان أولئك الَّذين دخلوا بلاد الإسلام وخططوا، وقننوا، ونظموا، وكادوا: ما كانوا يظنون أنَّ الأمر سيصل إلى هذا الحد، ولكن شاء الله أن يخيب ظنهم، وأن يرد كيدهم في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، وأن يصحو الإسلام، والإسلام ينام ولا يموت، وإنَّما الصحوة صحوة الأمة، صحوة المسلمين، فالإسلام يصحو بصحوة أبنائه!

صحوة عمل وسلوك:

هذه الصحوة الإسلاميَّة صحوة عمل وسلوك والتزام؛ بعد غيبة عن الإسلام، رأينا الشباب المصلي الصائم القائم في قلب بلاد العرب، وفي قلب بلاد الإسلام، وخارج بلاد الإسلام: رأيت هذا الشباب الملتزم الَّذي يصوم الاثنين والخميس، والَّذي له حظ من قيام الليل، هؤلاء الشباب الَّذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، رأيتهم والله في بلاد الغرب، في أوربا في أمريكا في بلاد الشرق الأقصى وجدنا هؤلاء أبناء الصحوة الإسلاميَّة، هذه هي الصحوة الَّتي أثبتت وجودها في الرجال وفي النساء، في وقت من الأوقات ما كان الإنسان ليرى امرأة محجبة إلَّا على سبيل الندرة، بل على سبيل الشذوذ! كان المرء يمر في عواصم بلاد العروبة والإسلام، وتنظر عن يمينك، وعن شمالك فلا تكاد ترى

QaradawiBooks.com

امرأة ملتزمة بالزي الشرعي، تراها عجوزًا شمطاء، ومع هذا تكشف عن ذراعيها، وعن ساقيها، وعن نحرها وشعرها، لا ترى أنَّ الله أمرها أن تضرب بخمارها على جيبها، وألّا تبدي زينتها إلَّا ما ظهر منها، كنا نرى هذا في يوم من الأيام!

انظر اليوم: امشِ في أيِّ شارع من شوارع العواصم الكبرى، ادخل أي جامعة من الجامعات، سترى هؤلاء الفتيات المؤمنات الملتزمات، وقد لبسن الحجاب طوعًا واختيارًا؛ لا غصبًا ولا كرهًا، لم يُلزمها أب، ولم يلزمها زوج! بالعكس نرى بعض الآباء والأزواج الَّذين لا تزال تعشش الأفكار الغربيَّة الدخيلة في رؤوسهم، الضعاف الإيمان، لا نزال نراهم يمنعون بناتهم أو زوجاتهم من ارتداء الحجاب الشرعي!

كان هذا من آثار الصحوة الإسلاميَّة، الصحوة فرضت نفسها، وظهر الإسلام بقوة من جديد، وبدأ الغرب، الَّذي جُن جنونه يكتب في صحفه وفي وسائل إعلامه عن هذه الصحوة، يدبر لها ويكيد لها، ويخطط لضربها، ويؤلب الحكام عليها، يخوفهم منها؛ مع أن هذه الصحوة هي الغد المأمول، والمستقبل المرجو، هي الخير كل الخير للحكام وللمحكومين معًا.

صحوة علم ووعي:

هذه الصحوة صحوة في كل ناحية من النواحي: صحوة عمل، وصحوة علم! الشباب يحرص على أن يتعلم الإسلام من جديد؛ بعد أن كان الشباب في الجيل الماضي لا يعرفون من الإسلام شيئًا، جُهِّلوا بالإسلام، مُحَمَّد وأحمد، وحسن وحسين، وعبد الله وعبد الرحمن؛ لو سألته في أوليات الإسلام وبدهيَّات الإسلام لا يكاد يعرف شيئًا، بدأ

QaradawiBooks.com

الشباب يقرأ ويعرف ويسأل، حتَّى إنَّ الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأوَّل في سوق التوزيع!

كلما أقيم معرض للكتاب أو سوق للكتاب في أي بلد، تدل الإحصاءات على أنَّ الكتاب الأوَّل المقروء، والَّذي يقبل عليه الكثيرون هو الكتاب الإسلامي، حتَّى حدثني بعض الشباب في الجزائر: أنَّهم كانوا إذا أقيم معرض للكتاب يبيت بعض الشباب أمام المعرض؛ حتَّى إذا فتح في الصباح هجموا هجمة رجل واحد؛ حتَّى يأخذوا حظهم من الكتب الإسلاميَّة، فإنَّ المعروض قليل والمطلوب كثير، هذه هي الصحوة الإسلاميَّة.

أثر الصحوة في كل مكان:

الصحوة الإسلاميَّة رأينا أثرها في كل مكان، رأينا أثرها في أفغانستان؛ فالجهاد في أفغانستان هو أثر من آثار الصحوة الإسلاميَّة، كان السوفييت القوة الثانية في العالم الَّذين يملكون الصواريخ، ويملكون الدبابات والطائرات، ويملكون الأسلحة الإلكترونية المتطورة، هؤلاء ظنوا أنَّ الرحلة إلى أفغانستان ستكون نزهة، يقضون على هؤلاء الثائرين الَّذين يسمون أنفسهم المجاهدين، سيقضون عليهم في أيَّام أو أسابيع، وخاب ظنهم، وطاش سهمهم! واستطاع هؤلاء الَّذين لا يملكون الأسلحة المتطورة، والَّذين بدؤوا جهادهم ببضع بنادق عتيقة، ثمَّ غنموا أسلحتهم من أيدي عدوهم بعد ذلك، هؤلاء دوّخوا الإمبرياليَّة الروسية السوفيتية، دوخوهم؛ فلم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا؛ لأنَّهم يقاتلون بروح الإيمان، بإيمان المسلم، بقوة المتوكل على الله، بقوة من تحارب معه الملائكة، هؤلاء أثر من آثار الصحوة الإسلاميَّة!

QaradawiBooks.com

الصحوة الإسلاميَّة نرى مظاهرها وآثارها في كل مكان، هذه هي الصحوة الإسلاميَّة: صحوة عمل، وصحوة علم وفكر، وصحوة إرادة وعزم، وصحوة دعوة وجهاد! كل شاب من هؤلاء الشباب، الَّذين أصبحوا هم العمود الفقري للصحوة. كل واحد منهم داعية للإسلام، لا يكتفي أن يصلُح في نفسه حتَّى يحاول أن يُصلِح غيره، أن يهدي كما اهتدى، أن ينير عقول الآخرين كما استنار عقله وقلبه، فهو حامل دعوة وصاحب رسالة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، من أحسن من هؤلاء؟! تلك هي دلائل ومظاهر وآثار الصحوة الإسلاميَّة.

وهي صحوة عامة، صحوة عالميَّة، صحوة في العالم كله، هذه الصحوة العميقة الجذور، ليست سطحية ولا هامشية، إن لها جذورها وامتدادها في ضمير هذه الأمة، إنَّها المعبر الحقيقي عن هذه الأمة وعن هُويتها العقائدية والحضارية، وكل دعوة أخرى هي دخيلة مستوردة لا تعبر عن حقيقة هذه الأمة.

الصحوة والوطن العربي:

هذه الصحوة ما موقفها من هموم وطننا العربي؟ ووطننا الإسلامي؟ ووطننا العربي جزء من وطننا الإسلامي، ولا مانع أن نهتم بوطننا العربي على اعتبار أنَّه هو الجزء المهم من الوطن الإسلامي؛ فالعرب يمثلون عصبة الإسلام، وأرض العرب تعتبر معقل الإسلام وحرمه:

فيها المساجد الثلاثة، الَّتي لا تشد الرحال إلَّا إليها!

وفيها الكعبة: البيت الحرام، الَّتي يتجه إليها كل مسلم في مشارق

QaradawiBooks.com

الأرض ومغاربها كل يوم خمس مرات على الأقل، ويحج إليها مرَّة في العمر على الأقل!

وفيها المدينة المنورة، فيها مسجد رسول الله ﷺ وقبره الشريف!

لا قيمة للعرب بغير الإسلام:

أرض العرب لها أهميتها في دار الإسلام، والعرب لهم أهميتهم، المفروض أن يكونوا هم قادة الصحوة الإسلاميَّة، وقادة العمل للإسلام؛ فهم بالإسلام كل شيء، وبغير الإسلام لا شيء!

ما قيمة العرب بغير مُحَمَّد ﷺ؟! ما قيمة العربيَّة بغير القرآن؟! هل يستطيع العرب أن يصنعوا مجدًا بغير الإسلام؟ هل إذا رجعوا إلى معلقة امرئ القيس أو طرفة ابن العبد أو غير ذلك: ينهضون من رقود، ويحيون من ممات؟ هيهات هيهات!

العرب هم عصبة هذا الإسلام، وهم حملة رسالته الأولون، الصحابة الَّذين حملوا القرآن، وحملوا السنة، ونشروا الإسلام في الآفاق كانوا عربًا، حتَّى من لم يكن منهم عربي العرق والعنصر: أصبح عربيًّا بالثقافة واللسان، كما جاء في الحديث الَّذي رواه ابن عساكر وغيره: «**ألا أنَّ العربيَّة من أحدكم ليست بأب ولا أم، ولكن العربيَّة اللسان؛ فمن تكلَّم بالعربيَّة فهو عربي**»[1]، كان هذا القول ردًّا على من زعموا أنَّ سلمان الفارسي وبلالًا الحبشي وصهيبًا الرومي وأمثال هؤلاء ليسوا عربًا، فقال: «**العربيَّة اللسان، فمن تكلَّم بالعربيَّة فهو عربي**»، العربيَّة ليست دمًا وعنصرًا وعرقًا ونسبًا، من تكلم العربيَّة فهو عربي، استعرب.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢٤/٢٤)، وقال الألباني في الضعيفة (٩٢٦): ضعيف جدًّا. عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلًا.

QaradawiBooks.com

لهــذا لا غرابة أن نهتم بهمــوم الوطن العربــي، وأن تهتم الصحوة بهموم هذا الوطن العربي، وما أكثر هموم الوطن العربي، أي همٍّ نذكر؟ إن هموم الوطن العربي تذكرني بقول الشاعر:

ولو كان ســهمًا واحــدًا لاتَّقَيْتُه ولكنَّه ســهمٌ وثــانٍ وثالــثُ[1]!

كيــف إذا كان هناك أكثر من همــوم ثلاثة، إنَّه ثــانٍ وثالث، ورابع وخامس، وعد ما شئت، قل ما شئت في همومنا، إنَّها هموم كثيرة، رحم الله المتنبي حين قال:

رمانــي الدهــرُ بــالأرزاءِ حتَّى فــؤادي فــي غِشَــاءٍ مــن نِبَالِ
فصــرتُ إذا أصابَتْنِــي سِــهَامٌ تكسَّــرَتِ النِّصَالُ على النِّصَالِ[2]

كثرت همومنا، كثرت مصائبنا، كثرت مشــكلاتنا، يســمونها أحيانًا تحديات، أحيانًا مشــكلات، أحيانًا همومًا، وبعض الكتــاب قال: إنَّها ليست تحديات ولا همومًا، إنَّها كوارث، إنَّها انهيارات على كل صعيد، وعلى كل مستوًى!

عن أي هذه الهموم نتحدث؟

إنَّنا إذا رجعنا إلى أصول هذه الهموم يمكن أن نحصرها في هموم سبعة:

همّ التخلف الحضاري، وهمّ الظلم الاجتماعي، وهمّ الاســتبداد السياسي، وهمّ التبعية الفكرية والتشريعية والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياســة: هم التبعية، وهمّ العدوان الصهيوني، وإن شئت قل: همّ

(١) البيت للقاضي أبي بكر ابن العربي، كما في الحُلة السِّيَراء لابن الأبَّار (٦/١)، بلفظ رمح بدل سهم، تحقيق د. حسين مؤنس، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

(٢) ديوان المتنبي صـ٢٦٥.

QaradawiBooks.com

التخاذل والاستسلام أمام الخطر الإسرائيلي والعدوان الصهيوني، وهمّ التجزؤ والتفرق في دول هذه الأمة، وأخيرًا همُّ التسيُّب والتحلُّل الأخلاقي.

غير مرخصة للطباعة

همُّ التخلُّف الحضاري:

كل هم من هذه الهموم وحده كفيل أن يدمر أمة بأسرها، نحن لا نزال إلى الآن إذا أردنا أن نتحدث عن الهم الأوَّل ـ وهو همٌّ كبير: همُّ التخلف الحضاري ـ نحن لا نزال متخلفين، يسموننا البلاد النامية؛ تلطفًا منهم، تعبير مؤدَّب، بدل أن يقولوا البلاد المتخلفة يسموننا البلاد النامية، ولعل سر هذا أنَّهم يريدون أن يوهمونا بأننا في طريق النمو، وللأسف نحن لا ننمو، نحن لا نزال ندور حول أنفسنا، كالثور في الطاحون أو في الساقية، يدور ويدور، ويسير ويسير، والمكان الَّذي انتهى إليه هو الَّذي ابتدأ منه.

بدأنا النهضة في البلاد العربيَّة منذ مُحَمَّد علي في مصر مع اليابان، أو قبل اليابان بقليل، أين وصلت اليابان وأين وصلنا؟ ماذا صنعنا؟ هل صنعنا شيئًا؟ هل صنعنا شيئًا يُذكر؟ لم نصنع شيئًا، بل هناك بلاد بدأت من قريب: الصين الشعبية، وكوريا الجنوبية الَّتي بدأت بعد الحرب العالميَّة الثانية، ونراها الآن تغزو العالم بمصنوعاتها ومنتجاتها، رأيتُ منتجاتها في أمريكا، وفي كندا، وفي إنجلترا، وفي بلاد الغرب، كل هذه، الَّتي تقيم لنا مصانع، والتي نرى أبناءها يغزوننا بالعِمالة الأجنبية، وهؤلاء الَّذين نظنهم عمالًا هم جنود مدربون، لهم قادة ولهم رؤساء، ويعملون لحساب الدولة، بلاد منظمة تستغل كل طاقة بشريَّة!

QaradawiBooks.com

عدم استغلال طاقاتنا ومواردنا:

هل استغللنا نحن طاقاتنا؟ هل صنعنا شيئًا؟ إنَّنا إلى الآن لم نصنع إلَّا أشياء بسيطة وتافهة، ما دمنا لا نصنع ما نستعمله، هذا الميكروفون الَّذي أكلمكم منه ليس من صناعتنا، هذا المسجل الصغير ليس من صناعتنا، الراديو الصغير ليس من صناعتنا، لم نصنع شيئًا، لا أقول سيارة أو طائرة.

الهند بجوارنا صنعت سيارة، وصنعت طائرة، وصنعت القنبلة النوويَّة، ماذا صنعنا نحن؟ نحن العرب ونحن المسلمين ماذا صنعنا؟ إنَّنا لم نصنع شيئًا، لم نصنع شيئًا؛ لأنَّنا لا نعمل، لا نستغل قواتنا وقدرتنا بالقدر الَّذي ينبغي، لا نزال نستهلك أدوات الحضارة ولا نصنعها!

صحيح أنَّنا نركب السيارات الفارهة، نستورد أعظم السيارات، وقد نطلب سيارات تصنع لنا خاصة، تخرج من المصانع بأسمائنا، وتوضع فيها من الكماليات ما لم يوضع لأحد قبلنا، ولكن هل صنعنا فيها مسمارًا؟ هل صنعنا فيها شيئًا؟ هؤلاء الَّذين يمشون ينهبون الأرض نهبًا بسياراتهم مفتخرين، مزهوين، معجبين أنَّهم يركبون سيارة كذا أو كذا، وفيها التليفون، وفيها المسجل، وفيها، وفيها، يا أيُّها المسكين: إنَّك لا تستطيع أن تصنع شيئًا في هذه السيارة، إنَّ السيارات الَّتي نركبها، والأجهزة الَّتي نستخدمها هذه كلها ليست من صناعتنا، نظن أنَّنا متحضرون، ولكن المتحضر هو الَّذي يصنع الشيء، لا الَّذي يشتريه بحر ماله، نحن نشتري هذه الأشياء بأغلى الأثمان، نبيع لهم البترول، يأخذونه مادة خامًا، ويصنِّعونه، ويردونه إلينا بأغلى الأثمان.

إنَّنا لا نزال متخلفين، يسموننا البلاد النامية وما نحن بالنامين للأسف!

QaradawiBooks.com

حتى يغيروا ما بأنفسهم:

لنقلها بصراحة: إنَّنا لا نزال في دائرة التخلف، وسنظل كذلك؛ ما لم نغير ما بأنفسنا حتَّى يغير الله ما بنا! الأمة الَّتي لا تصنع ما تستعمله، ولا تزرع ما تأكله، ولا تصنع السلاح الَّذي تدافع به عن نفسها؛ كيف يكون لها بقاء في عالم الحضارة، في عالم يحكم فيه الأقوياء؟

إذا كنا نستورد القوت الَّذي نأكله، رغيف الخبز، العِيش سواء كان أرزًا هنا، أو خبزًا في بعض البلاد، نحن لا نزرع ما يكفينا، معظم البلاد العربيَّة والإسلاميَّة تستورد أكثر من نصف قوتها، وهي بلاد زراعيَّة، في السودان عشرات الملايين من الأفدنة صالحة للزراعة، لماذا لا تُزرع؟ السودان يحتاج إلى رأس مال، لماذا لا تذهب رؤوس الأموال وتعمل هناك؟

لا بد من تكامل فيما بين هذه الأمة؛ لتزرع وتصنع، أسلحتنا لا نصنعها نحن، ولذلك لو دخلنا معركة مع عدو لنا لا نستطيع أن نستمر؛ لأن الَّذين يُمدوننا بالسلاح وبقطع الغيار إذا كفوا أيديهم عنا وقفنا حيارى، سكارى، لا نستطيع أن نقدم رِجلًا، أهذا أمر يقبله عاقل؟!

أسباب التخلُّف:

إنَّنا في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا من جديد، نحن لسنا مُتَخَلِّفين لأنَّ عقولنا أقل ذكاء من عقول القوم، ربَّما ظن بعض النَّاس لطول ما تخلفنا، وطول ركودنا وجمودنا: أنَّ التخلف صفة ذاتية لنا، ظن أنَّ التخلف عربي أو إسلامي، وأنَّ التقدم أوربي أو غربي! بل ربما ظن بعض النَّاس أنَّ الإسلام هو سبب تخلفنا؛ ما دام كل المسلمين متخلفين، وكل المتقدمين غير مسلمين، والواقع غير ذلك، فقد كنا سادة الدُّنْيا

QaradawiBooks.com

وقادتها: علمًا وحضارة؛ يوم كنا متمسكين بالإسلام، يوم كان المسلمون مسلمين، يوم كان الإسلام أساس وجودنا وهُويتنا، كنا نحن الَّذين نملك أزِمّة الحضارة في العالم، وكان علماؤنا أشــهر العلماء، وكانت جامعاتنا يفد إليها الطلاب من أنحاء الدُّنيا، وكانــت مراجع العلم مكتوبة باللغة العربيَّة ـ وهي مراجع عالميَّة ـ وكان، وكان!

ضرورة العودة على الإسلام:

الإسلام ليس هو الســبب؛ بل العكس هو الصواب، إن تخلفنا عن الإسلام وبعدنا عن الإسلام الحقيقي هو السبب فيما نحن فيه.

لا بدَّ أن نرجع إلى الإســلام، ونعلم أنَّ الإســلام يوجــب علينا أن نتحرر من هذا الجمــود وهذا التخلف، يوجب علينــا أن نعمل لنرقى، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفــال: ٦٠]، كيف نستطيع أن نعد إذا كنا نعتمد على غيرنا في كل شيء؟ إذا كنا عالة على القوم؟ علينــا ـ كما قال علماؤنا ـ أن نتفوق فــي كل علم أو صناعة فيه قِوام أمر الدين أو الدُّنيا، فقهاؤنا قالــوا: كل علم ديني أو دنيوي يحتاج إليه المسلمون؛ فإن تعلمه فرض كفاية، إذا قام عدد كاف به سقط الحرج والإثم عن سائر الأمة، وإلا أثمت الأمَّة كلها!

الأمَّة الإسلاميَّة الآن آثمة؛ لأنَّها متخلفة في علوم شتَّى، تتطفل على غيرها، تتســول من عند غيرها، الأمة الَّتي جعلهــا الله خير أمة أخرجت للناس، الأمة الوســط، الأمة الَّتي جعل الله لها مكان الأستاذية للبشريَّة هذه الأمة عالة على غيرهــا! نحن بحاجة إلى انبعــاث حضاري جديد نعرف به هُويتنا، ونجند الطاقات الفارغة الَّتــي لا تعمل، هذه الملايين ماذا تنتج؟

QaradawiBooks.com

لا تقدم بدون عمل:

الناس في كل بلد يعملون، ولكن في ديارنا نحن المسلمين لا أرى النَّاس يعملون! ذهبتُ إلى أوروبا، وذهبت إلى أمريكا، فوجدتُ النَّاس طول النار يلهثون وراء أعمالهم، ويعودون مكدودين متعبين، ولكن في بلاد المسلمين ترى النَّاس يتسكعون في الشوارع، يجلسون على مكاتبهم لا يكادون يقضون أمرًا، يؤخرون مصالح النَّاس، يقرؤون الصحف، أو يشربون السيجارة، أو، أو، ما هذا؟ الأمة الَّتي لا تُنتج كيف يمكن أن ترقى وتنهض؟

روح هذه الأمَّة الإيمان:

نحن في حاجة إلى أن نفجر طاقات هذه الأمة، ولن نفجر طاقات هذه الأمة إلَّا بالإيمان، الإيمان هو القادر على أن ينشئ الإنسان خلقًا آخر، لكل أمة روح وروح هذه الأمة الإسلام، لكل شخصية مفتاح مثل مفتاح السيارة، هل تستطيع أن تقود سيارة بمفتاح سيارة أخرى؟ هل تستطيع أن تقود سيارة نقل بمفتاح سيارة صالون؟ أو سيارة إيطالية بمفتاح سيارة ألمانية مثلًا؟ كل سيارة لها مفتاحها، بلمسة تستطيع أن تحركها، وأن تطوي بك المسافات، كذلك الإنسان، كل شخصية لها مفتاح، مفتاح الشخصيَّة العربيَّة والإسلاميَّة هو الإسلام، إذا قدتها بالإسلام، إذا رفعت أمامها المصحف، إذا ناديتها بـ(الله أكبر)، إذا قلت لها: (يا ريح الجنَّة هبي)، صنعت الأمة العجائب، وتخطّت المستحيلات، ولكنا للأسف لا نرجع إلى الإسلام.

بعض النَّاس يعتبر الإسلام رجعية وتخلفًا، ويريدنا أن ننهض ونرقى بغير الإسلام، وبعض النَّاس يظنون الإسلام مجرد إطالة اللحى أو

QaradawiBooks.com

الإمساك بمسبحة، الإسلام أكبر من هذا، الإسلام عقيدة وعبادة، وأخلاق وشريعة وحضارة، وعمل للدين وعمل للحياة، الإسلام نظام حياة كامل، جدير أن يغير الأمة، لا بدَّ لهذه الأمة أن تتغير من داخلها، هذا هو قانون القرآن الصُّلب الَّذي لا يتبدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]!

لقد أشار القرآن إلى أنَّ الإنسان يمكن أن يعمل بعشرة أضعاف طاقته إذا وُجد عنده دافع معنوي حين قال: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٦٥]!

وهذا كما يقال في معركة القتال يقال في معركة البناء، معركة النهوض، الإنسان يمكن أن يعمل إذا كان عنده طاقة روحية وهدف كبير أمام عينيه، إذا كان عنده رسالة يمكن أن يعمل بأضعاف ما يعمل الآخرون.

بيننا وبين القوم مراحل واسعة:

نحن بيننا وبين القوم مسافات ومسافات، مراحل ومراحل، وهذه المسافة لا تضيق بمرور الزمن؛ بل تتسع؛ لأنَّنا إذا انتقلنا من ركوب الجمل أو الحمار إلى السيارة يكون هؤلاء قد ركبوا الطائرة، وإذا ركبنا الطائرة يكونوا قد ركبوا الصاروخ، فكيف إذًا ونحن إلى الآن لم نركب سيارة ولا طائرة ولا صاروخًا، أنا أقول لم نركب؛ لأنَّنا نركب ما يصنعون لنا، فنحن ليس عندنا في الحقيقة سيارة ولا طائرة ولا صاروخ، نحن ليس عندنا شيء، نحن يجب أن نعمل، هذه الأمة لا بدَّ أن تُقاد بالإسلام إذا أردنا أن نعمل شيئًا، هذا ما تقوله الصحوة الإسلاميَّة، وما تعمل له الصحوة الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

إنَّ همومنـــا كثيرة، وهمومنـــا ثقيلة، ولا علاج لهـــا إلَّا بالعودة إلى الإســـلام، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمـــد: ٧]، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٧

التآمر على الصحوة الإسلاميَّة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

من آثار الصحوة:

ما أسرع ما تتغيَّر الأيام، وما أسرع ما تتبخر الأيام، كنا في سنوات مضت نعيش على أمل الصحوة، الصحوة الَّتي كانت بذرة أنبتت وأورقت وأزهرت، وتوشك أن تُثمر، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

كانت الصحوة الإسلاميَّة ملء الأسماع والأبصار، وكانت تمتد في العالم كله امتداد أضواء النهار، كانت أشعتها تمحو الظلام، كانت تدخل النور على العقول والقلوب، وعلى الحياة الإسلاميَّة كلها.

كان للصحوة أثرها في العقول بالوعي والمعرفة، وكان لها أثرها في القلوب بالإيمان واليقين، وكان لها أثرها في العزائم بالالتزام وحُسن السلوك، وكان لها أثرها في الحياة الإسلاميَّة كلها، غزت المدن والقرى، وأثَّرت في الشيوخ والشباب، وفي الرجال والنساء، في داخل

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي، في بلاد أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى.

وُلد هذا الشباب الَّذي أدركته الصحوة فأصبح يهتم بأمر الإسلام، ويعيش لقضايا الإسلام، ويلتزم بأخلاق الإسلام، وآداب الإسلام، وقيم الإسلام، وجدنا الشباب الَّذي يصوم الاثنين والخميس، وجدنا الشابات اللاتي تلتزمن الحجاب طواعية واختيارًا، لم يجبرها على ذلك أب، ولم يقهرها على ذلك زوج، رأينا صحوة إسلاميَّة في كل مكان.

كنت أخطب الجمعة في الجزائر فيجتمع في صلاة الجمعة مائة ألف، أو مائتا ألف، يملؤون المساجد بأدوارها الثلاثة أحيانًا، وساحات المسجد، والميادين والطرق الموصلة إليه حتَّى تتوقَّف المواصلات، كانت هذه الصحوة في كل مكان، رأيتها في المشرق والمغرب، في الشمال والجنوب.

العداء للصحوة الإسلاميَّة:

وقد كنا ننتظر ثمار هذه الصحوة، ولكن سرعان ما تنبَّهت القوى المعادية للإسلام، خشيت آثار هذه الصحوة، ورأت آثارها في الحياة العامَّة، رأت في الاقتصاد البنوك الإسلاميَّة والمؤسسات الإسلاميَّة، ورأت على مستوى الجهاد الَّذين يموتون ويبذلون أرواحهم في سبيل الله في أفغانستان، وفي فلسطين، وفي كشمير، وفي الفلبين.

ورأت آثار هذه الصحوة في المطالبة بتحكيم الشريعة الإسلاميَّة على مستوى العالم الإسلامي، كانت الشريعة تحكم العالم الإسلامي طوال القرون الماضية، حتَّى دخل الاستعمار ديار المسلمين فألغى الشريعة،

QaradawiBooks.com

وأحلَّ محلهـا القوانين الوضعيَّـة، والأنظمة الأرضية، فبدأ المسـلمون يفيقون ويطالبون بأن تحكمهم شريعة ربهم.

كان الكتاب الإسلامي هو الكتاب الأوَّل الَّذي يضرب الرقم القياسي في معارض الكتب وفي سوق التوزيع.

كل هذا أقلق القوى المعادية للإسـلام فغدت تتربص الدوائر بهذه الصحوة، وغدت تخطط وتمكر وتكيد لها، وتحاول أن تطفئ شمسـها، وأن تخمد جذوتها.

وأقول لكم بصراحة: لقـد بدا لي أنَّ هذه القـوى المتآمرة والكائدة للإسـلام وأمته أنَّها أكبر منا، وأكبر من طاقتنا ومـن إمكاناتنا؛ إنَّنا نحن نرتجل، وهم يخطِّطون، نحن مشغولون بقضايا الحاضر، وهم مشغولون بالمسـتقبل، نحن مشـغولون بالفرعيَّات والجزئيَّات نتنازع عليها، وهم مشـغولون بالقضايا الكبرى: كيف يخمدون جذوة هذه الصحوة؟ كيف يقطعون الطريق على مستقبل هذه الأمَّة؟ كنا ننتظر لهذه الأمَّة غدًا أفضل، ومستقبلًا أكثر إشراقًا، وهم يفكرون: كيف يقطعون الطريق على صحوتنا؟

في الجزائر:

وبدؤوا يكيدون بالفعل، قطعوا الطريق على قيام جمهورية إسـلاميَّة في الجزائر، لم يدعوا الانتخاب يسير في مجراه، ويصل إلى نهايته كما هو المعمول بـه في كل العالـم، صناديق الانتخاب هـي الَّتي تُحكَّم، وما تأتي به هو الَّذي يجب أن يقبله الجميع.

دخلنا معكم في لعبـة الديمقراطيَّة؛ فلماذا لا تدعون لنا الفرصة كما تركتموها لغيرنا؟ لماذا لا يحكم الإسـلام كما حكم غيره؟ دعوا هؤلاء

QaradawiBooks.com

الإسلاميين يُجرِّبون أنفسهم، وجرِّبوهم أنتم أيضًا، فإما أن ينجحوا ويستمروا، وإما أن يفشلوا فيرفضهم النَّاس، ويلفظوهم لفظ النواة، لكن لا، لا يسمح للإسلام أن يأتي بطريق الانتخاب.

وحينما جاءت حكومة جزئيَّة في تركيا العِلْمانيَّة، الَّتي حكمتها العِلْمانيَّة بالحديد والنار، وألغت الإسلام من التشريع ومن التعليم، ومن الثقافة ومن التقاليد، ومن الحياة العامة كلها، حينما وصل حزب إسلامي إلى السلطة مشاركًا لغيره، لم يأخذ السلطة كلها، أبَوْا إلَّا أن يكيدوا لهذا الحزب حتَّى يخرجوه من هذه السلطة، وهو لم يرفع سلاحًا، ولم يشهر سيفًا، ولم يستخدم عنفًا، إنَّما وصل بطريق الانتخاب في ظل ديمقراطيتكم المزعومة، فالديمقراطيَّة مقبولة إلَّا أن تأتي بالإسلاميين، هنا تُرفض الديمقراطيَّة، ويُرفض منطق الديمقراطيَّة.

رأينا حربًا على الإسلام وكيدًا له في البوسنة والهرسك، في أوروبا الشرقية، رأينا بالأمس المذابح والمجازر البشريَّة الجماعيَّة في البوسنة والهرسك، ورأيناها اليوم في كوسوفو في هذه المنطقة الألبانية الإسلاميَّة، رأينا هذا بوضوح.

في الشرق الأقصى:

رأينا ذلك في الشرق الأقصى، البلاد الإسلاميَّة الَّتي كانت تُعتبر من النمور الآسيويَّة كِيدَ لها حتَّى دخلت في دوَّامة اقتصاديَّة نزلت فيها عُملتها، وحدث ما حدث لها في إندونيسيا وفي ماليزيا.

ثم انتهى الأمر إلى ما حدث بين رئيس وزراء ماليزيا ونائبه في الحكومة ونائبه في الحزب، وهو رجل ذو توجه إسلامي، أبت القوى

QaradawiBooks.com

المعادية إلى أن تُحرِّض عليه؛ حتَّى يخرج من مكانه ويُتَّهم بتهم لا أصل لها، يعيش الإنسان طوال عمره معروفًا بالنظافة والصلاح، ثمَّ يأتي من يتهمه بالزنا وباللواط وبالقتل وبكذا وكذا.

كيف وقد قال الله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٢، ١٣]. هذا بعض ما يجري في بلادنا الإسلاميَّة.

في السودان:

رأينا التآمر على السودان منذ قامت ثورة الإنقاذ، أبدت توجُّهها الإسلامي، عندما قامت الثورة في أوَّل الأمر، ولم تكشف اللثام عن وجهها أخذوها بالأحضان، وتكلموا عنها كثيرًا بكلام طيب، حتَّى أبدت الثورة وكشفت عن وجهها الحقيقي، وأنَّها ثورة إسلاميَّة، هنالك بدت المكايد، وبدت المؤامرات، وبدأ الحصار من كل ناحية، وبدأت التهم تُوجَّه إلى السودان إلى أن رأينا ما رأينا أخيرًا، ضرب السودان بالقاذفات وبالطائرات وبالقنابل وتدمير مصنعٍ للدواء بدعوى أنَّه مصنع للأسلحة الكيماويَّة.

الآن سُقط في أيديهم، تبيَّن كذبهم، السودان يطالب بلجنة لتتقصَّى الحقائق وتبحث: هل كان هذا المصنع يعد لأسلحة كيماويَّة؟ أم هو مصنع للدواء؟ ولو كان هذا المصنع للأسلحة الكيماويَّة لدمَّر المنطقة كلها، هذا كذب صراح، إنَّما القصد هو العمل ضد هذه الثورة الإسلاميَّة، وهذه الجمهورية الإسلاميَّة، ولذلك حرَّضوا ضدها.

QaradawiBooks.com

في فلسطين:

الأمثلة كثيرة جدًّا أيُّها الإخوة، لا أستطيع أن أتحدَّث عنها كلها، هل أتحدَّث عما يجري في فلسطين في أرض النبوات والمقدَّسات، في أرض المسجد الأقصى؟

أأتحدَّث عن قتل إسرائيل للشابين المجاهدين: عادل عوض الله، وعماد عوض الله؟ حتَّى إنَّها ترفض تسليم جثتيهما، قتلتهما علانية وتحديًا واستفزازًا؟ المجال واسع للحديث عن هذا كله.

التوتر بين إيران وأفغانستان:

ولكن الأمر الَّذي ينبغي الحديث عنه الآن أيُّها الإخوة هو التوتر القائم بين إيران وأفغانستان، هذا التوتُّر الَّذي يُنذر بخطر كبير وشرٍّ مستطير إذا لم يتداركه العقلاء والحكماء من هذه الأمة.

هناك قوًى تسعى بكل جهدها لإشعال فتنة طائفيَّة وحرب دينيَّة بين السُّنَّة والشيعة، وإذا قامت هذه الحرب لا يستفيد منها سني ولا شيعي، ليس فيها غالب ولا مغلوب، ستأكل الأخضر واليابس، لن يكسب منها إلَّا إسرائيل، إلَّا الصهيونية والقوى الصليبيَّة، والقوى المعادية للإسلام وأهله.

هذه حرب يجب أن نتجنبها، يجب أن نُحذِّر منها إخوتنا في إيران، وإخوتنا في أفغانستان، لا يجوز لهذه الأمَّة أن يقاتل بعضها بعضًا مهما اختلفنا فيما بيننا، وقد حذَّرنا النبي ﷺ من ذلك فقال: «**لا تختلفوا؛ فإن مَنْ كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[١]، «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٢]، «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[٣].

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

والله تعالى يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]. فلا بدَّ أن نقف ضد هذه الحرب الَّتي يسعى إليها الساعون، ويُدبِّر لها المخطِّطون الماكرون.

لا يجوز أن نقتتل باسم السنة والشيعة، هذا ما لا ينبغي، في كثير من بلاد سنة وشيعة، إيران شيعيَّة ولكن فيها أقلية سنية كبيرة، وأفغانستان سنيَّة ولكن فيها أقلية شيعيَّة، وباكستان سنية ولكن فيها أقليَّة شيعية، والعراق ولبنان وبلاد الخليج بصفة عامة فيها سنة وشيعة؛ فلا يجوز إلَّا أن يتعامل الجميع بالتسامح فيما بينهم، على أساس هذه القاعدة الذهبية: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. هذا هو الَّذي يجب أن يحكمنا.

أمَّا أن يكون الحكم هو السيف والسلاح يشهره أحدنا في وجه الآخر فما أجمل هذا عند أعداء الأمة، يتفرجون علينا ونحن يقاتل بعضنا بعضًا؛ ماذا كسبت إيران من حربها مع العراق عشر سنوات؟

إنَّ هذه الحروب تُدمِّر ولا تُعمِّر، تهدم ولا تبني، تميت ولا تحيي؛ فعلينا أن نتجنَّبها، علينا بدل أن نُضيِّع الأرواح، ونهدر الأموال، ونسفك الدماء أن نبني ديارنا، نحن أحوج إلى كل درهم ودينار لننفقه في البناء والعمران، لا في التخريب والهلاك والإماتة، المستفيد الوحيد من ذلك هو أعداؤنا.

إذا كنا ننادي بالتعايش والتسامح مع الأقليَّات غير المسلمة: مع النصارى، ومع اليهود، ومع المجوس ومع غيرهم؛ فكيف لا يتعامل

QaradawiBooks.com

السنة والشيعة ـ رغم اختلافهم بعضهم مع بعض بروح التسامح؟ مهما وصل الاختلاف لا يجوز أبدًا أن نتقاتل.

نحن نُخطِّئ طالبان في قتلها للدبلوماسيين الإيرانيين، ما كان يجوز هذا أبدًا، النبي ﷺ لم يقتل الرسل الَّذين بعثهم الكفار إليه، وقال: «**لولا أنَّ الرُّسَلَ لا تُقتلُ، لضربتُ أعناقَكما**»[1]. لا يُقتل رسولٌ مبعوثٌ من الآخرين، هذه تقاليد أرساها الإسلام وأقرَّها، ويجب أن يحترمها الناس.

ولكن طالبان تقول: إنَّ الَّذي قتل هؤلاء النَّاس فئة من المارقين. لعلهم بعض المتعصبين، الَّذين لا يلتزمون بالأوامر والتوجيهات الَّتي تصدر من القيادة العليا، ويجب على طالبان أن تحاكم هؤلاء إذا كانوا معروفين.

لا نقر طالبان فيما فعلته، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا سببًا لإشعال الحرب، لا بدَّ أن يسعى العقلاء لإيجاد صيغة للتفاهم بين البلدين المسلميْن الجارين.

أقول لكم بصراحة: لقد كنت ضد طالبان، وكنت أشكّك فيها، ولم تكن تعجبني تصريحاتها الَّتي تتناقلها وكالات الأنباء عن موقفهم من تعليم المرأة، ومن عمل المرأة، ومن التليفزيون، ومن هذه الأشياء، ولكنِّي وجدت أن هناك مبالغات في تصوير هذه الحركة، هناك تشنيع متعمَّد، وتشويه مقصود، حتَّ ى قرأنا أخيرًا في المقال الأسبوعي للأستاذ فهمي هويدي: أنَّهم أصدروا مراسيم لإنقاذ آدميَّة المرأة من المهانة.

(١) رواه أحمد (١٥٩٨٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشاهده. وأبو داود في الجهاد (٢٧٦١)، والحاكم في قسم الفيء (١٤٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن نعيم بن مسعود.

QaradawiBooks.com

كانت بعض القبائل إذا حدث بين بعضها وبعض قتل تُقدِّم القبيلة الأخرى إحدى فتياتهم كنوع من الصلح. وهذه جاهليَّة، ولهذا صدر الأمر من أمير طالبان بمنع هذا، وأنَّ هذا مخالف للشريعة الإسلاميَّة، ومهين للمرأة الإسلاميَّة ولآدميتها.

أيضًا في بعض القبائل كانت المرأة إذا مات زوجها لا بدَّ أن تتزوَّج واحدًا من عائلة الزوج، فمنعوا هذا أيضًا، وقالوا: من حقِّ المرأة أن تتزوَّج مَنْ تشاء، ولا يُفرض عليها زوج لا تريده.

أيضًا صدر من أمير طالبان: أنَّه يجب أن يُعامَل الشيعة بالحسنى، وأن يُقدَّم إليهم ما يحتاجون إليه. هذه أشياء ما كنا نعرفها، فلماذا يُعتَّم على هذه الأشياء، ولا تظهر إلَّا الأشياء الأخرى المثيرة؟

نحن ينبغي أن نسعى لإيقاف سفك الدماء في أفغانستان، كفى أفغانستان ما قدَّمت من دماء، وما أُهدر فيها من أموال، وما دُمِّر من منشآت هذه السنين الطويلة، هذا الشعب الَّذي قدَّم ما يقرب من مليونين من الشهداء، ومثله من المعوقين، آن لهذا الشعب أن يستريح.

لِتحكم طالبان أفغانستان، ولندع لها الفرصة، وليذهب إليها من العلماء وأهل الحكمة والرأي مَنْ يُبصِّرهم، ويُسدِّد خطواتهم، ويُرشِّد مسيرتهم، وأعتقد أنَّهم قابلون لذلك.

طالبان هي حركة طلاب المعاهد الدينيَّة في أفغانستان، ومَنْ جاءها من الطلاب الَّذين درسوا في باكستان على مشايخ المدرسة الديوبندية، فهؤلاء هم أتباع مدرسة (ديوبند) الَّتي كانوا يسمونها (أزهر الهند)، هؤلاء أعتقد أنَّهم يقبلون النصح إذا وُجِد مَنْ ينصحهم برفق وبإخلاص، ويسدي إليهم التوجيه، هذا ما ينبغي أن نفعله.

QaradawiBooks.com

ينبغي أن نحافظ على استقرار أفغانستان، ليست هذه الديار في حاجة إلى مزيد من دماء تُسفك، وأعراض تُهتك، وحرمات تنتهك، ومنشآت تُخرَّب، آن لهذا الشعب أن يستريح.

ولهذا لم أوافق ولا أقبل ما طلبه برهان الدين رباني من القادة في إيران أن يُسلِّحوا اللاجئين ويردوهم ليقاتلوا في أفغانستان؛ لا أقبل هذا، إلى متى يظل النَّاس يتقاتلون؟ إلى أبد الأبد؟ هذا أمر لا يجوز.

يكفي أنَّ فصائل الجهاد لم تستطع أن تتَّفق فيما بينها للأسف، انتصروا على السوفييت، ولم ينتصروا على أنفسهم، أتقنوا فن الموت، ولم يتقنوا فن الحياة، كيف يحيا النَّاس معًا؟ كيف يتفقون؟ أنت تأخذ كذا، وأنا آخذ كذا.

لم يستطيعوا أن يتفاهموا، فأتاحوا الفرصة بهذا الخلاف والنزاع الدموي فيما بينهم، حيث كان يضرب بعضهم بعضًا بالصواريخ، أتاحوا الفرصة لطالبان أن تبرز وتجمع النَّاس، ويجتمع النَّاس عليها.

وللدين في أفغانستان أهميَّة كبيرة، وتأثير عظيم، الشعب الأفغاني يؤثِّر فيه الدين، وكلمة الدين، وكلمة العلماء، وقد أسقط العلماء في أفغانستان أحد عشر حاكمًا، اجتمع العلماء على هؤلاء عندما ظلموا وانحرفوا وأسقطوهم، وآخرهم أمان الله خان الَّذي انحرف عن الشريعة وفعل ما فعل فأسقطه العلماء.

ينبغي أن نتيح الفرصة لطالبان لتبني وتُعمِّر ويساعدها المسلمون في أفغانستان.

وأنا أقول لإخوتنا في إيران، وقد زرت إيران منذ عدة أشهر، ولقيت قادتها الكبار: لا يجوز لهم أن يرتكبوا الغلطة الكبرى، بإيقاد حرب بينهم وبين طالبان والشعب الأفغاني.

QaradawiBooks.com

أنا أناشـــد هؤلاء من هنا، من فوق هذا المنبر، أن يســـتمعوا لصوت الحكمة، ولا يستجيبوا للمشاعر الغاضبة، وللاستفزازات أن تعمل عملها فيتخذوا قرارًا ليس فيه مصلحة لأمة الإسلام.

وقد اتَّصلت بصديقنا آية الله الشـــيخ مُحَمَّد علي التســـخيري، وهو المسؤول عن العلاقات الثقافيَّة بين إيران وغيرها من البلاد، وخصوصًا البلاد العربيَّة والإســـلاميَّة، وأبديـــت له مخاوفي مـــن أن يتطوَّر الأمر، وحذَّرته من ذلك، وأوصيته أن ينقل ذلك إلى قادة إيران، وأرجو أن يقف معي كل علماء المسلمين، وكل حكماء المسلمين في هذا الأمر.

لا نريد أيُّها الإخوة أن نحقِّق ما يريده أعداؤنا منا، أعداؤنا يعلمون أنَّ هذه المنطقة ـ آســـيا الإســـلاميَّة ـ منطقة حافلة بالثـــروات، معظم النفط والغاز يستكن في هذه المنطقة، وهي منطقة القرن المقبل، هم يريدون أن يستفيدوا من هذا، يريدون أن يأخذوا ثرواتها بأرخص الأسعار، ويتحكَّموا في مصادر الثروة، ويسيطروا عليها، كيف يفعلون ذلك؟ لا يفعلون ذلك إلَّا إذا شغلوا هذه المنطقة بعضها ببعض، وضربوا بعضها ببعض.

ومن العجيب أنَّ الجمهوريَّات الإســـلاميَّة الَّتي استقلت عن روسيا، وكانت جزءًا من الاتحاد السوفيتي لم يحدث فيها تغيير، كل البلاد الَّتي استقلت عن روسيا بعد سقوط الاتحاد الســـوفيتي مثل أوروبا الشرقية: بولندا، والمجر، ورومانيا، ويوغسلافيا، كلها تغيَّر الحكم فيها، وحكمها أناس آخرون غير الشـــيوعيِّين؛ إلَّا الجمهوريَّات الإســـلاميَّة، بقي الَّذين يحكمونها هم الشيوعيُّون القدامى أنفسهم.

والغرب وأمريكا هم الَّذيـــن يخططون لذلك، لا يريـــدون أن تهبَّ نســـمات الحُرِّيَّة على هـــذه البلاد فتنتعـــش الدعوة الإســـلاميَّة، وتظهر

QaradawiBooks.com

الصحوة الإسلاميَّة من جديد، فالإسلام ينمو ويزدهر حينما توجد الحرية، حينما توجد الحرية لا بدَّ أن يزدهر الإسلام والدعوة الإسلاميَّة، فهؤلاء لا يريدون لهذه البلاد أن تتغير.

الذين يمكرون بنا ـ أيُّها الإخوة ـ يخططون بمهارة ودهاء ولا يظهرون، يعملون من وراء ستار، حتَّى نرى آثار هذا التخطيط، وقد بدا للعيان، فيجب على أمَّتنا أن تدرك ما يراد لها.

أنا والله لست من أنصار التفسير التآمري للوقائع ولا للتاريخ، ولكن لا أستطيع أن أتعامى عن الوقائع، وأنا أراها رأي العين، وألمسها لمس اليد، حينما أرى هذه الوقائع لا يمكن أن أنكرها وأقول: هذا من التفسير التآمري. هذا واقع نراه ونحسُّه ونعايشه ونلمسه؛ فعلى أمَّتنا أن تستيقظ، وأن تحذِّر من هذه المخطَّطات.

آن لهذه الأمة أن تخطِّط لنفسها، إلى متى نظل نقول: أعداؤنا يخطِّطون لنا، يكيدون لنا، يمكرون بنا؟ ونحن لا نخطِّط لأنفسنا! لماذا؟ لأنَّنا لا يوجد لنا كيان يخطِّط لنا؛ مَنْ الَّذي يخطط لنا؟ منظمة المؤتمر الإسلامي الَّتي تُمثِّل البلاد الإسلاميَّة المختلفة لم تقم بأيِّ جهد يُذكر في هذه القضيَّة، لم يتحرَّك أمينها العام، لم يطر بين أفغانستان وإيران، لم يحاول أن يبذل شيئًا؛ فمن الَّذي يخطِّط لهذه الأمَّة؟

نحن ـ أيُّها الإخوة ـ مأمورون أن نكون أمَّة واحدة كما أمر الله، لا أممًا متفرِّقة كما يريد الاستعمار، لا أقول هذا لألقي في قلوبكم اليأس والقنوط، أو أزرع فيها الوهن، لا والله، فأنا من المتفائلين والمستبشرين دائمًا، فرغم هذا كله أرى أنَّ الشمس لا بدَّ أن تشرق، وأنَّ الفجر لا بدَّ أن يبزغ، وأنَّ النهار قادم، وأنَّ المستقبل لهذا الإسلام، وأنَّ الغد لهذه الأمَّة.

QaradawiBooks.com

والله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٨

العداء للإسلام بين القديم والحديث[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

سألني أحد الإخوة سؤالًا سهلًا بسيطًا، ولكنَّه أيضًا سؤال صعب ومُعقَّد، قال لي: لماذا يعادون الإسلام؟ لماذا يعادي الغرب المسيحي الشرق المسلم؟ وما سر هذه الحملة الشرسة؛ بل الحرب الضروس السافرة حينًا، والمُقنَّعة أحيانًا على أمة الإسلام، وعلى صحوة الإسلام، وعلى حركة الإسلام؟ لماذا هذه الحرب على الأمة والصحوة والحركة الإسلاميَّة؟

لماذا هذا العداء للإسلام؟

ماذا صنعنا لهؤلاء حتَّى يعلنوا علينا هذه الحرب في كل مكان؟ تُعلَن علينا الحرب في فلسطين، وفي لبنان، وفي كشمير، وفي الشيشان، وفي السودان وفي الفلبين، وفي بلاد شتى؛ فماذا صنعنا حتَّى تُعلن علينا هذه الحرب الضارية بغير ذنب اقترفناه أو جرم ارتكبناه؟ هذا هو السؤال.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٢ يناير ٢٠٠٠م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والجواب: قلت للأخ: إنَّ هذه الحرب بيننا وبين هؤلاء القوم أمر طبيعي اقتضته سنن الله تعالى في الكون وفي الخلق، فقد اقتضت سنن الله أن يصطرع الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلال، والإيمان والكفر، سنة من سنن الله تبارك وتعالى، فإن الله خلق مع آدم إبليس، ومع إبراهيم نمروذ، ومع موسى فرعون، ومع مُحَمَّد أبا جهل وأبا لهب وأمثالهما.

وقد مات أبو جهل وأبو لهب، ولكن خلفهما كثيرون بأسماء أخرى، والله تعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. لكل نبي عدو، ولكل آدم إبليس، هذه سنة الله.

ولذلك اصطرع الإسلام مع أعدائه من أوَّل يوم، لم يرفع الإسلام سيفًا حينما جاء يدعو إلى الله، يدعو إلى التوحيد، ما رفع سيفًا، ولا أعلن عنفًا، بل أمر الله نبيه أن يقول للكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

ولكنهم أبَوْا إلَّا أن يصدوا عن سبيله، ويقفوا في وجهه، وقالوا له: لنا ديننا وليس لك دينك، ولنا أعمالنا وليس لك عملك، يجب أن تقف فلا تتحرك، وأن تغلق فمك فلا تدعو، ليس من حقك الدعوة إلى التوحيد، ولا إلَّا الحق، ولا إلى العدل والمساواة والإحسان.

هكذا وقفوا في وجه مُحَمَّد ﷺ، وسلَّطوا عليه وعلى أصحابه ألوانًا من الأذى والعذاب طوال ثلاثة عشر عامًا في مكة، ثمَّ لاحقوه في

QaradawiBooks.com

المدينة، واستمر صراع مُسلَّح، وكفاح دامٍ، وقتال دائم طوال العشر سنوات الَّتي قضاها النبي ﷺ في المدينة.

صراع على جبهات شتى:

وكان الصراع على جبهات شتى: على الجبهة الوثنيَّة العربيَّة، وعلى الجبهة اليهوديَّة الَّتي أقام النبي ﷺ معها اتفاقات، ثمَّ نقضت هذه الاتفاقات وغدرت برسول الله ﷺ وبأصحابه، وعلى جبهات أخرى متفرقة: الجبهة البيزنطية، حيث التقى معها في معركة مؤتة، ثمَّ غزوة تبوك، وهكذا.

ثم استمر أصحابه بعد ذلك في صراع فُرض عليهم، ولم يكونوا يريدونه، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

دعا الإسلام النَّاس إلى السلم، والدخول في الإسلام يعني الدخول في السلم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ولكن النَّاس أبَوْا إلَّا الحرب.

ودخل الإسلام في هذه الحرب الَّتي فُرضت عليه، ونصره الله على القوى المعادية، وما كان أكثرها عَدَدًا، وما كان أقواها عُدَدًا، ولكن انتصرت القلة على الكثرة، وانتصر الضعف على القوة، كما قال الله تعالى للنبي وأصحابه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد حدثت بدور أخرى بعد بدر الأولى، انتصر الإسلام على اليهوديَّة، وانتصر الإسلام بعد ذلك على المجوسية، وصفَّى إمبراطوريَّة كسرى.

وانتصر الإسلام كذلك على النصرانيَّة، وقصَّ أجنحة قيصر، أخذ من المَسيحيَّة بلادًا وأقطارًا شتَّى، منذ معركة اليرموك في بلاد الشام، ومعركة أَجْنَادِين في فلسطين، ومعركة مصر وفتحها، كل هذه البلاد كانت مَسيحيَّة، الشام بأقطارها المعروفة الآن، سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، كل هذه فتحها الإسلام وكانت مَسيحيَّة، أخذها من المَسيحيَّة، أخذ مصر، وأخذ شمال أفريقيا، فالمعركة مع المَسيحيَّة أو مع النصرانيَّة قديمة.

ورحَّبت هذه الشعوب بالإسلام، ودخلت فيه أفواجًا أفواجًا، حتَّى إن ولاة بني أمية في مصر كانوا يفرضون الجزية على مَنْ دخل في الإسلام من النصارى الأقباط لكثرة الداخلين منهم في الإسلام، إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز واستشاره واليه على مصر في فرض الجزية على مَنْ أسلم، فقال له: قبَّح الله رأيك؛ إنَّ الله بعث رسوله هاديًا، ولم يبعثه جابيًا[1]. دولة الإسلام دولة هداية، وليست دولة جباية.

عقدة الصدام مع النصرانية:

منذ ذلك الوقت الَّذي حدث فيه الصدام مع النصرانيَّة ظلت العقدة عند هؤلاء النصارى، وأرادوا أن يثأروا لأنفسهم فيما سُمِّي عندهم بالعصور الوسطى، وجاؤوا إلى الشرق الإسلامي بقضِّهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، في تلك الحرب الَّتي سمَّاها المسلمون (حروب الفرنجة)، وسمَّاها الغربيُّون (الحروب الصليبيَّة)، تسع حملات صليبيَّة

(١) رواه سعيد بن منصور، كما في سير أعلام النبلاء (١٤٧/٥)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وُجِّهت إلى هذا الشـــرق، وأقامت ممالك وإمارات، وتحالفوا مع بعض الخونة من أمراء المســـلمين في ذلك الوقت، ودخلـــوا بيت المقدس، واحتلوا المسجد الأقصى تسعين عامًا.

هذا ما حدث، حتَّى هيَّأ الله للمســـلمين مَنْ وقـــف يدافع عن حِمَى الإسلام، وعن حرمات المسلمين، كان هؤلاء أناسًا من غير العرب، من الجنس التركي والجنس الكردي، ولكن عرَّبهم الإسلام، قام عماد الدين زنكي التركي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه الكردي صلاح الدين الأيوبي، قاموا بجهادهم المبرور، وسعيهم المشكور، حتَّى حرَّروا أرض الإسلام من الصليبيين.

انتصر صلاح الدين في يوم مشهود في معركة حطين من قرى فلسطين، واســـتعاد بيت المقدس من الصليبيين، ولم يرق فيه من الدماء كما أراقوا يوم دخلوا بيت المقدس، فقد قتلوا هناك وقت ذاك عشرات الآلاف، حتَّى غاص النَّاس في الدماء إلى الركب، لم يفعل ذلك صلاح الدين

انتصر الإسلام على الصليبيين، كما انتصر بعد ذلك على التتار الَّذين كان بينهم وبين الصليبيين حلف لم يكن معروفًا وقتها للمسلمين، جاء الصليبيون من الغرب، وجاء التتار من الشرق، ولكن الإسلام استطاع أن ينتصر عليهم، وأن يسترد أرضه، وأن يستعيد قوته.

الاستعمار الحديث واحتلال بلاد الإسلام:

ثم جاء هـــذا الاســـتعمار الحديث في هـــذا العصر واحتـــل أوطان المسلمين بلدًا بعد بلد، وقُطرًا بعد قُطر، ولم يكد يوجد بلد إسلامي غير محتل من الغرب المســـتعمر، ما عدا المملكة العربيَّة السعودية واليمن،

QaradawiBooks.com

كل بلاد الإسلام قد احتلها الاستعمار الغربي، حتَّى إندونيسيا، وكانت تُقدَّر بخمسين مليونًا في ذلك الوقت، احتلها واستعمرها الهولنديون، وكانوا يُقدَّرون بخمسة ملايين.

دخلت بلاد الإسلام تحت الاستعمار الغربي البريطاني والفرنسي، وكان لهما حصة الأسد، والاستعمار الإسباني، والإيطالي، والهولندي، اقتُسمت بلاد المسلمين بين هؤلاء، وظل المسلمون يقاومون، وظهر أبطال في بلاد الإسلام، عمر المختار في ليبيا، وعبد الكريم الخطابي في المغرب، وحزب ماشومي في إندونيسيا، والشيخ عز الدين القسَّام في فلسطين، وهكذا ظهر في بلاد الإسلام مجاهدون، منهم مَنْ يجاهد بالسيف، ومنهم مَنْ يجاهد بالسياسة، حتَّى تحررت بلاد الإسلام من الاستعمار العسكري.

ولكن بقيت هناك ألوان من الاستعمار لم يستطع المسلمون التغلب عليها، ثلاثة أنواع من الاستعمار: الاستعمار الشيوعي، والاستعمار الصهيوني، والاستعمار الأمريكي الاستعمار الجديد، هذه الأنواع الثلاثة بقيت تعمل عملها في بلاد المسلمين.

١ ـ الاستعمار الشيوعي:

كثير من النَّاس لا ينظر إلى الشيوعية على أنَّها مُستعمِرة، مع أنَّها شر أنواع الاستعمار، أعلى مراحل الاستعمار هي الشيوعية، لأنَّها إذا دخلت بلدًا لا تخرج منه، وتحاول أن تغير معالمه ودعائمه وهويته.

وهكذا فعلت الشيوعية في الديار الإسلاميَّة الَّتي احتلتها، وكنا نعتبرها من الأقليات الإسلاميَّة، وكنت أقول دائمًا: لا يجوز لنا أن نسمي

QaradawiBooks.com

هذه البلاد أقليات إسـلاميَّة، تلك الَّتي تقبع وراء الجدار الحديدي في الاتحاد السوفيتي، أوزبكستان وكازاخسـتان وهذه المجموعة من البلاد هي أوطان إسـلاميَّة، كانت ممن دخل في الإسـلام مـن القرن الأوَّل الهجري، تصوروا هذه البلاد بلاد الإمام البخاري ومسلم وأئمة الحديث وأئمة الفقه وأئمة اللغة، وتعتبر أقلية في الاتحاد السوفيتي، لا، هذه بلاد إسلاميَّة استعمرها السوفييت.

وحينما انهار الاتحاد السـوفيتي وانهارت هـذه الأمم المختلفة عنه وأصبح لها استقلالها، كل البلاد الَّتي كانت في دائرة الاتحاد السوفيتي أخذت اسـتقلالها، وغيَّرت نظام حكمها، تغيَّر الحكام، كان في رومانيا مثلًا تشاوشيسكو، سقط تشاوشيسكو وانتخبوا حكَّامًا آخرين غير الحكام الشيوعيِّين، وهكذا فعلوا في رومانيا، وفي المجر، وفي تشيكوسلوفاكيا، وفي بولندا.

هكذا تغيَّر الحكام الشيوعيِّين إلى حكام ليبراليِّين ديمقراطيين في كل هذه البلاد إلَّا الجمهوريَّات الإسلاميَّة، اتفق الغرب الديمقراطي مع الاتحاد السوفيتي على أن تبقى هذه البلاد بحكَّامها الشيوعيِّين؛ لماذا يبقى هؤلاء في البلاد الإسلاميَّة وحدها؟ لماذا لا يتغيَّروا كما تغيروا في أوربا الشرقية، بل كما تغير الشيوعيُّون في روسيا نفسها وجاؤوا بيلتسن وأمثاله؟!

ذلك لتبقى هذه الأنظمة الشيوعية قابضة بيد من حديد على هذه الجمهوريَّات الإسلاميَّة، حتَّى لا يتنفس الإسلام، ولا تظهر الحركة الإسلاميَّة، وهي بالمرصاد، هي المفروض أنَّها الوارثة لهذه الشيوعية الغاربة الهاوية، ولكن أبَوْا أن يسـمحوا للإسـلام أن يتحرك، أو أن يُعبِّر عن نفسه.

QaradawiBooks.com

وفي بعض البلاد الَّتي عبَّر الإسلام فيها عن نفسه سُحق سحقًا، وضُرب ضرباتٍ مُحطِّمةً قاضيةً، هذا ما أراده الغرب للإسلام، وهذا ما حدث في بلاد القوقاز، اعتبرتها روسيا جزءًا منها، وهي ليست جزءًا منها، وإنَّما ضُمَّت إليها بالحديد والنار منذ عهد القياصرة، وقد قاوم أهلها من قبل، وقاوموا من بعد، وقاوموا اليوم، وسيظلون يقاومون ليحصلوا على استقلالهم، فهم ليسوا روسًا، هم يريدون أن يستقلوا بأنفسهم، ويريد الروس أن يرغموهم على أن يظلوا في دائرة روسيتهم.

وأعجب للغرب لماذا وقف في إندونيسيا مع استقلال جزيرة تيمور الشرقية، تيمور جزء من الوطن الإندونيسي، وأهلها إندونيسيون، الجنس واحد، والوطن واحد، واللغة واحدة، والشكل واحد، ولكن التبشير عمل عمله في تحويل كثير من هؤلاء إلى الديانة الكاثوليكية.

وظل الغرب يكيد كيده ليفرض على إندونيسيا أن تقوم بإجراء استفتاء في هذه المنطقة من إندونيسيا، وتحت الضغط والتهديد بسحب المعونات الاقتصاديَّة وغير ذلك قبلت إندونيسيا هذا الاستفتاء، وجرى الاستفتاء وكانت الأغلبية تريد الاستقلال، استقلال بلد عن الوطن الأم، وهو جزء من هذا الوطن، وأهله إندونيسيون، ولغتهم إندونيسية.

فعلتم هذا أيُّها الغرب، وفرضتم على إندونيسيا أن تقبل نتيجة الاستفتاء؛ فلماذا لم تقبلوا أن تستقل الشيشان؟ والشيشان ليست جزءًا من الوطن الروسي، وشعبها ليس من الشعب الروسي، الروس سلافيون، وهؤلاء قوقازيون، ولغتهم الأصلية ليست هي اللغة الروسية، ودينهم ليس هو دين روسيا، هؤلاء نصارى أرثوذكس، وهؤلاء مسلمون سنيون.

ولكن الغرب الَّذي يكيل بكيلين، ويعمل بمعايير مزدوجة، يُحلُّ هذا

QaradawiBooks.com

عامًا، ويُحرِّمه عامًا، ويعطي هذا ضد ما يعطي هذا؛ لأهواء وشهوات تحكمه، هذا الغرب لم يقف الوقفة القوية مع الإخوة في الشيشان المظلومين.

وأعجب من ذلك ليس موقف الغرب، وإنَّما موقف المسلمين أنفسهم، الموقف المخزي الَّذي يندى له الجبين، وينقطع له نياط الفؤاد، لم يحتجوا احتجاجًا صارخًا على هذا الجبروت الَّذي يفعله الروس مع الشيشانيين، لم نرَ دولة إسلاميَّة من أكثر من أربعين دولة تحتج احتجاجًا قويًّا، تسحب سفيرها من موسكو، أو تطرد السفير الروسي من بلدها، تطلب منه مغادرة البلاد، لا نريدهم أن يقاتلوا، فهم أعجز من أن يقاتلوا، ولكن نريد تحرُّكًا دبلوماسيًّا، يستدعون سفراءنا من موسكو، ويطردون سفراءها من بلادنا، لم يفعلوا ذلك، وهذا هو المؤسف.

الأمة في وادٍ، والحكَّام في وادٍ آخر، أرى شعوب المسلمين في كل مكان تتحرَّق، وتغلي من داخلها كالمرجل فوق النار، هذا هو شأن الشعوب، ولكن الشعوب في وادٍ، والحكَّام في وادٍ آخر بالفعل.

إخوتنا في الشيشان لم يقترفوا ذنبًا إلَّا أنَّهم يريدون أن يستقلوا، وقد خاضوا معركة منذ سنوات قريبة، أربع سنوات، وانتصروا فيها، ويريد الروس الآن أن يثأروا لأنفسهم بحجة واهية هي مقاتلة الإرهابيين في الشيشان، مَنْ هم الإرهابيون بحق؟

لقد انكشف زيف هذه الدعوى الآن حينما منعوا دخول الأطفال في سن عشر سنوات إلى الشيشان، يعتبرون الطفل ابن عشر سنوات إرهابيًّا يُرهب هؤلاء الروس، ويعتبرون ابن الستين أيضًا إرهابيًّا، لا يسمحون إلَّا لمن دون العاشرة وما فوق الستين، وما عدا هؤلاء يعتبرونهم مقاتلين إرهابيين.

QaradawiBooks.com

بارك الله في شعب أطفاله يرهبون الَّذين يقاتلون بالدبابات من فوق الأرض، وبالطائرات والصواريخ مُوجَّهة من الجو ومن كل مكان، أطفاله يرعبون هؤلاء، وشيوخه يرهبون هؤلاء، بارك الله في شعب الشيشان.

أين الإرهابيــون؟ مَنْ هــو الإرهابي؟ الإرهابيون بحــق هم هؤلاء الروس الَّذين يرهبون هذا الشــعب الآمن الَّذي يريد حقًّا من حقوقه، إذا كانــوا يقولون: نحن نقاتــل الإرهابيين ولا نقاتل الشــعب. إذن فأعطوا للشعب حق الاســتفتاء كما أعطيتم أهل تيمور، ماذا يختار؟ هل يختار البقاء في إطار الحكم الروسي أم يختار الاستقلال وحرية الإرادة لنفسه؟

نحن أيُّها الإخوة لم نتخلص من الاستعمار الشيوعي.

٢ ـ الاستعمار الصهيوني:

وهنا اســتعمار آخر هــو الاســتعمار الصهيوني لم نتخلــص منه، هو استعمار استيطاني يريد أن ينتزع الأرض، ويطرد أهلها منها، وقد فعل ذلك.

كان هناك اســتعمار غربي اســتيطاني في الجزائر، أرادت فرنسا أن تســتوطن الجزائر، وتجعلها جزءًا من فرنســا، وفرضت عليها الفرنسة؛ بحيث تنسى دينها ولغتها، ولكن الاستعمار الفرنسي كان يريد أن يزاحم أهل البلاد، ويبقي أهل الوطن في وطنهم.

أمَّــا الاســتعمار الصهيوني، فهو لا يريــد أن يبقى أهــل الوطن في وطنهم، فقد عمل من أوَّل الأمر عندما تمكَّن على أن يطرد أهل البلاد عن طريق المجازر الرهيبة، مذبحة دير ياســين وأمثالها إنَّما كانت لتخويف الشعب الفلسطيني بما يرى من دماء مسفوكة، وحرمات مهتوكة، ومجازر وحشية، أراد أن يرعب هذا الشعب حتَّى يغادر دياره لا يلوي على شيء.

QaradawiBooks.com

وكانت هذه هي الغلطة الكبرى من الإخوة الفلسطينيين، كان عليهم أن يبقوا في ديارهم، ولو تحوَّلت بيوتهم إلى مقابر ولا يتركوا الأوطان، ولكن للإنسان قدرة محدودة، لعلنا لو كنا مكانهم ما فعلنا إلَّا ذلك.

الاستعمار الصهيوني لا زال يعمل عمله، طرد أهل البلاد، وأقام دولته مكانهم، هذه الدولة الَّتي قامت على الاغتصاب والعدوان وطرد أهل الدار، وهم إلى الآن لا زالوا يحلمون بإسرائيل كبرى أوسع من إسرائيل الحالية، ولكن سياسة المراحل الَّتي تؤمن بها الفلسفة الصهيونية تقبل الآن بهذا، ولكنَّهم في قرارة أنفسهم يقولون: مُلكُ إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل.

كانت سياسة العرب في أوَّل الأمر تقوم على طرد إسرائيل المغتصِبة، وإعادة الوطن إلى أهله، وأنَّ العدوان لا بقاء له مهما استمر، ثمَّ بعد ذلك استرخى العرب واستكانوا، وضعفوا ووهنوا؛ فبدؤوا يُغيِّرون هذه السياسة بعد حرب حزيران أو يونيو سنة ١٩٦٧م. فأصبحت سياستهم تلهث وراء هدف جديد هو إزالة آثار العدوان؛ أي عدوان يقصدون؟ يقصدون عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧م.

أمَّا العدوان القديم سنة ١٩٤٨م. الَّذي أخرج أهل البلاد من ديارهم بغير حق إلَّا أن يقولوا: ربنا الله. العدوان الَّذي طرد الفلسطينيين من فلسطينهم، وأقام دولة العدوان مكانهم؛ فقد زال من حسابات العرب تمامًا، كأنَّما أضفى العدوان الجديد الشرعية على العدوان القديم؛ فنُسي وتُرِك ولا يُتحدث عنه، وأصبحت إسرائيل كيانًا شرعيًّا في نظر المفاوضين العرب، اللاهثين وراء السلام كما تريده إسرائيل.

QaradawiBooks.com

وهذا ما حدث بالفعل، انجرَّ العرب وراء هذه الدعوى الماكرة قُطرًا قُطرًا، وبلدًا بلدًا، ويكادون في النهاية ينتهون إلى إقرار السلام الَّذي تريده إسرائيل، فهذا السلام في مصلحة إسرائيل، وهي تستفيد منه، حتَّى السلام الَّذي يريدون الآن إجراءه مع سوريَّا يريدون أن يأخذوا بدل الانسحاب من الجولان كذا وكذا مليارًا، تدفع أمريكا منه جزءًا، وأوروبا منه جزءًا، وبلاد الخليج منه جزءًا، في مقابل انسحابها من أرضٍ ليست أرضها، الجولان أرض سورية.

وهكذا أيُّها الإخوة ستظل القضيَّة مستمرة، ولن تنتهي حتَّى يعود الحق إلى أهله، سيظل أهل الجهاد رافعين راية الجهاد، سيظل الإخوة في حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله، كل هؤلاء سيظلون رافعين راية الجهاد.

قد لا يستطيعون عمل شيء كبير الآن، ولكن المستقبل في صفهم، الحق لا يموت، الحق سيظل حقًّا مهما تغلَّب الباطل في وقت من الأوقات، دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]. لا بدَّ أن تظلَّ هذه القوة تُعلن رأيها، وتتمسك بحقها مهما كانت السياسة في غير جانبها.

هناك في إسرائيل مَنْ يرفض السلام، ومَنْ يرفض تسليم الجولان، وأقاموا مظاهرات هائلة؛ لماذا تسمح لإسرائيل بالمعارضين لسياستها، ولا نسمح بالمعارضين لسياسة حُكَّامنا؟

سيظل الرأي القائل بالجهاد هو رأي الشعوب الإسلاميَّة، وإن لم يكن رأي الحُكَّام المسلمين، هو رأي الأغلبية، هناك أناس يريدون

QaradawiBooks.com

السلام بأي وسيلة، وبأي سبيل، وهناك أنصار التطبيع مع إسرائيل، وهناك جماعة كوبنهاجن، وهناك وهناك، ولكن هؤلاء لا يُمثِّلون ضمير الأمة، ولا يُعبِّرون عن توجِّه الأمة، الَّذين يُعبِّرون عن توجه الأمة هم أهل الجهاد، الَّذين وضعوا رؤوسهم على أكُفِّهم، وأرواحهم في أيديهم، لا يفرطون في حق، ولا في شبرٍ من أرض، حتَّى يلقوا الله تبارك وتعالى.

٣ ـ الاستعمار الأمريكي:

بقي نوع من الاستعمار هو الاستعمار الجديد الَّذي تقوم عليه أمريكا الآن، هو استعمار لا يقوم على احتلال الأرض، ولا على حشد العساكر والجيوش، ولا على التحكُّم المباشر، ولكنَّه يعتمد على الأوامر من وراء ستار، على النصائح المُلزمة، والتهديدات المُقنَّعة الَّتي تُحرِّك الأنظمة من وراء الكواليس دون أن يراها أحد، ولكنها تُنفِّذ ما تريد حسبما خطَّطت له.

هذا الاستعمار الإمبريالي الجديد الَّذي يريد أن يحكم العالم تحت مسمى (العولمة)، أو غير ذلك، وبوسائط شتَّى ـ هو أخطر أنواع الاستعمار في عصرنا، إنَّه يعتمد على القوة العَسكريَّة، والقوة الاقتصاديَّة، والقوة العلمية، وأصبح هو العَلَم المُفرد، والقوة الوحيدة في العالم.

كانت في العالم قوتان تتجاذبان، ومن مصلحة الضعفاء أن يتعارض الأقوياء بعضهم مع بعض، وكان من دعاء السلف: اللهم اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين. ومن أمثلة العرب: إذا اصطلح الفأر والهِرَّة خرب دكان البقَّال.

هنا لم يصطلح الفأر والهِرَّة، ولكن غاب الفأر وبقيت الهِرَّة وحدها، بقيت القــوة الأمريكيَّة تحكم العالم، وتريد أن تجعلنا نحن المســلمين تابعين لهــا، وذيولًا لها، وأســارى في أيديها، وقد تســتعين على ذلك ببعض قوتها العَسكريَّة تُنزلها في هذا البلد أو ذاك البلد كما تريد.

التمسك بأسباب النصر:

ولكن هل يستسلم المســلمون؟ هل يفقد المســلمون هويتهم وإرادتهم؟ هذا ما لا يجوز، ينبغي أن نشــعر نحن المســلمين بأننا أحرار فــي ديارنا، أنَّ الله بوَّأنا مكانة الأســتاذية للبشــر، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

صحيح أنَّنــا لا نملك الترســانة النوويَّة ولا التدميريــة كما يملكها الغرب الآن، وكما تملكها أمريكا، ولكنا نملك القوة البشــريَّة، ونملك القوة الروحية، والقوة الحضارية التاريخيَّة.

نحن أصحاب حضــارة عريقة، وأصحاب رســالة عظيمة، رســالة عالميَّة، رســالة للعالم كله؛ فإذا استمســكنا برســالتنا، واستمددنا من حضارتنا وتراثنا، وتكاتف بعضنــا مع بعض، لم نتفرق كما نحن اليوم، ولم نستجب لوســاوس الآخرين حتَّى نُصبح أممًا متفرقة يجافي بعضها بعضًا، بل أمة واحدة كما أمرنــا الله ﷻ، إذا اعتصمنا بحبل الله جميعًا، ولم نتفرق، ولم نتنازع حتَّى نفشــل وتذهب ريحنا، إذا تعاونا على البر والتقوى، وتواصينــا بالحقِّ والصبر، واعتصمنا بحبــل الله جميعًا ـ فإن الأمل كبير في أن نســتعيد مكانتنا في التاريخ، والدور لنا، وليس الدور علينا، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

QaradawiBooks.com

أســأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمســها، وغدها خيرًا من يومها، وأن يُهيِّئ لها من أمرها رشدًا، اللهم آمين، وصلِّ اللهم على سيِّدنا محمد.

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله تعالــى لي ولكم فادعــوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص

٩

جرائم البشر في القرن العشرين[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

منذ مدَّة تحدَّثنا في إحدى الخطب عن وقفة على رأس القرن الميلادي الجديد، الَّذي يسمونه رأس الألفية الثالثة للميلاد، تحدثنا عن وقفة بين قرنين، قرن مضى ودَّعناه، وقرن استقبلناه واستقبله معنا العالم كله.

إنجازات البشرية في القرن العشرين:

تحدثنا عن القرن الماضي، وماذا كان فيه من إنجازات ومن إخفاقات، أنجزت البشريَّة فيه كثيرًا من الثورات العلمية: الثورة التكنولوجية، والثورة الفضائية، والثورة الإلكترونية، وثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، والثورة البيولوجية وهندسة الجينات، إلى آخر ما اكتشفه الإنسان من (الجينوم) البشري، ومحاولة الاستنساخ، إلى آخره.

وذكرنا كذلك ممَّا أنجزته البشريَّة في القرن الماضي أنَّه قرن الحريَّات،

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٦ أبريل ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

حريَّات الشعوب والفئات الضعيفة وحقوق الإنسان، وذكرنا ما في هذه وتلك من شوائب، فلم تكن هذه كلها نعمًا خالصةً، بل شابتها شوائب، وغلَّفتها مصائب وكوارث، فلم تنعم الإنسانيَّة بها على الوجه الأكمل.

انهيار القيم الإيمانية والأخلاقية:

وذكرنا أنَّ هذا القرن ـ مع أنَّه قرن الحريَّات، وقرن العلوم والتكنولوجيا ـ هو قرن انهيار القيم الإيمانيَّة والأخلاقيَّة، انفصل فيه العلم عن الإيمان وعن الأخلاق، وانفصلت الحياة كلها عن الإيمان وعن الأخلاق.

وإذا عاش النَّاس بلا إيمان ولا دين، عاشوا لدنياهم وحدها، عاشوا للمادة، عاشوا للحسِّ وحده، عاشوا للحاضر وحده دون نظر إلى المستقبل، عاشوا للكم دون الكيف، عاشوا للمادَّة لا للروح، عاش كل واحد لنفسه ولم ينظر إلى غيره، إذا عاش النَّاس هكذا فإنَّ الدُّنْيا تقبل على كوارث ومصائب، ربما كان لها أول، ولكن ليس لها آخر!

هذا ما رأيناه في حياة البشر في القرن الماضي، ولا زال له امتداده في هذا القرن، فصلَ الناسُ العلم عن الدين، عن الإيمان، عن الأخلاق، ولذلك أصبح العلم يُستخدم في الشر أكثر ممَّا يُستخدم في الخير، القنابل النوويَّة والذرِّية، والأسلحة الجرثومية والكيمياوية.

ورأينا تغلُّب القوي على الضعيف، واستكبار العتاة في الأرض، واستعباد المستضعفين الَّذين لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلًا، وليس لهم حول ولا طول، ولا ظهر ولا سند، هؤلاء أصبح الفراعنة في الأرض يتحكَّمون فيهم، ويتسلَّطون عليهم، أصبح فرعون وهامان وقارون: القوى الطاغية الثلاث، الَّتي يتعاون بعضها مع بعض، الحكَّام

QaradawiBooks.com

المتألِّهون في الأرض، ومعاونوهم من السياسيين الوصوليين، والرأسماليين أصحاب الأموال والملايين والبلايين، هذه القوى أصبحت تتحكَّم في أرض الله، في بلاد الله، في عباد الله!

غير مرخصة للطباعة

الانفصال بين العلم والدين:

رأينا من الانفصال المشؤوم، والفصام النكد بين العلم والدين، وبين العلم والأخلاق، وبين الحياة والإيمان والأخلاق، رأينا من ذلك آثارًا سيِّئة، رأينا الحروب المدمِّرة، في القرن الماضي وحده حدثت حربان عالميتان قُتل فيها الملايين، كانت الحروب قديمًا يُقتل فيها العشرات أو المئات، وإذا كثرت فالآلاف، أمَّا الحروب في عصرنا فيُقتل فيها الملايين.

لم تكن هذه الحروب العالميَّة كحرب البسوس الَّتي دامت بين بكر وتغلب من قبائل العرب أربعين عامًا، لكن قُتل فيها عشرات أو مئات، ولم تكن كحرب داحس والغبراء، ولم تكن كحرب فارس والروم قديمًا؛ وإن قُتل فيها الآلاف وعشرات الآلاف.

ولم تكن هذه الحروب العالميَّة كحرب الرسول وأصحابه مع المشركين، الرسول ﷺ غزا نحو سبعٍ وعشرين غزوة، وأرسل أصحابه في نحو خمسٍ وخمسين سريَّة؛ أتدرون ما حصيلة الضحايا من هذه الغزوات والسرايا؟ أحصاها بعض الباحثين فكانت نحو أربعمائة من الشهداء من المسلمين والقتلى من غير المسلمين.

الحروب العالمية وأثرها:

أمَّا هذه الحروب فكانت على مستوى القارات كلها، ساهم فيها البشر جميعًا، البشر قد كثروا في هذا العصر، ولم يكونوا كالبشر قديمًا،

QaradawiBooks.com

ولم تعد الأسلحة في هذا العصر السيوف، ولا الرماح، ولا النبال؛ بل أصبحت الأسلحة بالرصاص والرشاشات، والدبابات والطائرات، الأسلحة الَّتي تقتل الآلاف وعشرات الآلاف مرَّة واحدة، الأسلحة الَّتي تُدمِّر البيوت والمدن بقسوة وبسرعة هائلة.

ولذلك قالوا: إنَّ حصيلة الحرب العالميَّة الأولى كانت نحو تسعة ملايين، وأمَّا الحرب العالميَّة الثانية فكانت حصيلة ضحاياها نحو واحد وستين مليونًا من البشر. أي حصيلة الحربين حوالي سبعين مليونًا من البشر!

كانت هذه الحرب أساسًا بين الأوروبيِّين بعضهم وبعض، الَّذين تجمعهم قارة واحدة، ويجمعهم دين واحد هو المسيحيَّة، ولكن الدُّنيا، وأطماع الدُّنيا، وصراع الدُّنيا، صراع البقاء أو صراع الفناء: جعلهم يحارب بعضهم بعضًا، وتنضم إليهم قوى أخرى كانت حصيلتها هذه العشرات من الملايين.

وليست هذه وحدها هي ضحايا ذلك القرن، هناك ضحايا آخرون، حروب أهليَّة، وثورات دمويَّة، ومقاومات شعبيَّة مع الحكام، كانت حصيلتها كما تحكي الأرقام مائة وسبعين مليونًا من البشر.

وهناك جرائم أخرى عدَّ بعضهم منها جرائم إجهاض مُتعمَّد، في الصين وحدها أُجهض مائة وعشرة مليون، قال المؤرخ الَّذي ذكر هذه الإحصائيَّة: فإن اعتُبر الإجهاض جريمة تكون أوسع جرائم البشر وأكبرها. ولِمَ لا تكون جريمة؟ الإجهاض المُتعمَّد لمخلوق خلقه الله؛ ألا يكون جريمة؟!

QaradawiBooks.com

هذه ضحايا البشر في هذا القرن، الضحايا من الدماء والنفوس، وما وراء ذلك من دمار، دمار للدور وللمساجد وللمدارس، وللمكتبات وللآثار، حدِّث ولا حرج، فلا يمكن أن يكون هناك قتل بهذه الصورة وهذه القساوة إلَّا ومعه تخريب وتدمير، فهؤلاء خرَّبوا البلاد وقتَّلوا العباد.

إفساد الفطرة التي فطر الله الكون عليها:

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، إنَّ الإنسان الَّذي تخلَّى عن دينه، وتخلَّى عن إيمانه بربه، وتخلَّى عن القيم الأخلاقيَّة، ولم يصل أرضه بالسماء، ولم يصل حباله بخالقه، واستغنى عن الله ﷻ، وظنَّ أنَّه يقوم وحده دون حاجة إلى خالق يرعاه ويدبِّر أمره، ويأمره وينهاه، إنَّ الإنسان حينما فعل ذلك أفسد في الأرض، عاث في الأرض فسادًا، جنى على نفسه، وجنى على غيره من المخلوقات: من الإنسان، ومن الحيوان، ومن النبات، ومن الجماد.

أفسد الفطرة الَّتي فطر الله الخلق عليها، وليس وراء إفساد الفطرة إلَّا عقوبة السماء، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

أفسد الإنسان فطرته، وأفسد فطرة ما حوله، حاول أن يغيِّر خلق الله استجابةً لوساوس الشيطان وأمره؛ حينما قال متوعِّدًا بني آدم: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]. اتَّخذ النَّاس الشياطين أولياء من دون الله، واستجابوا لوساوسهم فغيَّروا خلق الله، غيَّروا فطرة الله في أنفسهم، وفي الحياة من حولهم.

QaradawiBooks.com

أفسد الإنسان فطرة الأشياء، ولذلك سمعنا ما سمعنا من أمراض لم يكن يعرف عنها البشر شيئًا، أسمعتم بجنون البقر الَّذي تتحدث عنه الصحف والإذاعات ووكالات الإعلام؟! جنَّن الإنسان البقر، البقر مخلوقات مُسخَّرة للإنسان، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

هذه الأنعام جنَّنها الإنسان، خلق الله البقر حيوانًا آكلًا للعشب، للنبات، فحوَّله الإنسان رغم أنفه إلى حيوان آكلٍ للمواد الحيوانيَّة البروتينيَّة، أطعمه اللحم، جعله سبُعًا رغم أنفه وهو من بهيمة الأنعام، أطعم البقر العلف الصناعي الَّذي يؤخذ من مخلفات الحيوانات، فكانت النتيجة بعد مدة: أن تغيَّرت طبيعة البقر، وأصبح شيئًا آخر غير البقر الَّذي يعرفه الإنسان، وأصبحوا يحذرون من مرض جنون البقر، وأوَّل مَنْ أُصيب بهذا المرض هم المتقدمون أهل العلم والتكنولوجيا في بريطانيا وفي غيرها من أوروبا.

ثم ظهرت أمراض أخرى غير جنون البقر، حمَّى الوادي المتصدع، وهذا الوادي في كينيا في أفريقيا بدأت فيه الحمَّى فنُسبت إليه، وأصبحت تنتشر في بلاد أخرى، وظهرت الحمى القلاعية الَّتي نسمع عنها وأصبحت تهدِّد الثروة الحيوانيَّة في أوروبا، وانتقلت من أوروبا إلى بلاد كثيرة.

هذه مصائب أُصيب بها البشر، والبشر هم الَّذين جنوا على أنفسهم، غيَّروا فطرة الله الَّتي فطر الله النَّاس عليها، وفطر المخلوقات عليها، كان همهم الكسب، همهم الربح، ولا يهمهم هل هذا يضر الحيوان أو لا يضره؟ هل هذا يسيء إلى الحيوان أو لا يسيء إليه؟

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ يقول: «**اتَّقوا الله في البهائم العجماوات، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة**»[١]. هذه البهائم العجماوات يُسأل عنها الإنسان، لا بدَّ أن يرفق بها، وأن يحسن إليها، الجنَّة والنار موقوفة على من أحسن وأساء إلى هذه الحيوانات وأمثالها، «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها**»[٢]، ودخلت بغيٌّ الجنَّةَ في كلب سقته[٣]، فالمسألة تتعلق بهذه القلوب، القلب القاسي لا يستحق أن يدخل الجنَّة، والقلب الرحيم لا يدخل الله أصحابه النار.

فصل الحياة عن الإيمان والأخلاق:

الحضارة الماديَّة الحسيَّة الإباحيَّة الحديثة: فصلت الإنسان عن الدين، عن الإيمان، عن الأخلاق؛ فكان ما كان من هذه الأشياء، لوَّث الإنسانُ البيئة، خلق الله الأشياء طاهرة، ولكن الإنسان لوثَّها، خلق الله الأشياء طيِّبة، ولكن الإنسان خبَّثها، خلق الله الأشياء صالحة، ولكن الإنسان أفسدها.

ولذلك كان الأنبياء من قديم ينهون أقوامهم عن الإفساد في الأرض، قال صالح لقومه: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]. وقال شعيب لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]. وقال موسى لقومه: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

---

(١) رواه أحمد (١٧٦٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وأبو داود في الجهاد (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٤٥)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٩٦٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣)، عن سهل ابن الحنظلية.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨)، ومسلم في التوبة (٢٦١٩)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧)، ومسلم في السلام (٢٢٤٥)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

وقال القرآن لهذه الأمَّة: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. رحمة الله قريبة من المحسنين، وليست قريبة من المفسدين، المفسدون لا يستحقون رحمة الله، هم محرومون من رحمة الله ﷻ، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي بعد أن خلقها الله صالحة مُهيَّأة لكل خير تحتاجون إليه، مُهيَّأة للإنبات، مُهيَّأة للسقي، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١].

الله ﷻ هيَّأ لكم هذه الأرض، فلا تعثوا فيها مفسدين، ولكن الإنسان عاث فسادًا في الأرض فلوَّث البيئة، لوَّث تربة الأرض بما رمى فيها من نفايات، حتَّى النفايات الذَّريَّة، لوَّثها بالإشعاع، لوَّث الجو، القرآن يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]. نحن نقول: إنَّ الفساد ظهر الآن في البر والبحر والجو أيضًا، لأنَّهم أفسدوا الهواء، تسمعون عن ثقب الأوزون وهذه الأشياء.

إفساد التوازن البيئي:

أفسد الإنسان التوازن البيئي، وأخلَّ بالتوازن الكوني، جنى الإنسان على نفسه حينما بَعُد عن ربه وهداية ربه ووحيه، هذا ما صنعه الإنسان، لوَّث البيئة، لوَّث البحار والأنهار والبحيرات، حتَّى البحار لُوِّثت، أصبح النَّاس يشكون الآن من بقع الزيت الَّتي تُفسد عليهم الأحياء المائيَّة: الأسماك، هذا اللحم الطري الَّذي امتنَّ الله به، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، حتَّى هذا اللحم الطري لوَّثوه وأفسدوه.

حتى الأنهار أصبح معظمها مُلوَّثًا بمخلَّفات المصانع وما فيها من مواد، وأصبحوا يُحذِّرون الإنسان أن يشرب منها، أو يستحم فيها،

QaradawiBooks.com

أصبحوا يُحـذِّرون الآن من المـواد المُسـرطِنة أي الَّتي تسـبِّب داء السرطان، وهو داء عضال لم تستطع البشريَّة حتَّى الآن أن تكتشف دواء شافيًا له.

هناك مواد مسرطِنة، ولعلكم سـمعتم آخر ما قرأناه في هذا الأسبوع في صحف هذا البلـد: المادَّة الكيماويَّة الَّتي اكتشـفوها، ويسـتعملها أصحاب المخابز لتحسـين الخبز، وهي مادة مسرطِنة ومادة ضارَّة. أمن أجل أن تبيع خبزًا أكثر، أو تُحسِّـن خبزك بالباطل تضر بخلق الله، تفسد على النَّاس صحَّتهم، تقتل الناس؟!

هذا قتل، ولكنَّه قتل بطيء، هناك قتل سريع بالسكين أو بالرصاص، وهناك قتل بطيء، هذا هو القتل البطيء؛ ماذا أصاب الناس؟ هل تضر النَّاس من أجل أن تربح دراهم أو دنانير؟! مهما كثرت فهي متاع قليل، ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

وهَب أنَّك كسبت الملايين، فما قيمة هذه الملايين؟ إمَّا أن تتركك، وإمَّا أن تتركها، هناك أناس كسـبوا الملايين ثمَّ ضاعت منهم، خصوصًا ما جاء من حرام؛ قَلَّ ما يبقى، لا يبارك الله فيه، وإذا بارك الله فيه كان هذا دليلًا على شدَّة غضب الله.

ولذلك قالـوا: إذا غضب الله على قوم رزقهم من حرام، وإذا اشـتدَّ غضبه بارك لهم فيـه. وإذا أراد الله لهم بعض الخير؛ فـإن الله يعاقبهم، فيزيل عنهم هذا الحرام في الدُّنيـا، ولعلهم يتنبهون من غفلة، ويعودون إلى التوبة!

ولكن إذا كان الله يريد بهم شـرًّا، فإنَّه يبارك لهم في الحرام، وكلما

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

أحدثوا معصية أحدث لهم نعمة؛ مكرًا بهم، واستدراجًا لهم، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥]، فتحنا عليهم أبواب كل شيء، هذا هو الاستدراج، فيظنون أنَّهم على شيء، وما هم على شيء.

آثار انحراف البشرية عن سنن الله:

يا أيُّها الإخوة، البشريَّة الآن تتعرض لأخطار محدقة، وأخطار موبقة، وأخطار مهلكة نتيجة انحرافهم عن سنن الله، وعن هُدَى الله، وعن وحي الله، أنَّهم اتبعوا أهواءهم، ولم يتَّبعوا هدى الله، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، هؤلاء أضلهم الله على علم.

لا نجاة للبشريَّة إلَّا إذا عادت إلى ربها، عادت إلى الإيمان بالله، عادت إلى الدين القويم، وإلى الصِّراط المستقيم، ولا يوجد صراط مستقيم إلَّا الصِّراط الَّذي بعث الله به محمدًا ﷺ، وهدى النَّاس إليه، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

إذا سارت الإنسانيَّة في طريقها الأعوج بعيدًا عن هُدى الله وهُدى رسوله، إذا سارت وراء الأهواء والشهوات؛ فلن تجني إلَّا الحصاد المر في نفسها، وفي مالها، وفي أولادها، وفي حياتها كلها.

QaradawiBooks.com

قد رأينا نتيجة الإباحيَّة الَّتي ابتُليت بها البلاد الغربيَّة ومَنْ قلَّدهم، كان نتيجة ذلك الأمراض الَّتي لم يجدوا لها علاجًا حتَّى اليوم، مثل مرض فقد المناعة الَّذي يعبرون عنه بالإيدز، نتيجة ارتكاب الفواحش، نتيجة البُعد عن منهج الله ﷻ، الَّذي شرع النكاح وحرَّم السفاح، وحرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، سواء كانت فاحشة الزنى أم فاحشة الشذوذ.

ولكن هؤلاء استباحوا ما حرَّم الله، استباحوا ما حرَّمته الديانات كلها، ما حرَّمه الأنبياء جميعًا، هم يدَّعون أنَّهم على دين المسيح، وأنَّ حضارتهم حضارة مسيحيَّة، وكذبوا؛ إنَّها ليست حضارة المسيح ابن مريم، إنَّها حضارة المسيح الدجَّال، المسيح الدجَّال أعور، وهذه حضارة عوراء، لا تنظر إلى الكون ولا الإنسان، ولا الحياة ولا الوجود؛ إلَّا بعين واحدة، هي العين الماديَّة، تنظر إلى الأرض ولا تنظر إلى السماء، تنظر إلى الدُّنْيا ولا تنظر إلى الآخرة، تنظر إلى المادَّة ولا تنظر إلى الروح، تنظر إلى الخلْق ولا تنظر إلى الخالق؛ إنَّها حضارة عوراء ممسوخة، ليست من المسيح ولا المسيحيَّة في شيء.

المسيح يقول في إنجيله: لقد كان مَنْ قبلكم يقولون: لا تزن. والحق أقول لكم: مَنْ نظر بعينه فقد زنى[1]. أي لم يُحرِّم الزنى الحقيقي وحده؛ بل حرَّم مقدِّمات الزنى، مَنْ نظر بعينه فقد زنى.

وهذا ما قاله مُحَمَّد ﷺ حينما قال: «**العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما اللمس، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والنفس تتمنَّى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذبه**»[2]. فالأعضاء قد تزني، أي: تفعل ما هو مقدمات الزنى.

---

(١) إنجيل متَّى (٢٨/٥، ٢٩).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٣) بنحوه، ومسلم في القدر (٢٦٥٧) (٢١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الحضارة الغربية ليست مسيحية:

كل الأنبياء حرَّموا هذه الأشياء، فهذه ليست حضارة مسيحيَّة، إنَّها حضارة دجَّاليَّة، حضارة عوراء، حضارة ممسوخة، ولذلك إذا ظلت على هذه الطريقة العرجاء العوجاء العوراء؛ فلن تجني إلَّا الكوارث، في البر والبحر والجو، كما قال الله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. لم يدَعوا شيئًا في الحياة دون أن يفسدوه، هذا الفساد والاختلال الَّذي حدث؛ إنَّما هو بما كسبت أيدي الناس.

عقوبات الله للبشرية بما كسبت أيديهم:

إنَّ الله ﷻ لا يعاقب النَّاس إلَّا بأعمالهم، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، من فضل الله ﷻ أنَّه لا يعاقب النَّاس بكل معاصيهم وكل ذنوبهم، وإلا لهلكوا كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥]. ولذلك يقول هنا: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟﴾. لا ليذيقهم كل الَّذي عملوا، لا، بل ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟﴾. والبعض الآخر يعفو عنه.

ولماذا يعاقبهم ببعض الَّذي عملوا؟ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. أي إن هذه الآفات الَّتي تصيب النَّاس، والمصائب الَّتي تُصبُّ عليهم؛ إنَّما يُراد بها أن تُذكِّرهم ليرجعوا إلى الله، أن تُنبِّههم من غفلتهم، أن تُوقظَهُم من سكرتهم؛ ليقرعوا باب الله تائبين نادمين، ويقولوا ما قاله أبوهم آدم

QaradawiBooks.com

وأمُّهم حواء من قديم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

دعوة إلى استمرار الدعم لفلسطين:

لا زال إخوتنا وأبناؤنا في فلسطين الحبيبة، في أرض النبوات والمقدَّسات، في أرض الإسراء والمعراج، في أرض المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله، وربطه بالمسجد الحرام، فهذا مبتدأ الإسراء، وهذا منتهى الإسراء ومنطلق المعراج.

لا زال إخوتنا وأخواتنا وأبناؤنا وبناتنا في أرض فلسطين الحبيبة يعانون الأمَرَّيْن، يتجرَّعون الصاب والعلقم، لا زال إخوتنا يقدِّمون الضحايا كل يوم، لا زالت الأرواح تُزهق، ولا زالت الدماء تُسفَك، ولا زالت الحُرمات تُهتك، ولا زالت المنازل تُدمَّر أمام أعيننا، لا زال الحصار مضروبًا على إخواننا، يريد أن يقتلهم من الجوع.

لا زال هذا كله يحدث على مرأى ومسمع منا نحن العرب، ونحن المسلمين، ونحن العالم كله، ولا نجد مَنْ يُحرِّك ساكنًا، لا نجد ثورة عارمة، لا نجد صراخًا مُدويًّا، لا نجد مسيرات في الشوارع، لا نجد تجاوبًا مع هذه الانتفاضة المباركة، لقد خفت الصوت الصارخ، والحركة القويَّة قد سكنت، والتجاوب الهائل قد بهت، ما الَّذي حدث حتَّى حصل هذا؟

إنَّ على هذه الأمَّة أن تؤدِّي واجبها نحو إخوانها، إنَّ هؤلاء منا ونحن منهم؛ فلماذا نسكت على جراحهم؟ لماذا نسكت على تضحياتهم؟ لماذا

QaradawiBooks.com

نقف مكتوفين أمام آلامهم؟ لماذا نــرى الضحايا كل يوم يُودَّعون، نرى النعوش المحمولة، نرى الدماء المســفوكة، نرى الأرواح المزهَقة، نرى الحرمات المنتهَكة؟

نرى هذا كلــه ونحن صامتــون؛ كأنَّ الأمر لا يعنينــا، لا، لا بدَّ أن نصــرخ، لا بــدَّ أن نقف مــع إخواننا بكل ما نســتطيع، لمــاذا وقفت التبرعات؟ وأنا لا أحب أن أســميها التبرعات، هي جهاد بالمال، لماذا وقف الجهاد بالمال، لماذا وقفت هذه التجارة الرابحة؟! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١١]، لماذا وقفت هذه الإمدادات الماليَّة؟

حتى ما قــرَّره العرب في قمتهم الأولى والثانية لم يصل منه شــيء يُذكر إلى الإخوة في فلسطين، لماذا لا يســارعون بإمدادهم بالمال؟ إنَّ هذا كله يدل على أنَّ الأمة غائبة الوعي، فاقدة الإحساس، فاقدة الشعور، أين التجاوب؟ أين الأُخوَّة الإســلاميَّة؟ أين المعتصم الَّذي يقول: لبيك يا أختاه؟ أين هذا كله أيُّها الإخوة؟ لماذا لا نتجاوب مع إخواننا؟

لماذا خفتت المقاومــة ووهنت وضعفــت؟ كان النَّاس في حماس لمقاطعة البضائع الصهيونيَّة والأمريكيَّة، ولكن بدأ الأمر يسترخي، كأن القضيَّة قد انتهت، كأن العقدة قد حُلَّت، كأن الديار قد رجعت.

إنَّ الأمــر يزداد ســوءًا كل يوم، هــذا المتجبر الطاغية المســمى (شــارون) الَّذي يريد أن يطفئ الجذوة، وأن يقضــي على الانتفاضة، وحدَّد لذلك مائة يوم بدأت منذ أيام، وضع خطــة المائة يوم للقضاء على الانتفاضة.

QaradawiBooks.com

ونحن نقول: ستنتهي المائة يوم يا شارون ولن تستطيع أن تقضي على هذه الانتفاضة، لن تستطيع أن تطفئ نور الله بفمك، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، سينتهي شارون كما انتهى باراك، وكما انتهى نتنياهو، وكما انتهى رابين، وكما انتهى كل الطغاة الظالمين؛ فإنَّ دولة الباطل ساعة، ودولة الحقِّ إلى قيام الساعة، لن يستمر شارون، وظلم شارون، وطغيان شارون.

ولكن علينا نحن أن نقف مع إخواننا، أن نقف وقفة الرجال مساندين لإخوانهم الرجال، وقفة المؤمنين مساندين لإخوانهم المؤمنين، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ فأين أُخوَّة الإسلام؟!

يا أبناء الإسلام، أين غضب العرب؟ أين الدم العربي الفائر؟ أين النجدة العربيَّة الَّتي عُرف بها العرب منذ الجاهليَّة؟ وأين أبناء الإسلام؟ أين أتباع مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام؟ أين أحفاد عمر وخالد وعليٍّ، وصلاح الدين وطارق بن زياد؟ أين الأبطال في هذه الأمَّة؟

الأبطال في هذه الأمَّة موجودون، رأيتهم بعيني، وشاهدتهم بنفسي في المشارق والمغارب، والشمال والجنوب، يتحرَّقون إلى الجهاد، يتمنون أن يُفتح لهم باب ليلجوا منه لمقاومة الصهاينة، ولكن الأبواب أمامهم مُغلَّقة موصدة، دول الطوق تمنع أحدًا أن يصل إلى الصهاينة ليقاتلهم.

على الأقل إذا لم نستطع أن نقاتل ونبذل الدم كما يبذل إخواننا؛ فلنبذل الأموال، ولنقاطع الأعداء، ولنجنِّد المشاعر، ولنعبِّئ القوى، وليكن الأمر حاضرًا في أذهاننا غير غائب، قويًّا غير ضعيف، حيًّا غير ميت، هذا ما نريده أيُّها الإخوة.

QaradawiBooks.com

لا نريد هذا الجمود، وهذا الهمود، وهذا الخمود، وهذا الموت الَّذي نشـــهده في أمَّتنا، ما هذا؟! كأنه لا توجد انتفاضة، كأنه لا يوجد شعب يفقد كل يوم رجالًا ونساءً وأطفالًا!

إنَّ الصهاينة لا يقتلون المقاتلين وحدهم؛ بل قتلوا فيمن قتلوهم نحو مائة وخمسة من الأطفال، ويقتلونهم في الرأس أو الصدر تهديفًا وتنشينًا، ليس ضربًا عشـــوائيًّا، ولا إصابات خاطئة، لا، بـــل إصابات مقصودة، وأربعة وتســـعون من هؤلاء الصبيان ممَّن لم يجاوزوا الثانية عشـــرة من أعمارهم، أطفال يقتلهم الصهاينة، ليس مُحَمَّـــد الدرَّة وحده هو الطفل المقتول، لا، أنَّهم قتلوا الأطفال، وقتلوا النســـاء، وقتلوا الشيوخ، وقتلوا المدنيين العزل من كل سلاح.

إنَّها الطبيعة الصهيونية، الطبيعة القاســـية العنيفـــة الَّتي وصفتها التوراة: الشعب الصلب الرقبة[1]. ووصفهم القرآن بقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

هذه القلوب القاســـية الَّتي فاقت الحجارة شـــدَّة وقســـوة: هي الَّتي نتعامل معها، ونحن والله قادرون على أن نلقنها درسًا، نحن قادرون على أن نُخضعها ونُذلهـــا، يوم يُتاح لهذه الأمَّة أن تظهـــر على حقيقتها، وأن يظهر المؤمنون فيها ليقاوموهم، ليقاوموا الصهيونية بالإسلام، ويقاوموا التلمود بالقـــرآن، ويقاوموا تعظيم الســـبت بتعظيم الجمعـــة، ويقاوموا الهيكل بالأقصى.

(١) سفر الخروج (٩/٣٢).

QaradawiBooks.com

نحن قادرون على التغلب على اليهود يوم يُتاح لهذه الأمَّة أن تبرز على حقيقتها، ويوم أن تبرز الفئة الَّتي أشـــار إليها الحديث حينما قال: «**لا تقوم الساعة حتَّى يقاتل المسلمون اليهود؛ فيقتلهم المسلمون، فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله، أو يا مسلم: هذا يهوديٌّ ورائي فتعالَ فاقتله**»[1]. كل شيء سيكون في صفِّ المسلمين حتَّى الشجر والحجر، من الَّذي ســينتصر في المعركة؟ إنَّه الَّذي يناديه الحجر والشــجر: «**يا عبد الله، أو يا مســلم**». الَّذين دخلوا المعركة تحت شــعار العبوديَّة لله، وتحت راية الإسلام، ليس أيّ راية جاهليَّة أو أيّ راية أخرى: «**يا عبد الله يا مسلم**»، هذا هو الَّذي سينتصر، عبد الله المسلم سيكون معه الحجر والشجر، ومعه كل شــيء في الأرض أو في السماء، ومعه ملائكة الله، ومعه قبل ذلك الله ﷻ، وكفى بالله وليًّا، وكفى بالله نصيرًا.

اللهمَّ انصرنا على أعدائك وأعدائنا يــا ربَّ العالمين، اللهمَّ انصرنا على اليهود الغادرين ومن يعاونهم، اللهمَّ خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ نكِّس أعلامهــم، وزلزل أقدامهــم، وأدل دولتهــم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهمَّ أيِّد إخواننا المجاهدين في فلسطين، وفي لبنان، وفي الشيشان، وفي كشمير، وفي كل مكان، اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتمَّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

١٠

الصراع بين الحق والباطل ومآلاته[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

من سنن الله تعالى الثابتة الَّتي لن تجد لها تبديلًا، ولن تجد لها تحويلًا: الصراع بين الحق والباطل، والتدافع بين الخير والشر، بين الهدى والضلال، بين الإيمان والكفر، بين الصلاح والفساد، بين الفضيلة والرذيلة، بين العدل والظلم، الصراع بين هذه المعاني سنَّة من سنن الله تبارك وتعالى لا تتخلَّف.

سنة التدافع بين الخير والشر:

وذلك أنَّ هذا الكون قائم على هذا الازدواج، الخير ممزوج بالشر، واللذة ممزوجة بالألم، وهكذا خُلْقُ الإنسان، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، فالابتلاء قائم منذ خُلق الإنسان وإلى أن يموت، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

ابتلى الله النَّاس بعضهم ببعض، وابتلى الإنسان نفسه بصراع قوى

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٢ مايو ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

الخير والشـــر بين جوانحه، ابتلى الله النَّاس بأنفسهم الَّتي بين جنوبهم، وبالشياطين المُسلَّطة عليهم، كما قال الشاعر الصالح:

إنِّـــي ابتُليـــتُ بأربـــعٍ يَرْمِينَني بالنَّبْـــلِ عـــن قَـــوْسٍ لـــه تَوْتِيرُ
إبليسُ والدُّنْيا ونفْســـي والوَرَى يا ربُّ أنت على الخلاصِ قديرُ[1]

أي: إنَّ الإنسان في معركة مبتلًى بها، يجاهد في داخل نفسه، ويصارع في خارجها، كما جاء في الأثر: المؤمن بين خمس شدائد: مسلم يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يُضله، ونفس تنازعه[2].

الصراع والتدافع والتنازع بين الحق والباطل، وبين الخير والشر سنَّة من ســـنن الله، ذكرها القرآن وأكَّدها في أكثر مـــن آية، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ومن هنا وجدنا منذ بدء البشـــريَّة خلـــق الله آدم، وخلق معه أو قبله إبليس رمز الشر والفســـاد والطغيان، وخلق إبراهيم وخلق معه النمرود الَّذي حاجَّه إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

---

(١) ذكرهما القرطبي ولم ينسبهما في التذكرة صـ٨٨٠، نشر مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٢) رواه أبو بكر بن الخلال في مكارم الأخلاق بســـند ضعيف، كما قـــال العراقي في تخريج الإحياء صـ٩٤٨. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٢/٢٤) موقوفًا على أبي أمامة بلفظ: المؤمن في الدنيا بين أربعة: بين مؤمن يحســـده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان قد توكل به. وإسناده حسن. تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

وخلق الله موسى وخلق معه فرعون الَّذي قال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

وخلق الله محمَّدًا وخلق معه أبا جهل وأبا لهب، وهؤلاء الطواغيت من أهل الشرك ودعاته، وصدق الله العظيم؛ إذ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

من أجل هذا أنزل الله الكتب، ومن أجل هذا أرسل الله الرسل ليعلِّموا النَّاس ويهدوهم إلى صراط الله المستقيم، ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

الإيمان بوجود الله فطرة في النفس البشريَّة

الإيمان بوجود الله فطرة في النفس البشريَّة، أكد هذا التاريخ البشري الَّذي قال: لم توجد مدينة من المدن إلَّا وفيها معبد يتعبد فيه النَّاس، قد توجد مدن بلا قصور، وقد توجد مدن بلا حصون، وقد توجد مدن بلا مدارس، ولكن لم توجد مدينة بلا معبد. ولكن المهم: مَنْ الَّذي يُعبد في هذا المعبد؟

إنَّ النَّاس قد أضلتهم أنفسهم، وأضلتهم شياطينهم، وأضلَّهم سادتهم وكبراؤهم؛ فعبدوا من دون الله ما لا يجوز أن يُعبَد، الأشياء الَّتي سخرها الله لتخدم الإنسان ولتكون في منفعة الإنسان، اتخذها النَّاس آلهة لهم! عبدوا العجل والبقر، وعبدوا الشمس والقمر، وعبدوا البحر والنهر،

QaradawiBooks.com

وعبدوا الوثن والحجر، وعبدوا الجن والبشر، وتركوا الإلٰه الحق الَّذي لا يستحق العبادة غيره، الله لا إلٰه إلَّا هو.

عبد النَّاس آلهة شتَّى، ولذلك أرسل الله الرسل ليأخذوا بيد النَّاس إلى الله، ليعرفوهم طريقه المستقيم، ليبيِّنوا لهم الهدى من الضلال حتَّى لا يسيروا في ركاب الشياطين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

الصراع بين الحق والباطل منذ فجر التاريخ:

قام الصراع بين الحق والباطل منذ خُلقت الخليقة إلى اليوم، نوح عليه السلام أُرسل إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلَّا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله، وهم يعرضون عنه، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧]، أي: لا نريد أن نسمع صوتك، ولا أن نرى وجهك. إلى هذا الحد رفضوا الحقَّ المبين، رفضوا النبيَّ الَّذي جاء يهديهم إلى الله.

وهكذا رأينا من بعد نوح هودًا عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠]. ويدعوهم إلى الخير وإلى الصَّلاح، وإلى أن يعرفوا حقوقَ النَّاس وحقوقَ الله، ولكنَّهم غرَّتهم قوَّتهم، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]، كانوا في عصرهم أشبه بالأمريكان في عصرنا، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؟ أنَّهم يريدون أن يفرضوا بقوَّتهم آراءهم على البشر، رفضوا دعوة هود عليه السلام فكانت النتيجة أن أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، فلم تبقِ لهم من باقية.

QaradawiBooks.com

وجاء بعد هود صالح عليه السلام إلى قومه ثمود، وفعلوا كما فعل عاد، وأخذهم الله أخذًا أليمًا شديدًا، أخذتهم الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين.

وهكذا استمرَّت قافلة الأنبياء نبيًّا بعد نبيٍّ، ورسولًا بعد رسول يدعو قومه إلى الحق، ولكن أكثرهم مستمسكون بالباطل، آمن القليلون، وأعرض الكثيرون، ولكن النتيجة أن ينتصر الحق، ولو بعد ألف سنة إلَّا خمسين عامًا كما حدث مع نوح، هناك يحدث تداول، ﴿**وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ولكن العبرة بالعاقبة. العاقبة للحق، العاقبة لأهل الإيمان.

صراع الإسلام مع الباطل:

محمَّد عليه الصلاة والسلام أرسله ربه بالهدى ودين الحق، وظلَّ ثلاثة عشر عامًا في مكة يُعاني الأمرَّيْن، يُذاق الصاب والعلقم، تُصبُّ عليه وعلى أصحابه سياط العذاب، ولكنَّه صبر وصابر، وثبت على الحق الَّذي بعثه الله به، وعُذِّب أصحابه، ومنهم مَنْ مات تحت العذاب.

مرَّ عليه الصلاة والسلام على ياسر أبي عمار وأم عمار سميَّة، وابنهم عمار وهم يُعذَّبون، يُعذِّبهم المشركون، فلم يملك إلَّا أن يقول لهم: «**صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنَّة**»(١).

وكانت أوَّل شهداء الإسلام سميَّة أم عمار، ثمَّ أبو عمار، وقدَّم الإسلام قوافل الشهداء بعد الشهداء، لم يصلنا الإسلام بيضة مقشورة،

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ولا غنيمة باردة، لقد بُذلت فيه الأرواح، وبُذلت فيه الدماء، وضحَّى فيه المُضحُّون، وصبر فيه الصابرون، حتَّى وصل إلينا: ننعم في ظلاله، ونستضيء بأنواره.

كل الدعوات صبرت وصابرت، وظنَّ النَّاس الظنون، أحيانًا يظنون أنَّ الحق قد اندثر، وأنَّ الباطل قد انتصر، وهكذا حينما ظل نوح يدعو قومه ولا يجد أي أثر هنا دعا ربه: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. فكانت القاصمة وكانت الحاسمة، وأخذ الله هؤلاء وطهَّر الأرض من شرِّهم بالطُّوفان، قد يطول الزمن حتَّى يأتي النصر، ولكنَّه آتٍ لا ريب فيه.

انتصر النبي ﷺ في بدر، وانكسر أصحابه في أُحد، في بدر قتلوا من المشركين سبعين، وأسروا منهم سبعين، وفي أُحد استشهد من الصحابة سبعون، وهكذا كانت سنَّة التداول كما قال القرآن بعد غزوة أُحد: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

الابتلاءات ومدرسة المحن:

هناك حِكَم شتَّى من وراء هذه الابتلاءات، أن يتعلَّم النَّاس في مدرسة المحنة وفي مدرسة البلاء، فالعافية الدائمة والانتصار الدائم لا يُخرِّج مؤمنين، إنَّما يتخرج المؤمنون في ساحات الابتلاء والامتحان والشدائد، هنالك يظهر المنافق من المؤمن، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

QaradawiBooks.com

في غزوة الخندق حُوصر المسلمون في داخل المدينة، وأُحيط بهم كما يُحاط السوار بالمعصم، وظنَّ المشركون الَّذين جاؤوا أكثر من عشرة آلاف مقاتل، راكبين خيولهم، مُدلين بقواتهم، وأردوا أن يستأصلوا شأفة المؤمنين، أن يقتلعوهم من جذورهم، وزاد الطين بلة والداء علة: أنَّ اليهود في داخل المدينة غدروا بالمسلمين، وكان يُفترض فيهم أن يكونوا مع المسلمين، وأن يساعدوهم بالمال والسلاح والرجال في وقت مهاجمة المدينة، ولكنَّهم غدروا بهم وانضمُّوا إلى المهاجمين، ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠]، هذا خطابٌ للمؤمنين، الإنسان حين الضعف يظن الظنون، ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

ولكن سرعان ما جاء نصر الله ﷻ، ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، حينما تنفذ الأسباب، حينما لا يجد النَّاس سببًا في أيديهم هنالك يأتي قدرة مَنْ يعمل بغير الأسباب، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، إنَّ قدرة الله تعمل بالأسباب وبغير الأسباب، حينما تنسد الأبواب.

حينما تتقطع الأسباب هنالك يأتي أمر الله، هذا ما أيقن به المؤمنون في النهاية، ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

الصراع بين الحق والباطل سنَّة من سنن الله:

قد ينتصر الباطل مرَّة أو أكثر من مرَّة، ولكن لِمَنْ النهاية؟ لِمَنْ العاقبة؟ العاقبة للتقوى، العاقبة للمتَّقين، العاقبة للحق في النهاية.

QaradawiBooks.com

ولذلك دخل النبي ﷺ مكـــة فاتحًا، خرج من مكة ليـــلًا فعاد إليها نهارًا، خرج منها ســـرًّا فعاد إليها جهارًا، خرج منها مطـــرودًا فعاد إليها فاتحًا، حينما عاد وهو يطوف بالكعبة والأصنام من حولها ومن داخلها، وهو يكسر الأصنام ويضربها برمحه ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

إنَّ الباطل قد يُدلُّ أحيانًا بقوتـــه، وقد ينتصر مرَّة أو أكثر من مرَّة، ولكنَّه مهزوم في النهايـــة، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبيـــاء: ١٨]، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، وما ينفع النَّاس هو الحق.

محن شتى أصابت المسلمين:

أصيب المســـلمون في تاريخهم بمحن شـــتَّى، هذه المحن أبرزت أصالة الأمَّة، فجَّرت المكنونات من القوَّة في داخلها، في فجر الإســـلام أُصيب المسلمون بمحنة كادت تقتلع الإســـلام من أسسه، من جذوره، أصيبوا بمحنة الردة، أو فتنة الردة، ارتدَّت قبائل العرب وتبعت المتنبئين الكذَبَة، اتَّبعت كل قبيلة نبيها، قال بعضهم: كذَّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضر. نبيُّ قبيلتنا وإن كان كذَّابًا أفضـــل من الصادق من قريش، تبعوا مسيلمة الكذَّاب، وسجَّاح بنت الحارث، والأسود العنسي وهؤلاء، تبعوهم وهم يعلمون أنَّهم كاذبون، وانضمَّ إليهم مانعو الزكاة الَّذين قالوا: نُصلي ولا نزكي.

وكانت محنة، حتَّى إنَّ بعض الصحابـــة قالوا لأبي بكر: الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتَّى يأتيك اليقين! لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا. وكان من هـــؤلاء عمر بن الخطاب، قال لـــه أبو بكر: أجبَّار في

QaradawiBooks.com

الجاهليَّة خوَّار في الإســلام يا ابنَ الخطَّاب؟! أأرجو نصرتك فتجيئني بخذلانك؟ والله لو لم يبقَ إلَّا أنا لقاتلتهم ما استمسك السيف في يدي، والله لأقاتلنَّ مَنْ فرَّق بين الصــلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالًا ـ حبل بعير ـ كانوا يؤدُّونه لرســول الله لقاتلتهم عليه[1]. فاستراح الصحابة لرأي أبي بكر، حتَّى عمر نفســه، اســتنارت بصائرهم، واقتنعوا برأيه وقالوا: نحن وراءك. وجهَّز أحد عشــر جيشًــا تقاتل المرتديــن، وتقاتل مانعي الزكاة، وتردُّ هؤلاء إلى حظيرة الإسلام.

ابتُلي الإســلام في فجره بمحنــة الرِّدة، وابتُلي في أواســط تاريخه بمحنة الفرنجة الَّذين جاؤوا من أوروبا في تســع حملات تريد أن تغزو الشرق الإسلامي باســم إنقاذ قبر المســيح، وارتكبوا مجازر هائلة، لم يدخلوا القدس إلَّا بعد أن ذبحوا سبعين ألفًا، غاص النَّاس في الدماء إلى الركب، وظل المســجد الأقصى حبيسًــا في أيديهم لا تُقــام فيه صلاة تسعين عامًا هجريًّا، ثمَّ نصر الله المسلمين في هذه الحروب الَّتي سمَّاها مؤرخونا (حــروب الفرنجة) الَّذيــن جاؤوا من بلاد الإفرنج، وســمَّاها الغربيُّون (الحروب الصليبيَّة).

نصر الله المسلمين في هذه الحروب بعد أكثر من مائتي سنة، هيَّأ الله رجالًا قادوا الأمَّة، نفخوا فيها من روح الإيمــان وقادوها، قالوا: يا ريح الجنَّة هُبِّي، ويا كتائب الله سيري. فانقادت الأمَّة وراءهم.

أمة الإسلام لا تنقاد إلَّا لنداء الإيمان:

وهذه الأمَّة لا تنقاد إلَّا لنداء الإيمــان، اعزف على أي منظومة لهذه الأمَّة: الاشتراكية، الماركسية، الشيوعية، التقدمية، الليبرالية، الرأسمالية،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الديمقراطيَّة، قل ما شئت. الأمَّة لا تنقاد إلَّا لنداء الإيمان، لَوِّح لها بالمصحف، نادها بلا إلٰه إلَّا الله، والله أكبر؛ تمشي الأمَّة وراءك، تصنع ما يشبه المعجزات، تتخطَّى المستحيلات، لا تقف عقبة أمامها.

هكذا انتصرت أمَّتنا على الصليبيين، وجاء بعدهم التتار وفعلوا ما فعلوا، وانتصرت الأمَّة عليهم مرتين: انتصارًا عسكريًّا في عين جالوت، وانتصارًا معنويًّا حينما اختار التتار بطوع إرادتهم أن يدخلوا في الإسلام، ولأول مرَّة يسجل التاريخ دخول الغالب في دين المغلوب، هذا بعد أن دخلوا بغداد، وأسالوا الدماء أنهارًا، وقتلوا نحو مليون أو مليونين من النَّاس في بغداد، وظنَّ النَّاس أن بساط الإسلام قد طُوِي، وأن شمس الإسلام قد غربت، وأنَّه لن تقوم للإسلام قائمة بعد ذلك اليوم، كان هذا سنة ٦٥٦هـ، وبعد أقل من سنتين حدثت معركة عين جالوت في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ. ونصر الله المسلمين على هؤلاء التتار.

الصراع بين الحق والباطل مستمر، والنصر في النهاية للحق.

وفي عصرنا ابتُلي المسلمون بالاستعمار، الصليبيون الَّذين اندحروا أيَّام نور الدين وصلاح الدين وبيبرس وغيرهم، هؤلاء غيَّروا خططهم، لويس التاسع الَّذي أسره المصريون في المنصورة، وحبسوه في دار لا زالت تُعرف إلى اليوم بدار ابن لقمان، وهددهم الشاعر حينما أرادوا أن يعودوا مرَّة أخرى فقال:

دار ابن لقمان على حالها والقيد باقٍ والطواشي صبيحُ[1]

الطواشي: هو السجَّان الَّذي كان يسجن الناس.

(١) انظر: الحروب الصليبية: أسبابها، نتائجها، حملاتها، سيد علي الحرير (٢٥٣/١)، تحقيق عصام شبارو، نشر دار التضامن.

QaradawiBooks.com

الاستعمار الغربي لديار الإسلام:

غيَّر هؤلاء خططهم بالاستعمار الجديد، جاؤوا واستعمروا الأمَّة على حين غفلة من أهلها، ودخلوا بلاد المسلمين، كل بلاد المسلمين، دخلوا أولًا الهند الَّتي كان يحكمها المسلمون، دخلها البريطانيون.

وبعد مدة دخل الفرنسيون الجزائر الَّتي ظلَّت محتلة قرنًا وثلث قرن من الزمان، ولم يكن هذا الاحتلال احتلالًا عاديًّا، الاستعمار الفرنسي في الجزائر كان استعمارًا متجبِّرًا في الأرض، مستكبرًا بغير الحق، أراد أن يمسخ الجزائر، أن يُغيِّر هُويتها، أن يضيع دينها ولغتها فتضيع البلاد ويضيع العباد، ولذلك كان استعمارًا استيطانيًّا، أي يريد أن يستوطن الأرض مع أهلها، وظل مائة وثلاثين عامًا.

ولكن الجزائريين لم يستسلموا، منذ الأمير عبد القادر ومَنْ بعده من الرجال، بل وحتى من النساء، هناك امرأة اسمها فاطمة نسومر قاتلت، وانهزم أمامها أكثر من سبع جنرالات من الفرنسيين، ظل الرجال والنساء في الجزائر يقاومون حتَّى قامت ثورة الجزائر الأخيرة الَّتي كان الفرنسيون يُعبرون عنها بالحرب بين الفرنسيين والمسلمين، هم لا يريدون أن يقولوا: الجزائريين. لأنَّ الجزائر عندهم فرنسيَّة، وانتصر المسلمون على هذا الاستعمار الاستيطاني، وانتصرت بلاد الإسلام المُستعمَرة كلها على مستعمريها.

الاستعمار الصهيوني لفلسطين:

ولكن بقي استعمار وحيد في بلاد الإسلام، استعمار استيطاني إحلالي، إنَّه الاستعمار الصهيوني الَّذي فاق الاستعمار الفرنسي بأنه

QaradawiBooks.com

لا يريد مجرد الاستيطان، لا، هو يريد أن يستوطن الأرض ويحل محل أهلها، يطردهم منها، يشرِّدهم في الآفاق، يشتِّتهم هنا وهناك.

وهذا ما فعله في الواقع، أخرج الفلسطينيين من ديارهم بغير حق؛ إلَّا أن يقولوا: ربنا الله. وحلَّ محلَّهم، جاء الاستعمار اليهودي من بلاد شتَّى، من أوروبا ومن أمريكا، ومن الشرق ومن الغرب ليستوطن أرضًا ليست له، يزعم أنَّ الله أعطاه إيَّاها، والله لا يأخذ الأرض من أهلها ويعطيها غيرهم؛ لأن الله لا يرضى الظلم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ [يونس: ٤٤]، وقد ناقشناهم في هذه المزاعم والدعاوى في كتب شتَّى.

المهم أن هذا الباطل المكشوف استطاع أن يحقِّق ما أراد، أن يجمع اليهود من هنا وهناك ليأخذوا أرض الإسراء والمعراج، أرض النبوات والمقدَّسات، الأرض الَّتي بارك الله فيها للعالمين، الأرض الَّتي وصفها الله بالبركة في خمس آيات وربَّما أكثر.

هذه الأرض كانت فيه قلة قليلة من اليهود تعيش بين ظهراني المسلمين، كما كان اليهود يعيشون في بلاد الإسلام في حماية المسلمين، طردهم النَّاس من أوروبا، ولم يجدوا مكانًا يأوون إليه، ولا صدرًا حنونًا يحنُّ عليهم إلَّا بلاد المسلمين، الَّتي آوتهم من تشرُّد، وآمنتهم من خوف.

ولكنهم سرعان ما قلبوا لبلاد المسلمين ظهر المِجَن، حينما ظهرت الحركة الصهيونيَّة الطاغية المتجبِّرة، وأرادت أن تأخذ من أرض الإسلام وطنًا لليهود، كما وعدتهم بذلك بريطانيا ووزير خارجيتها بلفور، وعدوهم أن يُنشؤوا وطنًا لهم في بلاد المسلمين، وكما قال مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن فلسطين ليست وطنًا بغير شعب حتَّى تستقبل شعبًا بغير وطن. ولكنَّهم فعلوها.

QaradawiBooks.com

وجد اليهود من الإنجليز في أوَّل الأمر من يحميهم، ومن يؤازر هذه الهجـرات الجماعيَّـة الَّتي جاءت من بلاد شـتَّى تقيم المسـتعمرات، وتشتري الأرض بحيل شـتى؛ خصوصًا من غير المسلمين، والاستيلاء على الأراضي غير المأهولة بالسـكان، إلى أن فعلـوا ما فعلوا، وأقاموا دولتهم أو دويلتهم الَّتي سموها (إسرائيل).

أقام اليهود هذه الدولة الَّتي تحدَّت بلاد العـرب، ومن ورائها بلاد المسلمين، لا أقول: تحدَّت الفلسطينيين وحدهم؛ لأنَّ هؤلاء اليهود لم يكونوا يقاتلون بقوَّتهـم وحدهم، كانوا يقاتلون بقـوَّة اليهود في أنحاء العالم، وقف العرب ضدهم، وكانـت الجامعة العربيَّة وليدة في مهدها، لم يمر عليها أكثر من ثلاث سنوات، ولكن دخلت البلاد العربيَّة السبعة في ذلك الوقت بجيوشها، وأبلى بعضها بلاء حسنًا.

وحدث ما حدث أيُّها الإخوة في حـرب ١٩٤٨م. وفي حرب ١٩٥٦م. وفي حرب ١٩٦٧م. وفي حرب ١٩٧٣م. وفي هذه الحروب المستمرة الَّتي تفعل فيها إسـرائيل ما تفعل مع إخوتنا الفلسطينيين، وظنَّ بعض النَّاس أنَّ اليهود قد انتصروا، وأن بني صهيون قد غلبوا.

سينتصر الحق لا محالة:

ولكن لا والله، لن يغلب الباطل الحق أبدًا، سينتصر الحق لا محالة، هذا يقيننا الَّذي نراه رأي العين، ولكن الأيام دول، نحن نعلم أنَّ اليهود معهم قوَّة، وعندهم أسـلحة دمـار حُرِّمت على النَّـاس وأُحلَّت لهم، عندهم أسـلحة نوويَّة، عندهم ما لا يُباح لغيرهم، وعندهم أقوى قوى الأرض تؤيِّدهم، معهم أمريكا، معهم المال الأمريكي، ومعهم السلاح الأمريكي، ومعهم الفيتـو الأمريكي، ومعهم أوروبـا المتخاذلة، الَّتي

QaradawiBooks.com

تلعب يمينًا وشمالًا، وتقف في منتصف الحبل، ومعهم المتخاذلون والخونة في بلادنا، الَّذين يظنون أنَّ الأمر قد استقرَّ لهم، ويريدون أن يتخذوا عندهم يدًا.

ولكنا نقول لهؤلاء: النصر آتٍ لا ريب فيه، وأشد ما يكون النصر حينما تتوالى المحن والشدائد، إنَّ أحلك ساعات الليل سوادًا وأشدَّها ظلمة هي السويعات الَّتي تسبق الفجر، يشتد السواد ويحلك الظلام، ثمَّ ينبثق الفجر، ويسفر نقاب الليل الأسود عن وجه الصباح، هذه سنَّة الله، كما قال الشاعر:

اشتدِّي أزمةُ تَنْفَرِجِي ... قد آذَنَ لَيْلُكِ بالبَلَجِ[1]

وكما قال آخر:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفَتَى ... ذرعًا وعند اللهِ منها المَخْرَجُ

ضاقتْ فلمَّا استحكمتْ حَلَقَاتُها ... فُرِجَتْ وكنتُ أظنُّها لا تُفرجُ[2]

إنَّ نصر الله آتٍ، والله تعالى يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

نزُفُّ هذه البشرى إلى إخوتنا في فلسطين، إلى الشعب الفلسطيني كله، الشعب الَّذي يُحاصَر من كل جهة، الشعب الَّذي يقول: الجوع ولا الركوع. الشعب الَّذي يُراد له أن يُجوَّع، أن يُحرَم من القوت، ألا

(١) من شعر ابن النحوي التوزري، انظر: المنفرجتان لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري صـ٤٣، تحقيق عبد المجيد دياب، نشر دار الفضيلة، القاهرة.

(٢) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١٥/٥)، تحقيق عبود الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

يجد قوت أولاده، هذا الشعب الصابر المصابر المرابط الَّذي قال: نجوع ولا نركع، الجوع ولا الركوع.

تحية لشعب فلسطين المجاهد المرابط:

هذا الشعب نقول له: لا الجوع ولا الركوع، لا ندعك تجوع، لا تدعك أمة العرب أكثر من ثلاثمائة مليون، وأمَّة الإسلام أكثر من ألف مليون وراءهم، هؤلاء لن يدعوك أيُّها الشعب تركع أو تجوع.

أيُّها الشعب الفلسطيني البطل، اصبر وصابر، اصبر قليلًا كما صبر رسول الله وأصحابه حينما حُوصروا ثلاث سنوات، حُوصروا اجتماعيًّا، وحُوصروا اقتصاديًّا، لا يبيع لهم أحد، ولا يشتري منهم أحد، حتَّى أكلوا أوراق الشجر، حتَّى دميت أفواههم، جُرحت أشداقهم من قسوة ما يأكلونه من أوراق الشجر ثلاث سنوات، ثمَّ أتى الله بالفرج، اصبروا أيُّها الإخوة، وإن فرج الله آتٍ، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]، إنَّ مع الظلام فجرًا، الفجر سينبثق إن شاء الله، فاصبروا أيُّها الإخوة في فلسطين.

واصبروا أنتم أيُّها الإخوة في حماس، الَّذين اختاركم الشعب بإرادته الحرَّة، هذا الشعب الأبيِّ المُضحِّي الَّذي ضحَّى أبناؤه بأرواحهم وأموالهم، وقدَّموا الشهداء وراء الشهداء، هذا الشعب لا يمكن إلَّا أن ينتصر، لن يخذل الله شعبًا يُضحِّي بنفسه من أجل قضيته، يصبر على الجوع والطوى من أجل المسجد الأقصى، من أجل قضيَّة الوطن، من أجل كرامة المؤمن، لن يخذل الله هذا الشعب، سيُحقُّ الله الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

QaradawiBooks.com

اصبروا أيُّها الإخوة في حماس، لقد أظهر الإخوة قادة الفصائل الَّذين شـــاركونا في مؤتمرنا أنَّهم جميعًا معكم، ولن يخذلوكم، وقال أحدهم، وهو الأخ رمضان عبد الله شـــلح ممثِّل الجهاد: أنَّهم يريدون أن ينفردوا بحماس، وهيهات هيهات؛ لن ندعهم ينفردوا بحماس، ســـنموت فداءً لحماس. فحيَّا الله هذه الفصائل المؤمنة، الَّتـــي تقف وراء إخوانها صفًّا واحدًا في المعركـــة كما يحـــبُّ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

إنَّ الصراع بين الحق والباطل ســـنَّة من سنن الله لا تتخلَّف، قد ينتصر الباطل يومًا من الأيام، ولكنَّه في النهاية ســـينهزم ويســـقط، وترتفع راية الحق، هذه سنَّة من سنن الله، ووعدٌ من الله ﷻ، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الـــروم: ٤٧]، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢، ١٧٣]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

أســـأل الله ﷻ أن ينصر إخوتنا المجاهدين، وأن يعلي كلمتهم، وأن يعينهم على أداء رسالتهم، وأن يُثبِّت أقدام الشعب الفلسطيني البطل في محنته، وأن يُوفِّق العرب والمسلمين إلى مؤازرتهم حتَّى ينتصروا إن شاء الله، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيها الإخوة:

ملتقى علماء المسلمين لنصرة شعب فلسطين:

لعلكم تابعتم جميعًا في اليومين الفائتين، الأربعاء والخميس: أعمال (ملتقى علماء المسلمين لنصرة شعب فلسطين)، هذا الملتقى المتميِّز الَّذي جمع بين رجال العلم والفقه والدعوة، ورجال المقاومة والجهاد. قادة الفصائل: قادة حماس، وقادة الجهاد، وقادة الجبهة الشعبية بقسميها، وجاء قادة هذه الفصائل بأنفسهم والتقوا جنبًا إلى جنب، بعضهم مع بعض، ورأينا صورة رائعة من التكاتف والتعاون والتناصر من أجل القضيَّة الواحدة، من أجل الهدف الواحد، بل رأينا روح الإيثار، أنَّ كلًا منهم يؤثر أخاه على نفسه.

وكنا نودُّ من صميم قلوبنا أن يحضر معنا ممثلو الإخوة في حركة فتح: كُبرى الفصائل الفلسطينيَّة، وأولى الفصائل الفلسطينيَّة الَّتي بدأت الجهاد منذ سنة ١٩٦٥م. كنا نريد أن تشاركنا فتح، وأن نستمع منها، وأن تستمع إلينا وإلى الإخوة.

لقد استمع الإخوة العلماء إلى الإخوة من أهل الجهاد، واستمع الإخوة من أهل الجهاد إلى الإخوة من العلماء، وهكذا ينبغي أن يكون أهل العلم وأهل الجهاد، وكان العلماء قديمًا هم أهل الجهاد، لم يكن العلماء في جانب والمجاهدون في جانب.

رأينا عبد الله بن المبارك العالم الزاهد، المُحدِّث الفقيه، الإمام الكبير يقيم مع عدد من العلماء مرابطًا على الثغور على الحدود أمام

QaradawiBooks.com

بلاد الروم، وأرسل إلى صديقه العالم الزاهد العابد الفُضيل بن عياض، الَّذي كان يعيش بين مكة والمدينة مُتعبِّدًا لله ﷻ، في أفضل مكانين في الأرض، أرسل عبد الله بن المبارك إلى الفضيل قصيدة طويلة يقول فيها:

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا ... لعلمتَ أَنَّك بالعِبَادَةِ تَلْعَبُ

من كان يَخْضِبُ خدَّه بدُمُوعِهِ ... فنحورُنا بدمائِنا تتخضَّبُ

ريحُ العبيرِ لَكُمْ ونحن عَبِيرُنا ... رَهَجُ السَّنَابِكِ والغُبارُ الأطيبُ[1]

لو رأيت العبادة الَّتي نحن فيها ونحورنا تتخضب بالدماء، ونحن نلقى الأعداء؛ لعرفت أنَّها العبادة العظيمة، الَّتي ينبغي أن يتسابق إليها المتسابقون، هكذا كان العلماء من أهل الجهاد.

وإذا لم يستطع العلماء أن يجاهدوا بأنفسهم وأبدانهم؛ فينبغي أن يجاهدوا بكلمة الحق، وقد رأينا العلماء قديمًا وحديثًا يقودون كتائب الجهاد، الإخوة في حركة حماس سموا كتائب الجهاد عندهم أو الجناح العسكري باسم (كتائب عز الدين القسَّام)، ومَنْ هو عز الدين القسَّام؟ عالم من العلماء من سوريا، لم يكن فلسطينيًّا، جاء من سوريا ليجاهد.

كما ذهب علماء آخرون أيَّام حرب ١٩٤٨م. للجهاد في فلسطين، منهم الشيخ مصطفى السباعي من سوريا، والشيخ مُحَمَّد فرغلي، والشيخ سيِّد سابق وعدد من العلماء من مصر، وجاء آخرون من الجزائر ومن المغرب ومن باكستان، كما حدثني الأخ أحمد جبريل: هناك شهداء على أرض فلسطين من جميع بلاد العرب، وجميع بلاد المسلمين.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٩/٣٢).

QaradawiBooks.com

حينما أراد صـــلاح الدين أن يفتـــح بيت المقدس جـــاءه أناس من المشارق والمغارب، من الزاهدين والصالحين والأولياء والعلماء، أرادوا أن يكون لهم شرف فتح بيت المقدس.

والأمَّة الإســـلاميَّة كلها مستعدَّة الآن أن تشـــارك في هذا الجهاد لو فُتحت لها الأبواب، الأبواب مُغلَّقة، كم جاءني شـــباب يقولون: نريد أن نذهب إلى فلســـطين، نريد أن ننال شـــرف الجهاد، نريد أن ننالَ كرامة الشـــهادة، نريد أن نشـــتري الجنَّة. فأقول لهم: لكم أجركم بنيتكم، أنتم لا تستطيعون لأن الأبواب موصدة أمامكم.

حتى جاءني شاب قطري، وقال: سأذهب على رأس كتيبة من حوالي ثلاثين قطريًّا راكبًا فرسي، ومعنا بنادقنا ومدافعنا. وقلت له: ومَنْ سيسمح لك بذلك؟ قال: سآخذ إذنًا من السلطات هنا. قلت: والبلاد الأخرى الَّتي ستمر عليها مَنْ يسمح لك راكبًا فرســـك، حاملًا بندقيتك أو رشاشك؟ وفعلًا بعد مدة جاءني وقال: لقد صدقت.

الشـــباب بالآلاف، بل بالملايين يريدون أن يشـــاركوا بأنفسهم في نصرة فلسطين، ولكن لم يجدوا أمامهم الفرصة.

لقاء العلماء مع قادة المجاهدين:

يا أيُّها الإخوة، التقـــى العلماء مع القـــادة المجاهدين، وكان ملتقى مباركًا، أصدرنا فيه عدة فتاوى وبيانات، أنَّه لا يجوز التفريط في شبر من أرض فلســـطين، لا يجوز التنازل على أيِّ جزء من أرض فلســـطين كل فلسطين، يمكن أن نقيم هدنة مع الصهاينة.

أمَّا أن نقول لهم: إن ما اغتصبتموه من قبل أصبح حقًّا لكم فلا يجوز

QaradawiBooks.com

بحال، كيف يهون على مسلم أن يقول لهم: الأرض الَّتي اغتصبتموها بالدماء والحديد والنار والمجازر البشريَّة، في دير ياسين وغيرها: أصبحت حقًّا لكم وملكًا شرعيًّا لكم؟! مَنْ يملك أن يقول هذا؟ لو قالت ذلك حماس لسقطت في اليوم التالي من أعيننا، لأسقطناها من حسابنا، يجب أن تستمر حماس في التمسُّك بحقِّها، ويجب أن يستمر كل الإخوة في ذلك، والإخوة الَّذين شاركوا معنا يؤمنون بهذا الحق.

قرارات الملتقى:

وهذا ما قرره هذا الملتقى، أنَّ الحق الفلسطيني حقٌّ ثابت، لا يجوز التنازل عنه ولا بملء الأرض ذهبًا، لا يجوز للاجئ المُهجَّر في الشتات أن يُقال له: خذ لك كذا ألف أو كذا مليون وتنازل عن أرضك. لا والله، لا يجوز له، هي ليست أرضه، هذه أرض فيها ملكيَّة خاصة، وفيها ملكيَّة عامة هي أرض الإسلام، أرض المسلمين، لو أن هذا الجيل تقاعس عن استردادها؛ فالأجيال المُقبلة في عنقها وفي ذمتها أن تسترد هذه الأرض، لا يجوز لجيل إذا مسَّه الخور أن يتحكم في الأجيال اللاحقة، لا يجوز التنازل، لا بدَّ من الإصرار على التمسك بكل أرض فلسطين.

ويجب فك الحصار عن الشعب الفلسطيني ببذل الأموال لهذا الشعب، ابذل لهم من زكاتك، يجوز أن تعجل زكاتك لهم، هم يستحقون الزكاة بأكثر من وجه، هؤلاء المدرسون والموظفون الَّذين انقطع راتبهم هم فقراء، وهم مساكين، وهم مستدينون غارمون، وبعضهم مُشرَّد من بلده، هم أبناء سبيل، وهم يجاهدون في سبيل الله، يستحقون الزكاة من أكثر من مصرف من مصارف الزكاة.

ويجوز أن تُعجل زكاتك من أجلهم، وليست الزكاة هي كل الحق

QaradawiBooks.com

الواجب في المـــال، هي الحـــق الأوَّل وليســـت الحق الأخيـــر، إغاثة المضطر، إغاثة الملهوف، إعانة المحتاج، إطعام الجائع، هذا واجب على أمَّة الإســـلام، واجبك أن تطعم الجائع، وواجبك أن تحضَّ على إطعام المســـكين، أن تحـــثَّ الآخرين على ذلـــك، ادفع لهم من الـــزكاة، من الصدقات التطوعيَّة، من وصايـــا الموتى: وصايا أبيك أو جدك، من ريع الأوقاف، من الأموال الَّتي فيها شبهة أو المحرَّمة بيقين، إذا كانت عندك فوائد ربويَّـــة أو الأرباح الَّتي نطهرهـــا من الشـــركات المختلفة: ادفعها لإخوانك في فلسطين، هم أحقُّ النَّاس في هذه المرحلة بالمعونة.

مطالبة الحكام ألا يستسلموا لما يريده أعداؤها:

ثم علينا أيُّها الإخوة أن نقف وقفة الرجـــال، نطالب الحكومات بألا تستسلم، ولا تخنع لما يريده الأمريكان، لسنا عبيدًا للأمريكان، هذه الأمَّة خير أمَّة أخرجت للناس؛ فكيف تركع أمام الأمريكان؟ كيف تقول لهم: سلَّمنا وصدَّقنا، سمعنا وأطعنا، إشارتكم حكم، وأمركم غُنم؟ هذا الكلام لا يمكن أن يُقبـــل، لا بدَّ أن نرفض الإمـــلاءات الأمريكيَّة، كما قيل عن بعضهم: يعجبني من الرجل إذا سِيم الخســـف أن يقول بملء فيه: لا[1]. نريد من حكوماتنا أن يقولوا مرَّة: لا، لا نســـتطيع أن نفعل هذا أو ذاك، ستثور علينا شعوبنا، ستخلعنا شعوبنا، ستسقطنا من فوق كراسيِّنا. نريدهم أن يقولوا مرَّة: لا. لا بدَّ للشعوب الإسلاميَّة من هذه الوقفة من حكامها.

ونريد أن يقفوا وقفة من البنوك الَّتي ترفض تحويل الأموال للشعب الفلســـطيني، بنوك عربية وإســـلاميَّة، ولها مراكز فـــي العواصم العربيَّة

(١) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٠١/٥) من قول زياد بن أبيه، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

والإسلاميَّة ترفض أن تحول الأموال إلى الشعب الفلسطيني، ما هذا؟! هذه البنوك لا بدَّ أن نقاطعها، المقاطعة سلاح لا يملك أحد أن يستلبه منا، اذهب إلى هذه البنوك وقل لهم: أريد أن أسحب أموالي عندكم؛ لأنكم رفضتم تحويل الأموال إلى الشعب الفلسطيني، وأنتم لا تستحقون أن أتعامل معكم. نريدهم أن يروا هذا، نحن لسنا أمَّة من ورق، نحن أمَّة من الرجال والأبطال.

نريد أيضًا أيُّها الإخوة أن نقاطع الحكومات الأوربية الَّتي تقاطع حكومة حماس المنتخبة من الشعب الفلسطيني، نقول لهم: أيُّها النَّاس، أنتم الَّذين تطالبون أن ننهج نهج الديمقراطيَّة، أن نلجأ إلى الانتخابات الحرة، وحينما لجأنا إليها ما لكم تعاقبوننا؟ تعاقبون الشعب الفلسطيني لأنَّه اختار حكومته بملء إرادته؟ هل تعاقبونه من أجل الديمقراطيَّة الَّتي تنادون بها؟ هذا يسمُّونه بلغة السياسة (ازدواج المعايير)، ونسمِّيه بلغة الدين (النفاق) الَّذي يكره الله أصحابه، نقول لهؤلاء: إذا لم تتخلوا عن مقاطعة حماس سنقاطع بضائعكم، كما نادينا بمقاطعة بضائع الدانمارك حينما أساؤوا إلى رسول الله ﷺ. وهؤلاء يسيئون إلى رسول الله أيضًا؛ لأنَّهم يسيئون إلى أمَّة رسول الله، يسيئون إلى الأرض الَّتي أُسري برسول الله إليها.

فتاوى وبيانات تشد أزر الفلسطينيين:

نحن في هذا الملتقى أصدرنا عدة فتاوى وبيانات، نشدُّ من أزر إخواننا في فلسطين وحكومتها المنتخبة، وندعو أبناء فلسطين أن يقفوا صفًّا واحدًا، وندعو أمَّة العرب، وندعو أمَّة الإسلام من المحيط إلى المحيط، من الفلبين وإندونيسيا إلى موريتانيا والمغرب، وندعو

QaradawiBooks.com

المسلمين خارج بلاد الإسلام حيث تكون الأقليات، ندعوهم جميعًا إلى أن يشدُّوا أزر إخوانهم، «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»[١]، لا يجوز لنا أن نتخلَّى عن إخوتنا، «**المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يُسْلِمه ولا يَخذله**»[٢]، «**المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على مَنْ سواهم**»[٣].

ومن الأشياء المهمة الَّتي أكَّدنا عليها: ألا يتصارع الإخوة الفلسطينيُّون بعضهم مع بعض، مهما حدث، وهذا المعنى أكَّده كل الإخوة الَّذين شاركونا، لا يجوز أن تخرج رصاصة من بندقية فلسطينية إلَّا إلى إسرائيل وصدر إسرائيل، لا يجوز أن تنطلق إلى صدر فلسطيني، مهما كان هذا الفلسطيني، الدماء الفلسطينيَّة محظورة بعضها على بعض، «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»[٤]، «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[٥]، «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٦].

كان هذا الملتقى ملتقى مباركًا، أسأل الله تبارك وتعالى أن يكثر من هذه الملتقيات، وأن يجمع كلمة العلماء، وكلمة المجاهدين، وكلمة الإخوة في فلسطين، والإخوة في العراق، وكلمة المسلمين جميعًا على

---

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٢٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٦) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ونيَّاتهم على الجهاد في سبيله، اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١١

التنصير في أفريقيا

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في الجمعة الماضية كنت أخطب في بلدة في أفريقيا، في مدينة اسمها دار السلام عاصمة تنزانيا، وتنزانيا بلد جمعت بين دولتين من قبل: دولة تنجانيقا، ودولة زنجبار. هذه الدولة أكثر من خمس وسبعين في المائة من سكانها مسلمون، وعدد السكان حوالي ثلاثة وعشرين مليونًا.

منظمة الدعوة الإسلاميَّة ودورها:

حضرت هناك الاجتماع السنوي لمجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلاميَّة، الَّتي أُنشئت منذ نحو تسع سنوات في مدينة الخرطوم، ومهمة هذه المنظمة نشر الإسلام في أفريقيا، والمحافظة على الوجود الإسلامي هناك، في مواجهة المد التنصيري الممول من الغرب الأوروبي والأمريكي، المسنود بالمال والعلم والتخطيط.

وكانت هذه فرصة لأن نتعرف على الإخوة المسلمين هناك، وبعضهم من العرب، والجالية اليمنية هناك أكثر من ستين ألفًا، أبناء اليمن من

نسخة إلكترونية

قديم ذهبوا إلى أفريقيا، وذهبوا إلى آسيا، فنشـــروا الإسلام في أفريقيا، ونشروا الإسلام في إندونيسيا وغيرها.

انتشار الإسلام عن طريق التجار:

الإسلام منذ القِدم لم ينتشر بواسطة منظمات أو مؤسسات للدعوة، إنَّما انتشـــر هكذا تلقائيًّا بواسطة أناس مســـلمين عاديين، معظمهم غير متخصصين، ليســـوا من أهل العلم، ولا من خريجي الجامعات الدينية، هم تجار مسلمون، يذهبون ليشـــتروا أو يبيعوا؛ فيراهم النَّاس فيجدون فيهـــم الخُلُق الطيـــب، والإيمان الصـــادق، والعمل الصالح، والأســـوة الحسنة، فيســـألون من أنتم؟ فيقولون: نحن مسلمون، فيقولون: وما هذا الإسلام الَّذي تتبنونه وتعتنقونه؟ فيشـــرحون لهم الإسلام بلغة بسيطة، فيدخل النَّاس في ديـــن الله أفواجًا! هكذا دخل معظم المســـلمين الَّذين يزيدون اليوم على الألف مليون في الإســـلام، معظـــم الَّذين دخلوا في الإسلام دخلوا عن هذا الطريق، لم تدخل هناك جيوش فاتحة.

زعم المستشرقين وافترائهم على الإسلام:

المبشرون والمستشرقون يزعمون أنَّ الإســـلام انتشر بالسيف، وقد كذبوا والله، إنَّ هذا لإفكٌ مُبين، ما رفع الإســـلام سيفًا ليُكره أحدًا على الدخول فيه، كيف وهو يعلن أن لا إكراه في الدين؟! وأن من دخل الدين تحت ضغط وإكراه فإن إيمانه مردود؟!

الإسلام إنَّما انتصر على السيف الَّذي شُهِر في وجهه منذ أوَّل يوم في مكة، ولم ينتصر بالسيف، ومعظم بلاد الإسلام لم يدخلها جيش مسلم، إنَّما نَشَر الإسلام في العالم التُّجار، أو الصوفية، أو أناس من

QaradawiBooks.com

العاديين الَّذين يحملون الإســـلام معهم حيث ما ساروا. حتَّى البلاد الَّتي دخلتها الجيوش، مثل مصر الَّتي دخلها عمرو بن العاص بجيش صغير وفتحها، والواقع أن عمرو فتح الأرض، ولكنَّه لم يفتح القلوب ولا العقول، الإســـلام هو الَّذي فتح القلوب والعقول؛ فدخل النَّاس فيه مختارين.

الإسلام دين هداية:

الإســـلام دين هداية، حتَّى إن والي عمر بن عبد العزيز على مصر: كتب إليه من كثرة دخول المصريين في الإسلام، والإنسان إذا دخل في الإسلام سقطت عنه الجزية ولا تجب عليه الزكاة إلَّا بعد عام، وهذا يؤثر في ميزانية الدولة، فكتب إليه واليه يقول له: نريد أن نفرض الجزية على من أســـلم! فبعث إليه يقول له: قبَّح الله رأيك، إنَّ الله بعث رسوله هاديًا ولم يبعثه جابيًا[1].

دولة الإســـلام ليســـت دولة جباية ولكنها دولة هدايـــة، الهداية هي غايتنـــا، لتنقص الميزانية، وليدبر المســـلمون أنفســـهم، ولكننا نريد أن يدخل النَّاس في هذا الدين.

الأخطار الَّتي تواجه الإسلام:

الإسلام انتشر انتشار النور في كل مكان؛ بأقل التكاليف، وبأبسط الأســـاليب، وبأيســـر الوســـائل، حتَّى كان هذا العصر الَّـــذي وُوجِه

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٨٤/٥)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، وانظر: البداية والنهاية (٦٦٧/١٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٩٧/٤)، تحقيق محمد صادق القمحاوي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

QaradawiBooks.com

المسلمون فيه بهذه الحملات المكثفة، وبهذه الغزوات الشرسة من كل نوع، تريد أن تقتلع المسلمين من جذورهم، فأصبحنا نواجه أخطارًا عديدة: نواجه الخطر اليهودي، ونواجه الخطر الصليبي، ونواجه الخطر الشيوعي! أخطار متعددة، تختلف فيما بينها، ولكنها تتفق علينا، ما أكثر ما بينها من خلاف، ولكن إذا كان العدو هو الإسلام، اجتمعت كلمتهم، وأصبحوا صفًّا واحدًا، وهذا ما قاله فقهاؤنا من قديم: الكفر كله ملة واحدة! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣] بعضهم أولياء بعض!

إنَّنا نواجه الغزو الفكري، والغزو الديني، والغزو السياسي، والغزو الاقتصادي، والغزو الاجتماعي، ألوانا متعددة من الغزو نواجهها في كل مكان، ولكن الغزو الواضح والمكثف في أفريقيا وآسيا هو الغزو التنصيري، الَّذي جيَّش جيوشًا بعشرات الآلاف؛ بل بمئات الآلاف، حوالي ربع مليون مبشر، منتشرون في أنحاء آسيا وأفريقيا، يعملون أوَّل ما يعملون لتنصير المسلمين!

اجتمع مؤتمر المبشرين في بازل سنة ١٩٧٧م. في سويسرا؛ بهدف تنصير العالم، ثمَّ اجتمعوا في ١٩٧٨م. في كولورادو بهدف تنصير العالم، ورصدوا لذلك كما حدثتكم من قبل ألف مليون دولار، وأنشؤوا معهد زويمر لتنصير المسلمين خاصة، كان أولى بهم أن يتجهوا إلى الوثنيين والبدائيين، الَّذين لا يدينون بدين؛ فالمسلمون على الأقل لهم دين، ولكن الحقد الصليبي الأسود، الموروث من قديم: أراد أن يبدأ من المسلمين!

QaradawiBooks.com

كان عليهم أن يبدؤوا بأوروبا وأمريكا نفسها، فالناس هناك لا يدينون بالمَسيحيَّة؛ وإن كانوا ينتسبون إليها ظاهرًا، فالكنائس في أوروبا وأمريكا لا تجد طوال الأسبوع من يؤُمُّها، بل بعضها لا يجد يوم الأحد نفسه من يؤُمُّها، حتَّى إنَّ هذه الكنائس لتؤجر بالساعات للقاء العشاق؛ بل بعضها يباع، وقد كسب المسلمون من وراء ذلك؛ فاشتروا كنائس وحولوها إلى مساجد ومراكز إسلاميَّة.

سأل أحد أساتذة الفلسفة وعلم النفس عينة من عشرين طالبًا من طلابه، وجه إليهم سؤالًا، من منكم مسيحي حقيقي؟ فأجاب ثلاثة منهم: نعم، أنا مسيحي حقيقي متدين. وسبعة قالوا: لم نفكر في هذا الأمر قط. وعشرة قالوا: إنَّه لا دين لنا، لا نؤمن بمَسيحيَّة ولا بغيرها. هذه هي أوروبا، وهذا هو الغرب، فكان عليهم أن ينصِّروا الغرب نفسه، وأن يعيدوه إلى المَسيحيَّة؛ بدل أن يذهبوا إلى الإسلام وإلى المسلمين!

المسلمون عندهم أعظم دين:

المسلمون عندهم أعظم دين، وعندهم أعظم كتاب، وعندهم أعظم قدوة، أعظم دين هو الإسلام، وأعظم كتاب هو القرآن، وأعظم قدوة هو مُحَمَّد ﷺ، ولكن لا يقوم الباطل دائما إلَّا في غفلة الحق، غفل المسلمون عن حقهم، واستيقظ هؤلاء لنشر باطلهم، وجدوا الساحة خالية؛ فعاثوا وعربدوا هنا وهناك!

ومَن رعَى غنمًا في أرضِ مَسْبَعةٍ ونام عنها تولَّى رعْيَها الأسد[1]

(١) من شعر أبي مسلم الخراساني، كما في المحاسن والأضداد صـ٤٥، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

الرغبة في اقتلاع الوجود الإسلامي:

أراد هـؤلاء أن يقتلعـوا الوجود الإسـلامي؛ وخصوصًا في آسـيا وأفريقيا، في آسـيا ركزوا على عدد من البلاد؛ وخصوصًا إندونيسـيا، وإندونيسيا بلد تضم أكبر عدد من المسلمين،

إندونيسيا تزيد الآن على المائة وستين مليونا، حوالي تسعين في المائة من أهلها مسلمون، هؤلاء أرادوا أن يلغوا الشـخصيَّة الإسلاميَّة التاريخيَّة لإندونيسـيا، فاجتمعوا في مدينة مالاي، وقـرروا أن ينصروا جزيرة جاوا: أكبر جزر إندونيسيا في عشرين عاما، وأن ينصروا إندونيسيا كلها في مدى خمسين عاما، ووضعوا لذلك الخطط، وأنشـؤوا المدارس والمستشفيات والمطارات. فالإرساليات التنصيرية تملك حوالي ستين مطارًا.

في إندونيسـيا آلاف الجزر، والمسـلمون يتنقَّلون بينها بالقوارب، وهؤلاء يتنقَّلـون بالطائرات، لديهم إمكانات هائلة، وللأسـف يمكِّنهم بعض المسؤولين، الَّذين لم يرعوا الأمانة!

هؤلاء يعملـون في تلك البلاد ليـل نهار، وهم فـي أفريقيا كذلك يعملون، يعملون وينجحون بالفعل.

إخفاق التبشير في المنطقة العربيَّة:

من قديم جربوا العمل فـي المنطقة العربيَّة؛ ولكنَّهـم أخفقوا! في أوائل هذا القرن جاءت حملات مكثفة على البلاد العربيَّة، ومنها مصر، تصوَّروا مصر! بلد الأزهـر أرادوا أن يجربوا فيها حظهـم، ولكنَّهم لم يجدوا أذنًا صاغية، لم يجدوا من يستجيب لهم. حتَّى القرى الَّتي تشكو من سوء الحال، ومن ضيق العيش، كان الرجل يذهب إليهم ليحكي عن

QaradawiBooks.com

عجائب المسيح، ومعجزات المسيح، ومعجزات العذراء، والناس يسمعون، وفي النهاية يقول أحد الحاضرين: (وحِّدُوه)! فيقول الناس: لا إلٰه إلَّا الله. صلوا على النبي، فيقولون: اللهم صلِّ على مُحَمَّد وعلى آل محمد! فيذهب المبشر ويقول: لم نستفد شيئًا.

لم يجدوا من يستجيب لهم، وكتب كبيرهم في ذلك تقريرًا مطولًا قال في نهايته: «سيظل الإسلام صخرة عاتية في مصر، تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي للمسلمين».

ما دام القرآن يُحفظ ويُقرأ ويُتلَى ويُسمع، فهو يُوقظ ويُحرك. وما دام هناك الأزهر يخرِّج علماء: يعلِّمون النَّاس، ويعظونهم ويذكِّرونهم، فسيظل النَّاس مشدودين إلى الدين. وما دام اجتماع الجمعة الأسبوعي يربط النَّاس بالمسجد، ويربط النَّاس بالدين وبالعلم وبالموعظة، وبذكر الله، فأيضًا سيظل النَّاس على صلة بالدين. وهذا مؤتمر الحج السنوي يذهب الإنسان عاصيًا ويعود تائبًا، يذهب بعيدًا عن الله ويعود قريبًا من الله، هذه الدعائم الأربع.

وهذه الدعائم موجودة في كل بلد، ليس المقصود بالأزهر هو البناء، المقصود بالأزهر: العلماء، المؤسسة الَّتي تخرج علماء الدين ودعاته. كل بلد فيها القرآن، وفيها العلماء، وفيها اجتماع الجمعة، وفيها من يذهب إلى الحج.

تغيير الهدف في المنطقة العربيَّة:

الإسلام فيه قوة ذاتية، ولكن القوم لم ييئسوا، غيروا طريقتهم، وغيَّروا هدفهم، قالوا: ليس من الضروري في هذه المنطقة العربيَّة الَّتي

QaradawiBooks.com

هي قلب العالم الإسلامي، ليس من الضروري أن نُدخل المسلم في النصرانيَّة، ولكن المهم أن نُخرجه من الإسلام، المهم أن نزعزع ثقته بإسلامه، وأن نشككه في عقيدته، وأن نشككه في شريعته: أن يبقى مُؤرجحًا، لا هو مسلم، ولا هو غير مسلم، مسلم بالوراثة، ولكنَّه لا يؤمن بعظمة الإسلام وعدالة شريعة الإسلام، وأحقية الإسلام في حكم الحياة وحكم النَّاس بشريعة الله، هكذا قرروا!

نجاح المبشرين تغيير الهوية الإسلاميَّة:

وقد نجحوا في هذا، نجحوا في أن يخرجوا من المسلمين؛ ممن يتسمَّى بمحمد وأحمد، وعبد الله وحسن وحسين: أن يخرجوا من أبناء المسلمين، وممن نشؤوا في حضانة الأسر الإسلاميَّة: مسلمين لا يؤمنون بالإسلام، ولا يؤمنون بفضل الإسلام، وعظمة الإسلام، وشريعة وعدالة الإسلام، ويقفون ضدَّ من يدعو إلى تحكيم شريعة الإسلام، هؤلاء من أبناء المسلمين، هذا ما أراده التنصير أو التبشير؛ وقد نجح فيه إلى حد كبير. هذا كان هدفهم أخيرًا في المنطقة العربيَّة.

هدف المبشرين خارج المنطقة العربيَّة:

ولكن خارج هذه المنطقة لهم هدف مباشر: وهو أن ينصِّروا المسلمين بالفعل، وهذا ما فعلوه، أنَّهم يستطيعون أن ينصِّروا؛ وخصوصًا الصغار: الأطفال يأخذونهم إلى مدارسهم، يأخذونهم فيعلمونهم من الألف إلى الياء، يلقنونهم ما يريدون من العقائد، ويغرسون في عقولهم ما يشاؤون من الأفكار والمفاهيم، ويربونهم على ما يريدون من التقاليد والأعراف، فينشأ ناشئ الفتيان منا لا على ما علمه أبوه؛ فإن أباه لم

QaradawiBooks.com

يعلمه شيئًا! وإنَّما علمته المدرسة التبشيرية والتنصيرية، تعلمه ما تريد، فبعد مدة؛ إذا بأبناء المسلمين أصبحوا غير مسلمين!

ولذلك ليس غريبًا أن تجد في هذه البلاد من اسمه جون أو بطرس أو غير ذلك، ثمَّ تجد أباه أو جده أحمد أو محمدًا، وهكذا!

لقد نجحوا بالفعل واستطاعوا أن يفعلوا الكثير، صحيح أنَّهم لم يبلغوا كل مأربهم، ولكنَّهم من أجل هذا يعلنون بين الحين والحين: أنَّهم لم يحققوا هدفهم في بلاد المسلمين، ولكن ليس كل هذا الكلام صحيحًا، ولا يجب أن نأخذه كما يقولون، إنَّه صحيح بالنسبة إلى آمالهم الكبيرة، وإلى أحلامهم المديدة، لم يستطيعوا أن ينصِّروا (جاوا) في عشرين عاما، ولا أن ينصِّروا إندونيسيا في خمسين عاما؛ فقد قيض الله لهذا الدين دعاة هنا وهناك، أناسا يعملون ويجتهدون، فاستطاعوا أن يقاوموا بعض المد وليس كلَّ المد؛ لأنَّ دعاتنا ليسوا في عدد دعاتهم، وإمكانات الدعاة عندنا ليست كإمكانات الدعاة عندهم، وليس عندنا قيادة كقيادتهم!

البابا يوحنا السادس زار أفريقيا ثلاث مرات في سنوات قليلة، وفي آخر مرَّة زارها في صيف ١٩٨٥م. نشرت الصحف الأمريكيَّة وغيرها الهدف من زيارة البابا، ونصت عليه بصراحة، وقالت: إنَّ هدفه من الزيارة هو وقف المد الإسلامي في أفريقيا!

مَن مِن زعماء المسلمين وقادتهم زار هذه البلاد؟ مَن؟ ولو زار أحد هذه البلاد، هل تفعل الصحف والمجلات والإذاعات في بلاد المسلمين كما في أوروبا والعالم كله، هل تطير بهذه الزيارة وتصورها خطوة خطوة؟! نحن ينقصنا الكثير!

QaradawiBooks.com

يجب الاعتراف بعمل المبشرين:

القوم يعملون، ويجب أن نعترف بهذا على مستوى القيادات ومستوى الجنود.

وقد حكى لنا ـ في أحد مؤتمرات منظمة الدعوة الإسلاميَّة في إفريقيا ـ لواء متقاعد في الجيش السوداني وعضو مجلس أمناء المنظمة معنا، حكى لنا قصة فيها عظة وعبرة، قال: حينما استقل السودان ذهبنا إلى قرية من قُرى الجنوب، فدخلنا بسيارة «جيب»، وحينما رأى النَّاس السيارة هربوا إلى بيوتهم؛ لأنَّهم لم يروا سيارة في حياتهم، ما هذا الشيء الَّذي يتحرك ويمشي، وليس هو بقرة، ولا جاموسة، ولا بغلًا، ولا حمارًا، فأي شيء هذا؟! خاف النَّاس وهربوا إلى منازلهم، فاستعدناهم، وكلمناهم وقلنا لهم: نحن سودانيون مثلكم، وجئنا إلى مصلحتكم. ثمَّ يقول: وبينما نحن نكلمهم سمعنا جرسًا يدق، فقلنا لهم: ما هذا الجرس؟ أهنا مدرسة؟ قالوا: لا، لا يوجد هنا مدرسة، ولا يوجد أحد يعرف القراءة والكتابة. قلنا: فما هذا الجرس؟ قالوا: هذا أبونا!

قلنا: ومن أبوكم؟ قالوا: هذا الرجل يأتينا كل أسبوع مرتين. ذهبوا إلى هذا الرجل فوجدوه يركب دراجة، سألوه: من أنت؟ قال: أنا فلان الفلاني. من أي بلد؟ قال: أنا من «بروكسل» ـ من بلجيكا ـ قالوا: ماذا تفعل؟ قال: أنا جئت هنا لأنشر هداية المسيح. قالوا: كم لك هنا؟ قال: لي ثلاثون سنة! قالوا: كم مرَّة زرت فيها بلدك؟ قال: ولا مرَّة! قالوا: ومتى تنوي العودة إلى وطنك؟ قال: ما هذه الأسئلة؟ أنا وطني هنا، وحياتي هنا، ورسالتي هنا، وقبري هنا!

QaradawiBooks.com

هكذا يعمـــل النَّاس لباطلهـــم، النَّاس يعملون، ولهـــذا لا عجب أن يحققوا الكثير من النجاح، ليس كل النجاح الَّذي يريدون، ولكن حققوا الكثير والكثير!

الإسلام هو الأصل في أفريقيا، ولكن يريد هؤلاء أن يزاحموا الإسلام في أفريقيا، فهي قارة الصراع الرهيب بين الإسلام والنصرانيَّة.

لماذا يعلن المبشرون إخفاقهم؟

القوم يعملـــون وإن لم يحققوا كل ما يريدون؛ ولهذا ينشـــرون أنَّهم أخفقوا في نشر المَسيحيَّة بين المسلمين.

وهم بذلك يريدون أن يحققوا هدفين:

الأول: أن يســـتدرُّوا عطف الشـــركات والمؤسســـات والدول، الَّتي تمدهم بالملايين، وعشـــرات الملايين، ومئـــات الملايين، كلما يقولون لهم: عجزنا أمام المسلمين، استعصى الإسلام علينا فأمدونا، فيمدونهم!

الثاني: أنَّهم بهذا ينوموننا نحن المسلمين، فيخدِّرون الفريسة؛ لنقول: الإســـلام بخير، وأمة مُحَمَّد ﷺ بخيـــر، فننام على آذاننـــا، وندع القوم يذهبون هنا وهناك، ويغدون ويروحون؛ دون مقاومة منا!

الإسلام سفينة إنقاذ هذا العالم:

إنَّ علينا واجبًا نحن المسلمين في كل مكان: أن نحافظ على كياننا، وأن نحافظ على وجودنا؛ فضلا عن أن ننشـــر رسالتنا في العالم، وليس ينقذ العالم إلَّا هذا الإسلام، لا ينقذ العالم إلَّا رسالة الإسلام؛ فالمَسيحيَّة أعجز من أن تقدم للإنسان رسالة إنقاذ، هي لم تستطع أن تنقذ الإنسان

QaradawiBooks.com

في قلب أرضها في أوروبا وأمريكا، أمام هذا التحلل العقائدي، والتحلل الأخلاقي، والتحلل الأسري، والتحلل الاجتماعي، لم تستطع المَسيحيَّة أن تقدم شيئًا!

المَسيحيَّة عاجزة من الناحية العقائدية، ومن الناحية الفكرية، وهي دين يصادر العقل، ويقاوم الفطرة؛ ولهذا يقوم على إلغاء العقل، تقوم على هذه المقولة: اعتقد وأنت أعمى، أغمض عينيك ثمَّ اتبعني؛ ولهذا قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يوجد مقولة في الدُّنْيا أشد فسادًا وبطلانًا من مقولة النصارى: الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة «الأب والابن والروح القدس، هم ثلاثة ولكنَّهم واحد، الواحد هو ثلاثة»[١]! يقول ابن حزم: ولو لم نرَ هؤلاء النَّاس بأعيننا، ونجادلهم بألسنتنا، ونسمعهم بآذننا، ما صدقنا أنَّ في الوجود من يقول هذا[٢]. أنَّ في الوجود من يقول مثل هذا القول، فهم رغم ضعف عقائدهم، وضعف مفاهيمهم، يفعلون هذا كله!

نحن أصحاب القدرة على الإقناع، نحن أصحاب العقيدة الواضحة الميسَّرة، الملائمة للفطرة، نحن أصحاب الشريعة الَّتي تحقق العدل، وتوازن بين النَّاس، وتحقق المصلحة، وتدرأ المفسدة، نحن أصحاب الأخلاق الواقعية، لم يُقل في الإسلام: من ضربك على خدك الأيمن؛ فأدر له خدك الأيسر، ومن سرق قميصك فأعطِهِ إزارك[٣]، ومن سخرك لتسير معه مِيلًا فسر معه ميلين! هل يفعل النصارى هذا؟ هل طبَّق

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤٨/١)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٤٨/١).
(٣) إنجيل متَّى (٣٩/٥ ـ ٤٢)، ولوقا (٢٩/٦، ٣٠).

QaradawiBooks.com

أحد منهم هذا القول؟! لا والله، ليس هناك من يستطيع أن يطبق هذا، ليس هناك من يستطيع أن يطبِّق ما قال الإنجيل: أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم[١]!

لكن الإسلام هو الدين الواقعي الَّذي يقول. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فهو يُقر مرتبة العدل ومرتبة الفضل معًا، هذه لها أهلها، وهذه لها أهلها!

الإسلام قادر على الانتشار:

الإسلام هو الدين القادر على أن ينتشر في كل مكان، وإنَّما يحتاج إلى الدعاة، ويحتاج إلى الإمكانات، ويحتاج إلى أن نقاوم القوم بوسائلهم. قال سيِّدنا أبو بكر لسيدنا خالد حين بعثه لمحاربة المرتدين: حاربهم بمثل ما يحاربونك به، السيف بالسيف، والرمح بالرمح، والنبل بالنبل[٢]. وهذا كما يُقال في الناحية العَسكريَّة يقال كذلك في الناحية العقائدية والفكرية، هكذا لا بدَّ أن نحاربهم بمثل أسلحتهم.

إنَّ عندهم الكتب والنشرات، والمجلات والمنشورات، لا بدَّ أن يكون عندنا شيئًا قريبًا ممَّا عندهم، إذا كان عندهم الإذاعات والتليفزيونات والأفلام السينمائية، فيجب أن يكون عندنا شيء من هذا.

إنَّهم يستغلون فقر المسلمين وجهلهم ومرضهم؛ فينشئون المدارس والمستشفيات والمستوصفات؛ فيجب أن يكون عندنا مثل هذا، ويجب أن نرصد من الأموال مثل هذا، حتَّى لا يُستغل فقر الفقير، أو مرض

(١) إنجيل متَّى (٤٤/٥).

(٢) انظر: تفسير المنار (٢٠٤/٥)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

المريض، أو تشـريد المشـرَّد، لا بدَّ أن نسـتعمل كل الأسـلحة الَّتي يستعملونها؛ وإن لم تكن في نفس المسـتوى، ولكننا والله لو استعملنا القليل؛ فـإن قليلنا أقوى من كثيرهم؛ لأنَّنا أصحـاب الحق، نحن عندنا دين الفطرة، دين العقل، دين التوازن، دين الوسطية، عندنا الرسالة الَّتي ختم الله بها الرسالات كلها.

عِزَة طفل مسلم:

زار أحد الكرادلة بلدًا أفريقيًا، واجتمع لـه النَّاس وأراد أن يكلمهم بلغتهم، فسأله أحد صبيان المسلمين؛ قال له: أسألك أيُّها القسُّ العظيم. قال: سـل. قال: هل تحفظ الكتاب المقدس؟ وهو الَّذي يشـمل العهد القديم والعهد الجديد: التوراة وملحقاتها، والإنجيل وملحقاته؟ قال: لا. قال: هل تحفظ العهـد الجديد: الإنجيل وملحقاته؟ قـال: لا. قال: هل تحفظ أحـد الأناجيـل الأربعة عندكم: إنجيـل متَّى، ولوقـا، ويوحنا، ومرقس؟ قال: لا. قال: هل تحفظ نصفه أو ربعه؟ قال: ما أحفظ شـيئًا. قال: فما رأيك أنا الصبي ابن الثانية عشـرة أحفظ القـرآن من ألفه إلى يائه؟ من سورة الفاتحة إلى سورة قل أعوذ برب الناس!

المسلم الصغير هذا يعتز بإسلامه، ويتحدى هذا القسَّ الكبير!

والله لقد رأيت في بلاد المسلمين من يحفظ القرآن وهو دون ذلك، في بنجلاديش رأيت طفلا في التاسعة من عمره يحفظ القرآن الكريم، لا يخرم منه حرفًا واحدًا، سألته في متشـابهات القرآن: في الحواميم، والطواسيم؛ فلم يخطئ في كلمة واحدة! وكم امتحنا هنا في قطر من أبناء المسـلمين، من أبناء الهند وباكسـتان، وبنجلاديش وبورما وغيرها: من يحفظ القرآن كله، وهو لا يعرف كلمة في اللغة العربيَّة، تسـأله ما اسـمك؟ فلا يعرف

QaradawiBooks.com

شـــيئًا، تقول له: اقـــرأ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١] فإذا هو شريط مسجل، هذا هو الإسلام!

تعاون الأعداء فيما بينهم:

الإسلام قوي، ولكن المســـلمين ضعفاء، لا ينبغي أن نستسلم أمام هذا المد الَّـــذي يحاربوننا به في كل مكان، وللأســـف هـــؤلاء جميعًا يتعاونون، الشيوعية تتعاون مع الصليبيَّة التنصيرية، واليهوديَّة تتعاون مع هؤلاء جميعًـــا، تصـــوَّروا أنَّ اليهود يتغلغلـــون في أفريقيا؛ مســـتعينين بالمبشرين، ويتغلغلون في آســـيا؛ حتَّى نشرت بعض الصحف أنَّ اليهود بدؤوا يتســـللون إلى بلاد العرب وبلاد الخليج عـــن طريق الفلبين، عن طريق الَّذيـــن يدخلون في بلادنا باســـم المربيات، وباســـم الخادمات، وباسم كذا وكذا. وبعض هؤلاء يهود ونحن لا نعلم!

المســـألة مســـألة كبيرة، يجب علينا أن نعي دورنا، ونعي رســـالتنا، ولا نفرط في حق الله تبارك وتعالى علينا، إنَّ الله تعالى وهبنا الكثير من النعـــم، ومن حق هذه النعـــم أن تُشـــكر، وأعظم هذه النعـــم هي نعمة الإسلام، أعظم هذه النعم هي نعمة الإسلام؛ فيجب أن نحافظ عليها.

المَسيحيُّون غير المتدينين يمارســـون تديُّنَهم، في مساعدة التبشير، الَّذي لا يذهب إلى الكنيســـة ولا يعرف شيئًا؛ يتقرب إلى الله في زعمه، بأنه يؤيد المبشرين، ويدفع لهم الأموال ويعينهم.

غياب فقه الأولويات عند أبناء الأمة:

نحن نريد من أبناء المسلمين ومن عنده مال من المسلمين: أن يدفع ويبـــذل، والله إنَّنا كثيـــرًا ما نبذل، ولكـــن أحيانًا نبذل الأشـــياء في غير

QaradawiBooks.com

موضعها، قلت لبعض الإخوة ممن يحجُّون كل عام: ليتكم والله توفرون ما تنفقونه كل عام في الحج، وأنتم نحو خمسين شخصًا تحجون سنويًّا لو وفرتم هذا المبلغ ـ وهو نحو ربع مليون ريال مثلًا، أو أكثر من ذلك ـ وأرسلتموه لمقاومة التنصير في إندونيسيا وأفريقيا لكان هذا خيرًا وأقرب عند الله تبارك وتعالى!

لو أنَّ بعض ما ننفقه في هذه الأشياء أنفقناه في الدعوة إلى الله، ومواجهة التنصير! ولكن للأسف لا نعرف الأولويات، لا نفقه فقه مراتب الأعمال، لا نعرف منزلة كل عمل! ولو فقهنا هذا كل الفقه لحققنا الكثير والكثير.

الإسلام يحمل رسالة إنقاذ البشريَّة:

إنَّنا ننتظر إن شاء الله للإسلام يومًا تعلو فيه كلمته، وترتفع فيه رايته، وعندنا من البشائر الكثير، وخاصة أنَّ الحضارة الأوروبيَّة لم تحقق السعادة لأبنائها، والناس يبحثون عن شيء ينقذهم ممَّا هم فيه، والإسلام هو المنقذ، نحن في حاجة إلى تضافر الجهود وتوحيدها؛ لمقاومة هذا المد الَّذي يريد أن يلتهمنا عن آخرنا، ولنشر الإسلام في كل مكان.

ومن قريب أقيم مؤتمر في الأزهر، وأُعلن عن إنشاء مجلسٍ أعلى للدعوة الإسلاميَّة، وكُلِّف مندوبون من الأزهر، ومن رابطة العالم الإسلامي، ومن الهيئة الخيريَّة العالميَّة؛ لوضع نظام لهذا المجلس: يوحِّد الجهود، ويجمع الشَّتات، ويضم المتناثر؛ حتَّى يستطيعوا أن يقوموا ببعض ما فرضه عليهم دينهم، الَّذي أكرمهم الله تعالى به! ويأبى الله إلَّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

QaradawiBooks.com

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يوافقها عبدٌ مسلم، يسأل الله فيها خيرًا إلَّا استجيب له[١]، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلح لنا ديننا الَّذي هو عِصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهمَّ اجعل يوم المسلمين خيرًا من أمسهم، واجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأحسن عاقبتهم في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا.

اللهمَّ انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وأيِّد كلمة الإخوة المجاهدين العاملين للحق في لبنان، اللهم كُن للمسلمين في كل مكان، اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رُدّ عنا كيدهم، وفُل حدَّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

---

(١) كما في الحديث المتفق عليه، أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «إن في الجمعة لساعة، لا يوافقها مسلم، قائم يصلي، يسأل الله خيرًا، إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها. رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.

QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. اللهم آمين.

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

١٢

الإعلام المتصهين

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قد تحدَّثنا في الجمعة الماضية عن الحملة الإعلامية الَّتي تثيرها أجهزة الإعلام الأمريكيَّة المتأثرة بالصهيونيَّة.

ومن هذه الحملة: طعنها على نبيِّ الإسلام مُحَمَّد ﷺ، ونبيِّ الرحمة وهادي الأمَّة، واتهامه بأنه نبيّ العنف، وداعي الحرب. وقد رددنا على هذه الفرية الَّتي ليس فيها مرية.

وعاظ الكراهية في الشرق الأوسط:

وكان من ضمن هذه الحملة الضارية في صحيفة (واشنطن تايمز): حملة على من سمَتهم (وعاظ الكراهية في الشرق الأوسط)! تعني هؤلاء العلماء والدعاة الَّذين يدعون إلى بغض الآخرين، وإلى عدم التسامح والتعايش مع الآخرين. وذكرت في هذا (مركز زايد) في دولة الإمارات للتنسيق والمتابعة، وذكرتني بالاسم، وذكرت مفتي مصر الأخ العالم الفاضل الشيخ أحمد الطيب، وذكرت الأخ الداعية السعودي عايض القرني، ذكرتنا لأنَّا من وعاظ الكراهية الَّذين يبثُّون الكراهية!

QaradawiBooks.com

والكراهية في نظرهم هي مقاومة الطغيان الصهيوني، مقاومة التجبُّر الإسـرائيلي، فضح ما تقوم به إسـرائيل من مجازر ومذابح في الشقيقة الحبيبة أرض الإسراء والمعراج أرض فلسطين!

هذه هي الدعوة إلى الكراهية.

مركز زايد ـ وهو هيئة فكرية وسياسـيَّة تعمل تحـت مظلة الجامعة العربيَّة، ويقوم على أسـاس الحوار المفتوح، ويقيم ندوات، ويدعو إلى محاضرات: أقام ندوة تتحدث عن السامية، وبينت هذه الندوة أنَّ السامية ليست خاصة باليهود، فالعرب ساميُّون، وأيضًا ليس كل اليهود ساميين، هناك يهود من جنسـيات مختلفـة، وبعضهم من مملكـة الخزر. وجاء حديث لبعـض المعقِّبين المتحدثين عن قضيَّة (الهلوكسـت)، المحرقة الَّتي ضخَّم فيها اليهـود، وبالغـوا ووصَّلُوها إلى سـتَّة ملايين، وهذه فضحتها دراسـات علمية وأكاديميَّة، وأطروحات للماجستير والدكتوراه في أكثر من بلد، ولكن اليهود يتمسكون بهذا التزييف وهذه المبالغة.

فحينما قال أحد الحاضرين: إنَّ هذه كذبة زائفة. هاج هائج الصهاينة في أنحاء العالم، وكتب أحد الحاخامات في أمريكا ما كتب في صحيفة (واشـنطن تايمز)، وهو الحاخام (إبراهام كوبر) رئيس مركز (سـايمون فيزنتال) في (لوس أنجلوس)، فهو الَّذي يقود هذه الحملة.

ماذا قال أخونا العالم الفاضل مفتي مصر الشـيخ الدكتور أحمد الطيب؟ قال: إنَّ الفلسـطينيين لا يملكون غير المقاومة بالقنابل البشريَّة، وليس معهم طائـرات ولا عندهم دبابات، ولا يملكون أسـلحة، لا يملكون إلَّا أنفسـهم يفجرونها في أعدائهم، ولا نستطيع أن ندين هذه الوسيلة. ماذا يستطيع الإنسان الضعيف أن يقاوم القوي؛ إلَّا بمقدار ما يملك، وما يستطيع من قوة؟!

QaradawiBooks.com

هذه الكلمة أدخلته في وعَّاظ الكراهية!

وأخونا الشيخ عايض القرني قال: إن على المسلمين أن يمتلكوا أسلحة الدمار كما تمتلكها إسرائيل.

أحرامٌ على بلابله الدَّوحُ حلالٌ للطيرِ من كلِّ جِنْسِ[1]

إسرائيل تملك الأسلحة النوويَّة، وعندها مائتان أو أكثر من القنابل النوويَّة، والعرب من المشرق إلى المغرب، من الخليج الهادر إلى المحيط الثائر. هؤلاء العرب الثلاثمائة مليون لا يملكون هذه الأسلحة النَّوويَّة!

لم يخطئ الشيخ عايض حينما قال: إنَّ على المسلمين أن يمتلكوا هذه الأسلحة.

وأنا أقول: على المسلمين أن يمتلكوا هذه الأسلحة، ولكن لا يستخدمونها، وعلينا أن نملك هذه الأسلحة؛ أمَّا استخدامها فهو لا يجوز، إنَّما هذا للردع والترهيب: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] هذا يسمُّونه (السلم المسلح) أي أن تملك ما يرهب عدوَّك ويخيفه، فلا يملك عدوُّك أن يبدأك بالعدوان وبالهجوم. وهذا ما رأيناه، لم تهاجم أمريكا الاتحاد السوفيتي، ولم يهاجم الاتحاد السوفيتي أمريكا، وكلٌّ منهما يملك الأسلحة النوويَّة، لأنَّ أيًّا منهما إذا ضرب ضربة انتهى الآخر، وفي هذا فناء العالم.

كذلك الهند وباكستان، حينما ملك كلٌّ منهما الأسلحة النوويَّة؛ ورغم توتر العلاقات في بعض الأحيان وسخونتها، لم يمكن أن يبدأ أحدهما بضرب الآخر؛ لأنَّ في هذا الفناء للجميع.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٤٥/٢)، نشر دار العودة بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

فعلى المسلمين أن يمتلكوا هذه الأسلحة، وعلى العرب أن يمتلكوا هذه الأسلحة.

لم يخطئ الشيخ القرني في هذا.

أمَّا الفقير إليه تعالى، فقال هذا الحاخام في شأنه في هذه المقالة: إن من العجب أنَّ المتطرفين أمثال القرضاوي ـ الَّذي يطل على الملايين في كل يوم أحد من خلال قناة الجزيرة ليبــثَّ الكراهية في نفوس الناس ـ ويُطلق له العنان، في حين أنَّ المعتدلين من دعاة السلام يُمنعون من هذا.

الذين يدعون إلى المسالمة مع إسرائيل، ويدعون إلى التسليم بكل شــيء تريده إســرائيل، هؤلاء يســمِّيهم: المعتدلين! أمَّا نحن فيسمينا: المتطرفين والمتشددين، والإرهابيين ودعاة الكراهية!

هذا هو منطق هؤلاء القوم:

وهذا ليس بجديد على اليهود، فهؤلاء يعتبرون أنَّ كلَّ من يدعو إلى المقاومة في فلسطين، وكل من يرفض هذا الطغيان الإسرائيلي المدعوم بالتأييد الأمريكي؛ فهو من وعَّاظ الكراهيــة، وهو من المتطرفين، وهو ممَّن يجب أن يوضع في قائمة الإرهاب والإرهابيين!

هذا هو منطقهم، منطقهم أنَّنا يجب أن نسلّم لإسرائيل بكل ما تريد؛ حتَّى إنَّه في هذا المقــال يقول: إن عرفات كان يتفــاوض مع كلينتون، وبعض أعدائه يعدمون الَّذين يتعاونون مع إسرائيل من المعتدلين!

اعتبر الخونة الَّذين يتجسَّســون لحساب إسرائيل، ويتعاونون لخدمة الصهيونية؛ لتقديم المعلومات عن إخوانهم لإســرائيل، اعتبر هؤلاء من المعتدلين!

QaradawiBooks.com

واعتبر إعدام هؤلاء من الجرائم! هذا هو منطق هؤلاء.

فلا عجب أن يعتبروني من وعاظ الكراهية، ويعتبروني من المتطرفين ومن المتشددين.

والله إن كان هـذا تطرفًا وتشـددًا، فاللهم أحيني متطرفًـا، وأمتني متطرفًا، واحشرني في زمرة المتطرفين.

هذا ما نعتزُّ به ونفتخر. نحن ندعو إلى مقاومة هذا الظلم الواقع على فلسـطين، هذا الظلم الَّذي نراه كل يوم يتطاير ويتفاقـم ويزداد، يتطاير شرره، ويتفاقم ضرره، ويتزايد خطره.

انظروا إلى ما حدث بالأمس: هجوم على رفح، وأربع وستون سقطوا أمام الدبابات الإسـرائيلية وأمام القصف الإسـرائيلي، فيهم ثمانية من الشهداء سقطوا (منهم ثلاث نساء ومنهم طفلان).

كيف يريد هؤلاء منا أن نصفق لهؤلاء ونقول: سيروا، سيروا، نصركم الله يا بني إسرائيل؟!

يريدوننا أن نشدّ على يد شارون السفاح، وندعو له بالتأييد والنصر؟!

يريدوننـا أن نحب هـؤلاء السـفَّاحين الجزاريـن، وإذا دعونا إلى مقاومتهم فنحن وعَّاظ الكراهية؟!

لا والله، من أحب شارون؛ فنسأل الله أن يحشره في زمرته في جهنم وبئس المصير.

نحن نكره الباطل، ونكره الظلم، ندعو إلـى الحق، ونكره الباطل، ندعو إلى العدل، ونكره الظلم، ندعو إلى الخير ونكره الشر.

QaradawiBooks.com

أوثق عُرى الإيمان:

ومن شأن الإنسان أن يحب ويبغض، وأن يسالم ويحارب، وأن يرضى ويغضب، وأن يصل ويقطع، وأن يعطي ويمنع. ولكن ميزة المؤمن أن وصله وقطعه، وعطاءه ومنعه، وسلمه وحربَه، وحبَّه وبغضه، ورضاه وغضبه، كل هذا في الله ولله. وفي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»(١)، و«**أوثق عُرى الإيمان: أن تحبَّ في الله، وتبغض في الله**»(٢).

لا يمكن أن تحب كل إنسان:

كيف تسوِّي بين الأخيار والأشرار؟ بين المتَّقين والفجار؟ بين الَّذين آمنوا وعملوا الصالحات والمفسدين في الأرض؟ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. مستحيل أن يستوي هؤلاء وهؤلاء ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]؟!

لا بدَّ للإنسان أن يحب ويبغض، ونحمد الله إنَّنا نحب فيه، ونبغض فيه.

نحب العدل ونكره الظلم على أيِّ إنسان وقع، والله لو وقع على غير مسلم من أي ملة كان، ومن أي جنس كان، ومن أي وطن كان، لرفضنا هذا الظلم، وقاومناه. الإسلام يأمرنا أن نعمل لإنقاذ

(١) رواه أبو داود في السنة (٤٦٨١)، والطبراني (١٣٤/٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٩): حسن صحيح. عن أبي أمامة.

(٢) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن بشواهده. والطيالسي (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩)، وحسنه بمجموع طرقه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠)، عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

المستضعفين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]. نحن نقاوم الباطل، ونقاوم الظلم، ونقاوم الشرَّ ونكرهه. نكره الأشرار، ونكره الفجَّار، ونكره الظالمين. لا نكره أشخاصهم، ولكن نكره أعمالهم، نكره سوء فعالهم. هذا هو منطق الإيمان والإسلام.

قتال الإسرائيليين بسبب ظلمهم وعدوانهم:

نحن ـ كما أعلنت باستمرار في كتبي العلمية، وفي محاضراتي الفكرية، وفي خطبي الجُمعيّة، وفي برامجي التلفزيونية، وفي كل مناسبة ـ لا نقاتل هؤلاء الإسرائيليين لأنَّهم يهود، ولا لأنَّهم ساميون. هؤلاء الصهاينة الماكرون يشيعون في أنحاء العالم: أنَّنا نقاومهم ونقاتلهم ونبغضهم؛ لساميتهم وليهوديتهم! وهذا كذب وافتراء.

نحن نبغض هؤلاء ونقاومهم، لا للسامية ولا لليهوديَّة. أمَّا السامية فكما أشرت أنَّنا نحن العرب من الجنس السامي، فليسوا وحدهم، ولذلك يقول بعض النَّاس مازحًا: هؤلاء أبناء عمومتنا، نحن وأنتم ساميون.

وإن كان كثير من اليهود ليسوا ساميين. ونحن لا نحتفي بهذا الأمر؛ لأنَّ المسلم لا يهتم بالناحية العنصريَّة، الجنس في نظر المسلم ليس له أهمية. النَّاس خلقهم الله شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، ولكن المقياس والمعيار للكرامة عند الله: التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، والنبي ﷺ قال أمام الجموع الحاشدة في حجة الوداع:

QaradawiBooks.com

«يا أيُّها النَّاس، ألا إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتقوى»[1].

ليس للجنسيَّة ولا للعنصريَّة قيمة عند الإنسان المسلم. اليهود يهتمون بهذا الأمر، ويسمون أنفسهم (شعب الله المختار). ولكن نحن نقول: الاختيار لشعب ليس لعنصره، الاختيار للأمَّة الإسلاميَّة لمهمَّتها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ليس اختيارًا لأمَّة العرب، إنَّما للأمَّة الإسلاميَّة، وفيها عرب وعجم، وفرس وترك، وهنود وأفارقة، ومن كل لون، ومن كل جنس. أفضليتها لأنَّها أُخرجت للناس، وأنَّها تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتُؤمن بالله؛ فليس عندنا قيمة للعنصريَّة.

ولذلك لا نهتم بالسامية، وما دعوت إلى السامية قط، ولا وقفت ضد السامية. لا وقفت ضدها، ولا دعوت إليها.

كذلك حربنا مع هؤلاء القوم ليست لأنَّهم يهودًا، وطالما شرحت هذه القضيَّة؛ لأنَّها ملتبسة على بعض المسلمين. نحن لا نقاتل هؤلاء القوم الآن ولا نقاومهم لأنَّهم يهود، لماذا؟ لأن هؤلاء اليهود من أهل الكتاب، الَّذين ينظر إليهم الإسلام نظرة خاصَّة، وكانوا من أهل ذمَّتنا، وعاشوا بين ظهرانينا قرونًا طويلة، في حماية الإسلام، وفي ذمَّة الله ورسوله، وذمَّة جماعة المسلمين، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وقد كانوا موضع احترام وتقدير، وبلغوا من الثروة ما بلغوا، وبلغوا من المجد ما بلغوا.

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٩.

QaradawiBooks.com

هذا أمر ثابت تاريخيًّا، ورأيناه بأعيننا. رأينا في مصر اليهود يملكون معظم التجارات الضخمة، ولـم يعترض أحد. أناس (شُـطَّار) ومهرة، والمسلمون هناك كانوا كُسالى، فمن حقِّهم أن يصلوا.

ولكن متى قامت الحرب بيننا وبينهم؟ قامت الحرب حينما اغتصبوا الأرض، وشردوا أهلها، وسفكوا دماءهم، وقاموا بما قاموا به من المذابح والمجازر، الَّتي يشيب لهولها الولدان. هنا بدأت المعركة بيننا وبين القوم.

فنحن لا نقاتلهم لأنَّهم حرَّفوا التوراة، أو حرفوا صورة الألوهيَّة، أو حرفوا صورة الأنبياء في التوراة، لا، لم نقاتلهم من أجل هذا.

قاتلناهم لأنَّهم غصبوا أرضنا. أرضًا لم يكن لهم فيها حق، ولم يكن لهم وجـود يُذكر في أرض فلسـطين. ولكنَّهم بتأييد مـن الغرب الَّذي وعدهم بإنشـاء وطن قومي لهم، في أرض ليست أرضهم، ووطن ليس وطنهم، وساعدهم بكل ما يستطيع، ساعد الجمعيات الإرهابية اليهوديَّة، سـاعد على الهجـرات الجماعية، وتأسـيس المسـتعمرات في أرض فلسـطين، ومكنهـم مـن أن يملكوا السـلاح، وحرَّم أي سـلاح على الفلسطينيين. الغرب هو الَّذي أقام إسرائيل.

ولذلك نحن نقاوم هذا العدوان على أرضنا الإسلاميَّة، ولسنا نقاوم من أجل العقيدة اليهوديَّة، لتكن العقيـدة اليهوديَّة باطلة، وليذهبوا إلى جهنم وبئس القرار، لكن هي ليست قضيتنا، قضيتنا قضيَّة الأرض.

تحريف الكلم:

هذا ما نقوله. لكنهم يحرفون، وممَّا حرفوه أنَّهم قالوا: إنَّ القرضاوي يقول: إنَّ أحداث سبتمبر إنَّما دانها وأنكرها؛ لأن الطائرات الَّتي هاجمت

QaradawiBooks.com

البرجين كانت تحمل مدنيين. ومعنى هذا أنَّها لو لم يكن فيها ركاب كان يجيز هذا الأمر! هذا تحريف وكذب، وأنا لم أقل هذا.

حينما جاء الصحفيون الأمريكان هنا في بعض المؤتمرات الَّتي عقدتها قطر، وحاولوا أن يربطوا بين إجازتي العمليات الاستشهاديَّة في داخل فلسطين وبين ما جرى في أحداث سبتمبر، وقالوا: ما دمت أجزتَ هذه وقلت: إنَّها شرعيَّة؛ فلماذا لم تُجِز الأخرى؟ قلت لهم: هناك فرق: فرق بين الغاية، وفرق بين الوسيلة. الغاية والهدف هنا غير الغاية والهدف هناك، والوسيلة هنا غير الوسيلة هناك.

أمَّا غاية الفلسطيني وهدفه فهو الدفاع عن أرضه، والدفاع عن عرضه، والدفاع عن مقدَّساته. فهو يدافع مدافعة مشروعة، ويقاوم مقاومة شرعيَّة لا شكَّ فيها، تجيزها الأديان السماويَّة، والقوانين الوضعيَّة والمواثيق الدوليَّة، فهذا هدف مشروع من غير شك. بخلاف من يذهب ليدمِّر بُرجًا في بلد آخر، فهذا هدف آخر، هذا الهدف غير هذا، هناك فرق بين الهدفين، الهدف هذا مشروع، والهدف ذاك غير مشروع.

ضرب هذا البرج ما الهدف منه؟ ماذا في هذا البُرج؟ البُرج هو مجموعة موظفين، من جنسيَّات مختلفة وديانات شتَّى، وفيه من المسلمين أكثر من ألفين كانوا يصلون الجمعة، فهؤلاء ليسوا من صناع القرار السياسي الأمريكي حتَّى نقتلهم. الوسيلة غير الوسيلة.

وسيلة الاستشهادي أنَّه يفجر نفسه في عدوه، لا يملك دبابة، ولا يملك صاروخًا، ولا يملك طائرة، ولا يملك مروحيَّة، ولا يملك مُجَنْزَرة، ولا يملك شيئًا، يملك نفسه، يضع روحه على كفِّه، ويفجر نفسه في عدوه الَّذي احتل وطنه واغتصب أرضه وعرضه.

QaradawiBooks.com

هنا لـــم يعتدِ على أحـــد، هو حرٌّ في نفســـه، وقد باع نفســـه ابتغاء مرضات الله!

أمَّا الآخر فاســـتخدم طائرات مدنية، فيها ركَّاب مدنيُّون، لا ناقة لهم في السياسة الأمريكيَّة ولا جمل، وربَّما كنت أنت وكان هو وكنتُ أنا من ركاب هذه الطائرة، فهذه الوسيلة غير مشروعة.

فأخذوا بعض كلامي وتركوا البعض الآخر، أخذوا الجزء الثاني، وتركوا الجزء الأول، تحريفًـــا للكلم عن مواضعه، وهذه صفة وصفوا بها من قديـــم، وصفهم بهـــا القـــرآن: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

غير مرخصة للطباعة

دعوتنا إلى الحب والإخاء الإنساني والحوار والتسامح:

نحن لا ندعو إلى كراهية، بل ندعو إلى الحب والإخاء الإنساني.

البشـــريَّة كلها أســـرة واحدة، تنتمي لربٍّ واحد، وتنتســـب إلى أب واحد، هم شركاء في العبوديَّة لله، والبنوَّة لآدم.

ندعو إلى الحوار، فالإســـلام ديـــن الحوار، والحوار أحد وســـائل الدعوة الأساسية: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. هذا منطقنا، وهذا إسلامنا.

ندعو إلى التعايش مع الآخريـــن، إذا تركونا نعيش بديننا، فلا حرج في ذلك.

أمَّا أن يفرضوا علينا أن نتخلى عن ديننا أو عن شريعتنا، فهنا الفاصل بيننا وبينهم، نقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وهم يقولــون: لا، لنا ديننا، وليس لكم دينكــم، ولنا عملنا، وليس لكم عملكم. هذا ما نرفضه.

نحن ندعو إلى التسامح، وندعو إلى التعايش، وندعو إلى حب البشر جميعًا. ولكننا نكره الأشــرار، ونكره الفجَّار، ونكره الطغاة والظالمين المســتكبرين في الأرض بغير الحــق. وهذا من حقِّ النَّــاس جميعًا أن يكرهوا الظلمة والفراعنة، وكل جبار عنيد.

الذين يدَّعــون الألوهيَّة ويقول كل منهم للنــاس: أنا ربكم الأعلى، هؤلاء المتألهون، هؤلاء المستكبرون من حق النَّاس أن تكرههم.

مَنْ يفرض عليّ أن أحبَّ الظالم المستكبر الجبار في الأرض؟ لا.

نحن نفخر بكراهية هؤلاء، ونعتزّ بكراهية هؤلاء. ولكنها كراهية والله ممزوجة بالإشفاق، وممزوجة بتمنِّي الهداية لهم. كم نتمنى على الله أن يهديهم، وأن يصلحهم، وأن يردهم إلى صراطه المســتقيم. هذه كراهية الإنسان المسلم للشر، وللظلم، وللاستكبار في الأرض.

نحن الَّذين يسمونا (وعاظ الكراهية) لســنا أحرارًا فيما ندعو إليه، نحن دعاة دين، نتقيد بهذا الدين، ونرجع إلى مصادر هذا الدين، ونستمد مواعظنا ودعوتنا من كتاب ربنا، ومن ســنَّة نبيِّنا. لســنا أحــرارًا نقول ما نشاء، نحن عندنا مرجعيتنا الحاكمة والملزمة، ولا يجوز لنا أن نحيد عنها قِيدَ شعرة، يمينًا أو شمالًا.

ثم نحن أيضًا نســتمد من حقائق الواقع. نحن لا نعيش في صومعة منعزلة، ولا في برج عاجي، نحن نعيش في واقع الحياة، ونشهد ما نرى بأعيننا، ونســمع بآذاننا، ونلمس بأيدينا، فلا يمكــن أن نغترب عن هذا الواقع المعيش، لا يمكن أن نعتزل هذه الحياة.

QaradawiBooks.com

فمن حقائق الواقع ومن مصادر الدين، نستمد مواعظنا، ونقول الحق، لا نهاب في الله لومة لائم، ولا نخاف نقمة ظالم، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. سنقول الحق، ونجهر به، ونصدع به، لا نبالي رضي النَّاس عنا أم سخطوا، أحبوا أم كرهوا. وليكره الكارهون، إذا كرهوا مواقفنا في مقاومة الظلم والطغيان فليفعلوا. قد قال الشاعر العربي قديمًا:

لَقَدْ زَادَنِي حبًّا لنفسي أنَّني ... بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ
وَأَنِّي شَقِيٌّ باللِّئَامِ، وَلَا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ[1]

إذا كان هؤلاء يبغضوننا؛ فليذهبوا إلى الجحيم، حسبنا أنَّنا نرضي الله تبارك وتعالى، ونقول ما نعتقد أنَّه الحق، دفاعًا عن ديننا، ودفاعًا عن أمَّتنا، ودفاعًا عن كرامتنا.

هذا هو موقفنا، وهو موقف كل عالم مسلم يؤمن بالحق؛ ويرجع إلى هذا الدين، ويرضى بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا.

أقول قولي هذا، واستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجيب لكم.

* * *

(١) ديوان الطرماح بن حكيم صـ٢٠٦، تحقيق د. عزة حسن، نشر دار الشرق العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

هناك حادثتان أحب أن أعلق عليهما:

الحادثة الأولى: هو ما وقع في أندونيسيا، من قتل هؤلاء السُّيَّاح في تلك الجزيرة، ومعظمهم من الأستراليين. وكما أنكرت منذ سنوات من فوق هذا المنبر قتل السيَّاح في مصر في مذبحة (الأقصر) الشهيرة، أنكر اليوم قتل هؤلاء السّياح في أندونيسيا. وقد قلت من قبل: إنَّ هذا عمل لا يقرُّه الإسلام، وهؤلاء يُعتبرون في نظر الإسلام (مستأمنين)، دخلوا بأمان؛ فلا يجوز أن نقتلهم.

وأحمد الله أنَّ الإخوة الَّذين قاموا بهذه الأعمال في مصر، وكانوا من قبل ينكرون كلامي وينكرون موقفي هذا، الآن رجعوا وقالوا: كنا مخطئين. وأصبحوا يستدلون بكلامي، وينقلون عشرات الصفحات من كتبي في كتبهم، الَّتي أعلنوا فيها أنَّهم تراجعوا عن اجتهاداتهم القديمة.

ليس لنا أيُّها الإخوة أن نعطي أعداءنا فرصة ليتمكنوا فيها منّا، ويعلنوا الحرب علينا، بأننا لا نحترم الآخرين، ولا نحترم المعاهدات، ولا نحب السلام ولا، ولا، إلخ.

وأندونيسيا دولة إسلاميَّة كبرى ـ هي أكبر دولة إسلاميَّة ـ ونحن نعلم أنّ عليها مؤامرات ومكايد، تريد أن تُدخلها في دوامات من الصراع، وكل هذا لحساب القُوى المعادية للإسلام. فلا نريد من إخوتنا في أندونيسيا أن يمكِّنوا الأعداء من هذه الفرصة؛ بمثل هذه الأعمال الَّتي لا تفيد شيئًا في النَّهاية.

QaradawiBooks.com

ما قيمة أن تقتل عددًا من السّياح؟

هذا أمر لا يفيد الأمَّة الإسلاميَّة في شـــيء، إنَّما يمكِّن أعداءها من التشويش عليها.

ثم إنَّ الإسلام يحترم النفس البشريَّة، ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائـدة: ٣٢] الدمـــاء لهـــا حرمتها في هـــذا الدين، فلا يجوز أن تُقتل نفسٌ إلَّا بحقِّها.

ومن يقتل النفس؟ هناك ولي الأمر، وهناك الشرعيَّة، الَّتي تمكن من إقامة الحد على أهله.

لهذا أود أن أرسل رسالة إلى إخوتنا في أندونيسيا، ونحن في عصر يمكن للرســـالة أن تصل والحمد لله، فنحن نتحدث من فضائية تُشـــاهد وتسمع في آفاق الأرض.

الحادثة الثانية: ما قرأته فـــي صحيفة (الحيـــاة) اللندنية ـ الصحيفة المعروفة ـ وهي تُعلِّق على ما جرى بين (فتح) و(حماس)، وقد علقت في الأســـبوع الماضي أنّنا لا نحـــب أن يقوم أي صراع بيـــن الفصائل الفلســـطينيَّة بعضها وبعـــض، فهذا ما تتمنـــاه إســـرائيل، وما تخطط له إسرائيل، وما تقر به عين إســـرائيل. وقلت: إنَّه لا يجوز أن يمتد السلاح الفلسطيني إلى الأخ الفلسطيني بأي سبب كان.

لكن ممَّا آســـفني وأحزنني وأغضبني أيضًا في الوقت نفســـه، قول بعض رجال الأمن من رجال الســـلطة: إنَّ حماس إذا لم تســـتجب لهم؛ فسنمحوها من الوجود!

QaradawiBooks.com

يا لله، خسئت أيُّها الإنســان وأيُّها الرجل؛ حينما تقول هذه الكلمة عن إخوانك.

بدل أن تمحو إسـرائيل من الوجـود، تريد أن تمحـو حماس من الوجود؟!

وحماس لا يمكن أن تُمحَى، حماس وأخواتها هي اللسان المعبر عن هذه الأمَّة الإسلاميَّة، في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يمكن أن تموت ما دام في هذه الأمَّة عرق ينبض، وما دام فيها عين تطرف.

لا يمكن أن تموت حماس، ومن الَّذي يستطيع أن يمحو حماس من الوجود، ونحن موجودون، والأمَّة موجودة؟!

إذا مُحيت حماس من الوجـود معناه مُحيـت الانتفاضة، ومُحيت المقاومة، واستسلم المستسلمون لإسرائيل.

أعتبر أن هذه زلة من هذا القائل، يجب أن يتأسف لها، ويعتذر منها، ولا يجوز أن يقول هذا فلسطيني لآخر.

على الفلسـطينيين أن يتفاوضوا، وأن يجتمع عقلاؤهم لا حمقاهم مثل هذا. الحمقى لا يسـتطيعون أن يحلوا مشـكلة، وإنَّما يسـتطيعها الحكماء الَّذين يأخذون الأمور بأنـاة، وينظرون إلى العواقب، وينظرون إلى الأمر من جميع جوانبه.

هذا ما نريده من حكماء الإخوة من فلسـطين. يجب أن يحلوا هذه المشـكلة فيما بينهم، وأن يقفوا صفًّا واحـدًا كالبنيان المرصوص، أمام هذه الهجمة الصهيونيَّة، مثل هجمة الأمس الَّتي سقط فيها أربع وستون، وقُتل فيها واستشهد ثمانية (نساء وأطفال ورجال).

QaradawiBooks.com

على الجميع أن يقف ضـد هذه الهجمة الصهيونيـة؛ بدل أن نفكِّر كيف يُصفِّي بعضنا بعضا، ولحساب مَنْ يُصفِّي بعضنا بعضًا؟

لا، هذا ليس مـن الحكمة في شـيء، ولا من الإيمان في شـيء، ولا من الإسلام في شيء، ولا من الوطنيَّة في شيء.

إنَّما الواجب أن يحل الجميع مشاكلهم بأنفسهم، وهذا ممكن، وكل مشكلة ممكن أن تُحل؛ إذا تدخل الحكماء وأُبعد السفهاء.

اللهمَّ اجمع كلمة هـذه الأمَّة على الهـدى، وقلوبها علـى التُّقَى، وأنفسـنا على المحبة، وعزائمنا على عمل الخير وخيـر العمل. اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ إنَّا نسـألك العفو والعافية في ديننا ودنيانـا، وأهلينا وأموالنا. اللهمَّ اسـتر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيْماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا. اللهمَّ أيِّد إخوتنا في فلسطين، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، اللهم شدَّ أزر إخوتنا في فلسطين.

اللهمَّ أيِّد إخوتنا في كشمير، وأيِّد إخوتنا في أفغانستان، وأيِّد إخوتنا في كل مكان. اللهم احرسـهم بعينك الَّتي لا تنام، واكلأهم في كنفك الَّذي لا يُضام، وافتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

اللهمَّ أتمم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم عليك باليهود الغادرين المعتدين، اللهم عليك بالصليبيين المتعصبين الظالمين، اللهم عليك بجميع أعدائك أعداء الدين. اللهم رُدّ عنّا كيدهم، وفُل حدَّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين. اللهم إنَّا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهمَّ يا منزل الكتاب، ويا مجري السحاب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آل وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٣

الإيمان والمقاومة وأسطورة القوَّة الَّتي لا تقهر[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تعيش أمتنا العربيَّة والإسلاميَّة في هذه الأيام حدثًا جللًا، من حقِّ هذه الأمَّة أن تتباهى به، وأن تعلن عنه، هذا الحدث هو عُرس لبنان في هذه الأيام، انتصار المقاومة الإسلاميَّة والوطنيَّة في لبنان على دولة الكيان الصهيوني الغاصب إسرائيل.

غرور إسرائيل بما تملك من ترسانة عسكرية:

تملك إسرائيل ترسانة الأسلحة النوويَّة، وأسلحة الدمار الشامل، والأسلحة المتنوعة الَّتي زوَّدها بها الغرب، وزوَّدتها بها أمريكا: بالمال، وبالعون المادي والأدبي، حتَّى أصبحت القوَّة الأولى في المنطقة، وأصبح أربعة ملايين أقوى من نحو ثلاثمائة مليون عربي، هذا توازن القوى الَّذي تحرص عليه أمريكا، ويحرص عليه الغرب، أن تكون قوّة إسرائيل فوق قوّة العرب جميعًا.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢ يونيو ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

أسطورة زائفة:

ومع هذه القوَّة، ومع هذه الترسانة، ومع هذا الغرور المُسلَّط على بني إسرائيل استطاع إخوتنا في حزب الله، وفي المقاومة اللبنانية أن ينتصروا على هذا كله، أن يبطلوا هذه الأسطورة الَّتي شاعت وانتشرت، أسطورة القوَّة الَّتي لا تُقهر، والشوكة الَّتي لا تُكسر.

لا والله، إنَّ هذه الشوكة ما أسرع ما تُكسر، وهذه القوَّة ما أسرع ما تقهر، جرَّبنا ذلك أكثر من مرَّة، جرَّبنا ذلك في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ، حينما عزم العازمون، وصمَّم المُصمِّمون أن يعبروا القناة، وأن يجتاحوا خط بارليف، وأن يذهبوا إلى القنطرة شرقًا، صمَّموا على ذلك وخطَّطوا له وفعلوا، وكان العاشر من رمضان، وكانت نفحات رمضان الَّتي هبَّت على الصائمين والقائمين من أدوات النصر، وكانت ممَّا أعان هؤلاء الشباب الَّذين صمَّم بعضهم ألا يتناول إفطاره إلَّا بعد أن يصل إلى القنطرة ويُعلق عليها العلم المصري، حين ذلك قال: أعطوني تمرة أو شربة لأفطر عليها.

هزيمة إسرائيل ليست مستحيلة:

ليست إسرائيل بالشيء الَّذي لا يُقدر عليه، إسرائيل ليست إلهًا، إسرائيل هي نفر من البشر، جرَّبهم المجرِّبون، وعرفهم العارفون، فكانوا كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]. عند المواجهة يكون المقاتل العربي المسلم أشد بأسًا وأعظم قوّة، وأقدر على إخافة هؤلاء وإرهابهم.

ولكن للأسف وُجِد من بيننا من يستهول هذا الكيان، ومَنْ يستعظمه كل الاستعظام، ومَنْ يعتبره قد أصبح شيئًا لا يُقدر عليه. هؤلاء الَّذين

QaradawiBooks.com

تعبوا من الكفاح، وملُّوا من الجهاد، ونفضوا أيديهم من جدواه، وأرادوا أن يفرضوا يأسهم وقنوطهم على شعبهم؛ بل على الأمَّة العربيَّة، بل على الأمَّة الإسلاميَّة كلها، ودعوا إلى السلم، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥].

لا ينبغي للإنسان أن يدعو إلى السلم وهو مسلوب الحقوق، مُهدر الكيان، إنَّما يدعو إلى السلم إذا كان منتصرًا وكان قويًّا، لكن حينما تكون حقوقنا مُضيَّعة، وأرضنا مُغتصبة، وحرماتنا منتهكة، وأهلنا مشردين في الآفاق، نمد أيدينا نشحذ السلام، نتسوَّل السلام، هذا لا يكون سلامًا، إنَّما يكون استسلامًا.

لقد ضرب لنا إخوتنا في لبنان مثلًا أنَّ الجهاد لا تضيع ثمراته، وأنَّ الصمود لا يمكن أن يذهب سُدًى، وأنَّ المقاومة المستميتة ستؤتي أكلها، إنَّ الله لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملًا، سنَّة الله في الخلْق: مَنْ بذر بذرًا، وسقاه وتعهَّده لا بدَّ أن يؤتي الثمرة وفْق السنن الإلٰهيَّة، مَنْ جدَّ وجد، ومَنْ زرع حصد، ومَنْ يعمل مثقال ذرَّة خيرًا يره، يراه في الدُّنيا، ويراه في الآخرة، هذه سنَّة من سنن الله.

ضياع هذه الأمة بسبب اليأس والقنوط والاستسلام:

اليأس والقنوط والاستسلام هذا هو الَّذي ضيَّع هذه الأمَّة، هذه الأمَّة لم تضع من قلة العَدد، ولا من ضعف العُدد، وإنَّما ضاعت من الهوان النفسي، من الهزيمة النفسيَّة الَّتي عبَّر عنها الحديث الشريف بالوهن حينما قال: «**ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهْن**». قالوا: وما الوهْن يا رسول الله؟ لم يسأل الصحابة عن المعنى اللغوي للوهْن، فمعروف لديهم من لغتهم أنَّ الوهْن هو

الضعف، ولكن سألوا عن سرِّ هذا الأمر، عن علته، فقال لهم: «**حب الدُّنْيا وكراهية الموت**»[١].

إذا تعلَّق النَّاس بالدنيا، وتشبَّثوا بالحياة، وحرصوا عليها هانوا على أنفسهم، وهانوا على عدوِّهم، أمَّا إذا لم يبالِ النَّاس بالحياة ولا بالموت، لم يبالوا أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم، حين ذلك يرهبهم عدوهم.

النبي ﷺ يقول: «**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**»[٢]. إذا كان بينه وبين العدو مسيرة شهر فإنَّ أنباء المسلمين وانتصاراتهم، وما عُرف عنهم من بسالة وشجاعة تصل إلى الأعداء في أبعد الآفاق لترعبهم، فهم إذا لقوا المسلمين لقوهم مرعوبين راهبين خائفين.

من يحرص على الموت تُوهب له الحياة:

وإنَّما كان ذلك لأنَّهم حرصوا على الموت فوُهبت لهم الحياة، كما قال أبو بكر لخالد: يا خالد، احرص على الموت توهَب لك الحياة[٣]. ولذلك كان خالد يلاقي الفرس والروم وقوَّادهم وجنودهم وجيوشهم الجرَّارة بأقل منهم عَددًا وأضعف منهم عُددًا، ولكنَّه يدعوهم إلى الإسلام، ثمَّ يقول لهم: وإلا غزوتكم بقوم يحبون الموت، كما تحبون الحياة[٤].

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، عن ثوبان.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصَّلاة (٥٢١)، عن جابر.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٧/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى، وفيه مجالد، وهو ضعيف وقد وُثِّق. عن الشعبي مرسلا.

QaradawiBooks.com

هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ وتلاميذهم الَّذين دخلوا المعارك، وانتصروا على أقوى إمبراطوريتين في الأرض، كانتا تتنازعان السيادة على العالم: فارس، والروم، كما رأينا ذلك أيَّام تنازع أمريكا والاتحاد السوفيتي.

انتصر المسلمون على هاتين الإمبراطوريتين الكبيرتين بالإيمان، بالقوَّة المعنويَّة، لم يكونوا يبالون إلَّا بأن يرضوا الله تبارك وتعالى، وضعوا أكفَّهم على رؤوسهم، وأرواحهم في أيديهم، ولاقوا هؤلاء بإيمان الأبطال، وبطولة المؤمنين.

انتصارات المسلمين عبر التاريخ:

لم ينتصر المسلمون طوال تاريخهم بعَدد ولا بعُدَّة، إنَّما انتصروا بالإيمان، والتماسك والتلاحم، وإعداد ما استطاعوا من قوة، فالله ﷻ لم يأمرنا أن نُعدَّ مثل ما عند غيرنا، وإنَّما قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ما استطعتم، ما تقدرون عليه، ما في مُكنتكم، هذا هو الَّذي نُطالَب به.

انتصر المسلمون على الفرس والروم، على كسرى وقيصر، وانتصروا بعد ذلك على الصليبيين الَّذين جاؤوا بقضِّهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم من أوروبا في حملات متتالية، تعاون فيها ملوك أوروبا وأُمراؤها لينتزعوا فلسطين، وينتزعوا القدس، وينتزعوا هذه الممالك الإسلاميَّة من المسلمين.

وقد انتصر الصليبيون في أوَّل الأمر، فقد جاؤوا في غفلة من المسلمين، وتفرق من ملوكهم وأمرائهم، وخيانة من بعضهم، واستطاعوا

QaradawiBooks.com

أن يقيموا إمارات وممالـك، وأن يدخلوا المسـجد الأقصى ويملكوه، وبقي لمدة تسعين عامًا وهو في أيدي هؤلاء.

حتى هيَّأ الله رجـالًا لم يكونوا مـن جنس العـرب، ولكن عرَّبهم الإسلام، عماد الدين زنكي التركي، وابنه نور الدين محمود الشهيد الَّذي كان يُشـبَّه بالخلفاء الراشدين في عدله وزهده وحسـن سيرته، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي الكردي، الَّذي حقَّق الله على يديه النصر في معركة حطين، وفي فتح بيـت المقدس، وبعد ذلك الظاهـر بيبرس وغيرهم، انتصر الإسلام على الصليبيين بعد بقائهم مائتي سنة في هذه المنطقة.

وجاء التتـار بعد ذلك أو في أثناء ذلك من الشـرق، الصليبيون من الغرب، والتتار من الشرق، جاؤوا زاحفين، لم تقف أمامهم مملكة، ولم يصمد أمامهم أحد، جاؤوا بجيوش جرَّارة فأذلوا العباد، وخرَّبوا البلاد، ودخلوا بغداد عاصمة الخلافة الإسلاميَّة فحطَّموا معالم الحضارة، شعب همجي، ألقوا بالكتب في دجلة حتَّى أصبح النهر أسود من كثرة ما سال فيه من مداد الكتب، وكان المثل السائر في ذلك الوقت: إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا. فلا تصدق. أصبح مثلًا شـائعًا على ألسـنة النَّاس في سائر بلاد الإسلام، نفس أسطورة القوَّة الَّتي لا تُقهر.

دور العامل النفسي وأثره في القلوب:

دخل التتار بغداد سنة ٦٥٦هـ. وأزالوا الخلافة العباسية، وتحكَّموا في رقاب النَّاس، واستسلم النَّاس، كان اليأس مُخيِّمًا عليهم، حتَّى ذكر ابن الأثير: أن رجلًا تتريًّا وجد نحو أربعين رجلًا فوق سـطح أحد المنازل، فقال لهم: انتظـروا في مكانكم حتَّـى أذهب وآتي بالسـيف لأقتلكم. ووقفوا في مكانهم ينتظرون، فقال واحد منهم لمن معه: ماذا تنتظرون؟

QaradawiBooks.com

قالوا: ننتظر قدرنا، أن يأتي الرجل فيقتلنا. قال: وهل نسكت على ذلك؟ قالوا: وماذا نملك؟ قال: نملك أن ننقض عليه ونقتله. فقوَّى قلوب هذه الجماعة حتَّى إذا جاء الرجل فانقضوا عليه وأخذوا السيف منه وقتلوه[1].

انظروا إلى الحالة النفسيَّة الَّتي وصلت عند النَّاس، إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدق!

دخل التتار بغداد، ودخلوا دمشق، ودخلوا حلب، ودخلوا بلادًا كثيرة، ثمَّ أرادوا أن يدخلوا مصر، وأرسلوا إلى القائد المملوكي في مصر المُظفَّر سيف الدين قطز، وكان رجلًا صالحًا وقويًّا في الوقت نفسه، جاءته رسالة قائد التتار تبرق وترعد، وترغي وتزبد، وتقول: نحن الَّذين أذللنا العباد، ودمَّرنا البلاد، وفعلنا كذا وكذا. ألفاظ هائلة ترعب القلوب.

فلما قرأ قطز الرسالة مزَّقها، وكان يحملها رسولان فأمر بهما أن تُضرب أعناقهما، ولم يكن من شأن المسلمين أن يقتلوا الرُّسل، ولكن الرجل أراد أن يُبلِّغ رسالتين: رسالة إلى قومه، أنَّه لا يبالي بهؤلاء، يريد أن ينتزع من صدورهم الرعب الَّذي سكن فيها بشأن التتار؛ ورسالة إلى التتار أنفسهم، أنَّه لا يبالي بهم، وأنَّه مزَّق رسالتهم، وقتل رسوليهم.

ثم أمر بالناس أن ينهضوا لقتال التتار، وكان معه العلماء يُحرِّضون النَّاس، ويثبِّتون القلوب والأقدام، وفعلًا التقى بالتتار في يوم من أيَّام الله، وفي معركة حاسمة من معارك التاريخ: معركة عين جالوت، في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ، أي بعد سنتين من سقوط بغداد، وكان النصر للإسلام، وكان النصر للمسلمين.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٤٨/١٠)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

فـــي أوَّل الأمر انهزم النَّاس من حول ســـيف الديـــن قطز، ممَّا ملأ قلوبهم من الرعب ســـابقًا من التتار، وحينما رأى الرجل النَّاس تفر من يمينه وشماله، وكان يلبس خوذة من النحاس أمسك بها وألقاها وصاح صيحته التاريخيَّة: وا إســـلاماه، وا إســـلاماه. ما كاد الرجل ينطق بهذه الكلمة حتَّى عاد الفارُّ، وأقبـــل المدبر، وأقدم المحجم، وثبت المتردِّد، وهجموا كالأسود على التتار، وشـــاء الله أن يكون النصر للمسلمين في هذه المعركة الحاسمة.

يتحقق النصر حين تثبت النفوس ويقوى الإيمان:

المسألة إذًا أيُّها الإخوة مسألة نفســـيَّة، النَّاس ينهزمون أوَّل ما ينهزمون من داخل نفوسهم، فإذا قويت نفوسهم وسمت وعلت، واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ووضعت أيديها في يد الله: سيكون لها النصر.

هذا ما فعله إخوتنا في حزب الله، وما فعله إخوتنا في لبنان فاضطرت دولة العدو أن تنســـحب كارهة لأوَّل مرَّة، وتخلي أرضًا وطأتها أقدامها، وهذا ليس من شأنهم، ولكن الجهاد يمكن أن يفعل هذا.

هذه رسالة ـ كما قال حســـن نصر الله ـ إلى إخوتنا في فلسطين، أن يقووا عزائمهم، ويشـــدوا أيديهم، ويقفوا للمقاومة والجهاد. ليس هناك شـــيء اســـمه القوَّة الَّتي لا تُقهر، القوَّة الَّتي لا تُقهر هي قوّة الله تعالى، ليس هناك قوّة لا تُقهر غير قوّة الله ﷻ، أمَّا قوّة البشـــر فيمكن أن تُقهر. يقهرها المؤمنون.

أمَّا أن ينهار الإنسان إذا رأى جيشًا كثيفًا أو عدوًّا مُسلَّحًا، فهذا ليس من شـــأن المؤمنين، ذكر لنا القرآن قصة طالـــوت وجنوده، حينما جمع

QaradawiBooks.com

جيشه وابتلاهم الله بنهر؛ فعرف منهم النخبة القادرة على الصمود والمقاومة، الَّذين جاوزوا معه النهر، ومع هذا حينما جاوزوا النهر، ورأوا جيش جالوت وما فيه من عَدد، وما معه من عُدد قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩، ٢٥٠]. قالوا هذا وهم في قلب الميدان، فادعُ الله وأنت في قلب المعركة يستجب الله دعاءك، أمَّا أن تنام على أذنيك، وتدعو الله أن ينصرك فإنَّ الله لا ينصر القاعدين ولا الخالفين، إنَّما ينصر المجاهدين إذا بذلوا ما يمكنهم، والله تعالى يُعوِّض ما لا يقدرون عليه، ولهذا كانت عاقبة هؤلاء الجنود المؤمنين نصرًا من الله، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

على المسلم أن يبذل ما في وسعه:

أنت عليك أن تبذل ما عندك وما في قدرتك، واترك الباقي لله، هو الَّذي يهزم الأعداء، هو الَّذي ينصرك على عدوِّك، الله تعالى قال لرسوله في غزوة بدر: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. الله هو الَّذي يدير المعركة من فوق سبع سماوات، فابذل ما عليك، ودع الأمر لله تبارك وتعالى.

القرآن قصَّ علينا قصَّة جماعة من اليهود غادروا ديارهم وتركوها بعد أن خرَّبوها، هؤلاء هم يهود بني النَّضير إحدى القبائل الثلاث الَّتي كانت تسكن في ضواحي المدينة، بنو النَّضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، هؤلاء

QaradawiBooks.com

ذكر الله لنا قصَّتهم في أوَّل سورة الحشر: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ ﴾ [الحشر: ٢]. ما كنتم تحسبون أنَّهم سيخرجون لأن عندهم الحصون المنيعة والقوة العَسكريَّة، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ ﴾ [الحشر: ٢].

انظروا إلى يد الله، إلى القدرة الإلٰهية، ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ ﴾، ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾، وهنا يقول: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ ﴾. الله هو الَّذي يدير المعارك للمؤمنين، فلا بدَّ أن يكون اعتمادنا عليه، واستنادنا إليه، وتوكلنا عليه، ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

إنَّنا في حاجة إلى أن نبث هذه الروح في نفوس الأمَّة، بعد أن غلب عليها الوهْن والاستكانة والاستسلام؛ فأصبحت الثقافة السائدة ثقافة السلام أو ثقافة الاستسلام، ويحسبون أن ما نقوله وهم أو خيال لدى جماعة يعيشون على الماضي، ولا يعرفون الواقع.

هذا هو الواقع أيُّها القوم، ما جرى في الساحة اللبنانية، ما حققه حزب الله، ما حققه الجهاد الإسلامي ليس أمرًا من نسج الخيال، ولا مستجلَبًا من الماضي، بل هو واقع نراه رأي العين.

ما أُخذ بالقوة لا يسترد إلَّا بالقوة:

لماذا لا نؤمن بأنفسنا؟ لماذا لا نثق بأننا قادرون؟ لماذا لا نتوكَّل على الله؟ لماذا لا نخوض المعركة حتَّى نصل إلى حقنا؟ بدل أن يلهث اللاهثون هنا وهناك يبحثون عن بعض الفتات فلا يكادون يجدونه، حتَّى الفتات لا تعطيه إسرائيل، وإذا أعطت شيئًا أعطته ممزوجًا بالمن والأذى.

QaradawiBooks.com

إنَّ ما أُخِذ بالقوة لا يُسترد إلَّا بالقوة، لا يمكن بطريق المفاوضات والأخذ والرد والجذب والشد، والرحلات المكوكية هنا وهناك، لا يمكن لإسرائيل أن تعطينا شيئًا ذا بال إلَّا ما تريده هي أن تعطينا إيَّاه، لا ما نريد أن نأخذه، هي تتفضل على هؤلاء ببعض الشيء، بعد أن تتعبهم وتضنيهم حتَّى يتصبَّبوا عرقًا من الركض هنا وهناك، ثمَّ تتفضَّل عليهم ببعض الفضلات، أو ببعض الفتات.

ماذا أخذ هؤلاء؟ ما أخذوا شيئًا يُذكر إلى الآن، وبقيت القضايا والمشكلات الكبرى معلقة كما هي، القدس؛ ماذا يقولون في القدس؟ اللاجئون؛ ماذا يقولون في اللاجئين؟ الحدود؛ ماذا يقولون في الحدود؟ المياه؛ ماذا يقولون في المياه؟ المستوطنون؛ وما أدراك ما المستوطنون؟

كل هذه القضايا والمشكلات لا تزال مُعلَّقة، ولا يزال صوت إسرائيل هو الصوت العالي، وهو الصوت المسموع، ولا زال لواؤها هو اللواء المرفوع؛ لأنَّنا ندخل هذا الميدان شحَّاذين متسوِّلين، نستجديهم أن يعملوا فينا معروفًا؛ أبهذا تؤخذ الحقوق؟!

الحقوق المهدرة: الحقوق المسلوبة، والأرض المغصوبة لا تؤخذ إلَّا بالجهاد، إلَّا بالكفاح، هذه سنَّة الله، وهذا هو ما يقوله التاريخ عنا وعن غيرنا، لم تسترد أمَّة من الأمم حقها من عدوها إلَّا بالجهاد، إلَّا بالكفاح.

نشد على أيدي المقاومة الباسلة:

ولهذا نحن نشد على أيدي إخواننا في حماس وفي الجهاد الإسلامي في أرض فلسطين أن يستمسكوا بحقهم، من حقِّهم أن يدافعوا عن أوطانهم، من حقِّهم أن يقاوموا حتَّى يستردوا حقوقهم، حتَّى يستردوا

QaradawiBooks.com

أرضهم، حتَّى يستعيدوا ما لهم من حرمات، وما لهم من أرض، وما لهم من طاقات، هذا هو الواجب عليهم.

وعلى الأمَّة أن تشـــدَّ أزرهم، وتسند ظهرهم، وتقف وراءهم بالنفس وبالمال ما استطاعت، فالقضيَّة ليست قضيَّة إخوتنا في حماس وحدهم، وإنَّما هي قضيَّة فلسطين كلها، وقضيَّة الشعب العربي كله، وقضيَّة الأمَّة الإسلاميَّة كلها، وقضيَّة الشرفاء والأحرار وأنصار الحق والعدل في العالم كله، فعلى الجميع أن يقف وراء إخوتنا المجاهدين بالعون والتأييد.

وقد أصبـــح عندهم الآن برهـــان أنَّ الجهاد يمكـــن أن يحقِّق هدفًا، ويمكن أن يؤتي أكلـــه، وليس هناك طريق غير الجهـــاد، هذا ما جرَّبناه ونُجرِّبه، جرَّبناه بالأمس وقبل الأمس واليوم وسنجرِّبه بعد اليوم.

لا طريق لنيـــل الحقـــوق إلَّا طريق الجهاد؛ فســـيروا أيُّهـــا الإخوة المجاهدون في فلســـطين في هـــذا الطريق، على بركة الله، استمســـكوا بالحقِّ الَّذي أنتم عليه، استمســـكوا بحقِّكم في الجهاد؛ حتَّى يحقِّق الله النصر لكم كما حقَّق النصر لإخوانكم في لبنان.

تحيَّتنا إلى لبنـــان، وتحيَّتنا إلى حزب الله، وتحيَّتنـــا إلى المقاومة في لبنان، وتحيَّتنا إلى كل مَنْ ساعد هذه المقاومة حتَّى وصلت إلى ما وصلت إليه، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٧ ـ ٩].

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٤

ذكرى قيام دولة الكيان الصهيوني[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في يوم الخامس عشر من أيار أو مايو، سنة ثمانٍ وأربعين وتسعمائة وألف (١٩٤٨م) حدث في تاريخ هذه الأمَّة حدث خطير لا زال له أثره في مجرى حياتها، هذا اليوم الأسود من الأيام الحاسمة في تاريخ هذه الأمَّة، وفي تاريخ البشريَّة كلها.

إعلان قيام دولة الكيان الصهيوني:

في يوم ١٥ مايو منذ ثلاثة وخمسين عامًا أعُلن قيام دولة الكيان الصهيوني الَّتي سموها (إسرائيل)، باسم نبيٍّ من أنبياء الله، هو يعقوب عليه السلام، الَّذي كان يُلقَّب بإسرائيل، وإسرائيل منهم براء، ورسل الله جميعًا تتبرأ منهم.

قامت هذه الدولة ختامًا لمرحلة الكفاح والجهاد الفلسطيني، ومرحلة الإرهاب الصهيوني، ومرحلة التآمر الغربي. تآمر الغرب على هذه الأمَّة

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١١ مايو ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

وصنع هذا الكيان المغتصِب الدخيل، زرعت بريطانيا هذا الكيان، جعلت عصبة الأمم بريطانيا منتدَبة على فلسطين بعد الحرب العالميَّة الثانية، بعد أن انهزم الأتراك، وبعد أن دخل القائد الإنجليزي (اللنبي) إلى القدس، وقال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبيَّة[١].

الحروب الصليبية الأولى والثانية:

كانت تلك الحروب الصليبيَّة القديمة قد استمرَّت نحو قرنين من الزمان، ولم تؤتِ أكلها، ولم تحقِّق هدفها، وخرجوا مدحورين، وعادوا مهزومين إلى ديارهم، ولكن بريطانيا الآن حقَّقت الحلم القديم بالاستيلاء على القدس، ولذلك قال قائدها: اليوم انتهت الحروب الصليبيَّة. أي بتحقيق الثمرة المرجوة، والهدف المنشود، وقال زميله الفرنسي القائد (غورو) الَّذي وقف عند قبر الناصر صلاح الدين الأيوبي في دمشق، وقال كلمته الشهيرة: ها قد عدنا يا صلاح الدين[٢].

عادت الحروب الصليبيَّة مرَّة أخرى، واستولوا على ديار المسلمين، واستولوا على القدس، وبدأت الخطة ترعاها بريطانيا، الَّتي كانت دولة عظمى في ذلك الوقت، لا تغيب الشمس عن أملاكها، كانت سيدة البحار، وكانت القوة الكبرى في ذلك الوقت، ظلت ترعى قيام ذلك الوليد اللقيط الزنيم، الَّذي ليس له أب ولا أم، ولا نسب ولا حسب، أرادت أن تزرعه في غير أرضه، وأن تنبته في غير تربته.

---

(١) دروس وتأملات في الحروب الصليبية، صـ٣٥. لأبي فارس، نشر دار جهينة، عمان، ط١، ٢٠٠٢م.

(٢) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني صـ٢٢٢، (رسالة دكتوراه)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا.

QaradawiBooks.com

مقاومة الشعب الفلسطيني:

رفض الفلسطينيون وعد (بلفور) وزير الخارجيَّة البريطاني، الَّذي أعطى اليهود الوعد المشؤوم في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧م. بإيجاد وطنٍ قوميٍّ لهم في فلسطين، ولم تكن فلسطين وطنًا بغير شعب، حتَّى تستقبل شعبًا بغير وطن، ولكن هكذا أرادت المؤامرة الكبرى، وعد مَنْ لا يملك مَنْ لا يستحق، هذا وعد بلفور بأرضٍ ليست أرضه ولا أرض أبيه، ولا أرض أمِّه ولا أرض أجداده، وهبها للصهاينة، كأنَّ هؤلاء يتصرَّفون تصرف الإلٰه في الأرض، لا يُسألون عما يفعلون.

وقاوم الشعب الفلسطيني المؤامرة بكل ما يملك، ولم يكن يملك إلَّا القليل، حُرِّم عليه أن يملك أي سلاح، ولكن اليهود الَّذين أُذن لهم بالهجرات الجماعية تلو الهجرات كانوا يملكون السلاح، واستطاعوا أن ينشؤوا المستوطنات أو المستعمرات، تحت سمع الإنجليز وبصرهم، والعالم الإسلامي في غفلة، والعرب في غفلة، خصوصًا بعد أن زالت الخلافة العثمانية.

تخطيط اليهود القديم وتدبيرهم:

لقد خطط اليهود، وبيَّتوا أمرًا بليل، منذ أواخر القرن التاسع عشر، حينما انعقد مؤتمرهم سنة ١٨٩٧م. في (بازل) في سويسرا، وبرئاسة مؤسِّس الحركة الصهيونيَّة ورئيسها (هرتزل)، جمعهم في هذا المؤتمر، وانتهى المؤتمر بإعلان الرجل أنَّ الدولة اليهوديَّة قد قامت، ستقوم الدولة بعد خمسين عامًا، هكذا قرروا، وفعلًا قامت بعد خمسين عامًا، أو إحدى وخمسين سنة، زادت سنة، لا تؤثر.

QaradawiBooks.com

خطط القــوم لهذا، حاولــوا أن يغــروا الخليفة العثماني الســلطان عبد الحميد، أن يدفعوا له ملايين الليــرات الذهبية، والمليون في ذلك الوقت يســاوي مليارًا فــي وقتنا هــذا أو أكثر، أغــروه بملايين لجيبه ولخزانته الخاصَّة، وملايين أخرى للدولة تحل بها مشــكلاتها المالية، ولكن الرجل رفض بإباء وشمَم، وأبَى أن يُسلِّم شبرًا من تراب فلسطين لليهود؛ فهذه أرض فتحها المسلمون بدمائهم، ولا يجوز له أن يُفرِّط في قدم واحد منها.

ولكن اليهود لم يسكتوا عن ذلك، دبَّروا أمرهم، وعملوا على إسقاط الخلافــة العثمانيَّة، وكان الرجــل الَّذي عرض الملايين على الســلطان عبد الحميد، واسمه (قراصو) هو الَّذي سلَّمه صك التنازل عن الخلافة.

إسقاط الخلافة الإسلامية:

عمــل اليهود عملهــم، ومكروا مكرهــم، وكادوا كيدهم لإســقاط الخلافة، وهدم هذه القلعة التاريخيَّة، وهتك هذه المظلة الإنسانيَّة، الَّتي كانت تظل المســلمين في المشــارق والمغــارب، تحت رايــة العقيدة الإسلاميَّة، راية لا إلٰه إلَّا الله، مُحَمَّد رســول الله، على ما نعترف به ممَّا كان لهذه الخلافــة من نقاط ضعف، ومن عيــوب ومآخذ، ولكنها على علاتها كانت مظلة تجمع أمَّة الإسلام.

أراد هؤلاء اليهود والصهاينة ألا يكون للمسلمين راية يلتفون حولها، ويجتمعون تحتها، وألا يكــون لهم مظلة تُوحِّدهم فعملوا على إســقاط الخلافة؛ حتَّى لا يُوجد مَنْ يقول عندما تتأزم الأمور، وتدلهم الخطوب، وتتلبد الغيوم: يا أمَّة محمد، يا أمَّة القرآن، يا أمَّة الإسلام، يا أمَّة لا إلٰه إلَّا الله، هُبُّوا. فيستجيب النَّاس، لم يعد هناك مَنْ يستطيع أن يقول للأمَّة هذا!

QaradawiBooks.com

أسـقطوا الخلافة، وتمزَّق المسلمون شـر مُمزَّق، وقامت دويلات قُطرية هنا وهناك، كل واحد يقول: نفسـي نفسـي. مصـر للمصريين، وسوريا للسـوريين، والعراق للعراقيين، وهكذا تشرذمت الأمَّة وتفرقوا أيدي سبأ.

كانت هذه حـال الأمَّـة عندما بـدأ اليهـود يكيـدون ويمكرون ويخطِّطون، ويدبرون لإقامـة هذه الدولة، وقامـت بالفعل في ١٥ مايو ١٩٤٨م. هذا اليـوم لعل كثيرًا من الشـباب لم يحضره، ولكنا شـهدنا المأساة، شهدنا مدن فلسـطين وهي تسـقط مدينة بعد مدينة، ونبكي ونصرخ في الأمَّة، لم تشـهدوا أيُّها الشباب سـقوط حيفا ويافا وعكا، وغيرها وغيرها، ولكنا شـهدنا وبكينا وحزنـا، ولا زلنا نبكي ونذرف الدموع وليس أمامنا إلَّا الدموع.

اعتراف القوى الكبرى بهذا الكيان المحتل:

القضيَّة كانت قضيَّة خطيرة، حينما أُعلن قيام هذه الدولة أو الدويلة كما كنا نسمِّيها في ذلك الوقت (المُغتصِبة، العدوانيَّة، الظالمة)، اعترفت بها في الحـال وبعد ثـوانٍ الولايات المتحـدة، واعترفت بها روسـيا وبريطانيا وفرنسا والدول الغربيَّة كلها، وأعلن الجميع أنَّ إسرائيل خُلقت لتبقى، اجتمع على ذلك الشرق والغرب، الرأسمالية والشيوعية، اجتمع العالم الغربي كله على هذا الأمر الخطير.

وماذا يفعل العرب والمسـلمون وليس لهم خليفة ولا إمام، وليست لهم وحدة تجمعهم؟ كانت هناك الجامعة العربيَّة الَّتي أُسِّست منذ ثلاث سنوات، ولم تكن لها قوَّة ولا قدرة، على أن تعمل شيئًا إيجابيًّا، دخلت

QaradawiBooks.com

الجيوش العربيَّة: جيوش الدول السبعة الَّتي كانت تُكوِّن الجامعة العربيَّة في ذلك الوقــت، ولكن الخيانة من ناحية، والهــوان والوهن من ناحية أخرى: أعطى الفرصة لهذه الدولة أو الدويلة أن تستمر.

ولو أنَّ الدول العربيَّة، بعث كلٌّ منها بالمتطوِّعين، وهيَّئوا لهم بعض الأسلحة القليلة لانتهت هذه القضيَّة، ولكن هذا لم يحدث، ورغم ذلك دخل متطوعون أعرف بعضهم من أبناء مصر، وبعضهم من أبناء الأزهر، وبعضهم من أبناء الجامعة المصريَّــة، وكانوا والله أبطالًا، حتَّى قال أحد القادة البريطانيين في ذلك الوقت: لو كان معــي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم كل فلسطين!

ما كانوا يهابون الموت، كانوا يتسابقون على الجهاد، وإذا أُريد سريَّة من السرايا لتقوم بعمل فدائي يحتاج إلى ثلاثة أو أربعة يتقدَّم له المئات؛ فيحتار القائد ماذا يفعل إلَّا أن يقرع بينهــم، فمن خرجت قرعته ذهب، ما كانوا يبالون بالمــوت، كان أحدهم تصيبه دانة المدفع فتقطع ســاقه فينظر إليها وهو يبتســم، والدماء تنزف منه، ويقــول ما قاله الصحابي الجليل خبيب بن عدي:

ولســتُ أبالي حين أُقتل مُسلمًا على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعي
وذلك فــي ذات الإلٰه وإن يشــأ يبارك على أوصالِ شلوٍ مُمَزَّعِ[1]

لو تُرك الأمــر لهؤلاء الأبطال لقضوا على هــذه الطغمة الصهيونية، ولكن دخلت الجيوش، ولم تُغنِ الجيوش شيئًا، وانتهت الجولة بخسارة المعركة، وتثبيت إسرائيل، وقسمة القدس ما بين شرقيَّة وغربيَّة.

(١) رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كنا نقول إسرائيل المزعومة حتى صرنا نحن المزعومين:

كنَّا نقول في ذلك الوقت عن إسرائيل إذا ذكرناها في الخطب أو في الإذاعات، لم يكن هناك تليفزيون في ذلك الوقت، كنا نقول: إسرائيل المزعومة. نقولها بألسنتنا، ونكتبها في الصحف بين قوسين (المزعومة)، وظللنا على هذا عدَّة سنوات، وهذه المزعومة تركل هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، وتتحدَّى الجميع، ولا نملك إلَّا الشجب والاستنكار، والشكوى إلى مجلس الأمن وإلى الأمم المتحدة، وهذه الدويلة المزعومة لا تبالي بنا، فبعد مدَّة خجلنا وحذفنا كلمة (المزعومة) من الألسنة ومن الصحف، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين! هم لم يعودوا مزعومين، أصبحوا حقيقة على الأرض تتحدَّى، أصبحنا نحن المزعومين في أرضنا.

هذه الدولة الَّتي غُرست شوكة في جنوبنا، بل في قلوبنا، في صرة أرضنا، في قلب ديارنا، وقفنا نحن أمَّة العرب وأمَّة الإسلام لا نستطيع أن نفعل شيئًا حيالها، تركنا إخوتنا في فلسطين يقفون وحدهم من أوَّل الأمر.

كان اليهود في أنحاء العالم يقفون مع العصابات الصهيونيَّة، مع الوكالة اليهوديَّة، مع المخططين لقيام الدولة، وكنَّا في غفلة لاهين، وفي غمرة ساهين، لا يعرفون ما يُبيَّت لهم، وما يُخطَّط لأمَّتهم.

استعمار عنصري إحلالي:

هكذا واجهنا هذا الاستعمار العنصري، إنَّ الكيان الصهيوني ليس إلَّا استعمارًا جديدًا، ولكنَّه ليس ككل استعمار، إنَّه استعمار عنصري يقوم على العنصريَّة البغيضة، أنَّه شعب الله المختار، وأنَّ العالم كله

QaradawiBooks.com

يجب أن يكون في خدمته، وأنَّ النَّاس جميعًا أحطُّ من البهائم وأذلُّ من الكلاب، وأنَّ من حقِّهم أن يستبيحوا دماءهم وأموالهم، كما حكى القرآن عنهم من قديم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]. انتفت الأخلاق والعنصر الأخلاقي من سلوكهم، وغذَّته أحلام التوراة وتعاليم التلمود.

وغذَّاهُ تلك العصابات وزعماؤهم المغامرون والمجازفون، من أمثال بيجن، وهؤلاء الَّذين حكموا ويحكمون إسرائيل، كانوا كلهم من زعماء العصابات الإجراميَّة، وقال بيجن في كتابه (الثورة أو التمرد): أنا أحارب؛ إذنْ أنا موجود. هكذا علَّموا أنفسهم الحرب، الشعب الجبان الَّذي قال فيه القرآن: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، وقال: ﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]. استطاع أن يُخرِّج أجيالًا تتمرد على الجبن، وتستعد للقتال، وخصوصًا أنَّها تقاتل في أرض لا تجد فيها جنودًا، وكما قال الشاعر:

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلب الطعنَ وَحْدَه والنِّزالَا[1]

هم في أرض خالية.

وقف إخواننا في فلسطين ضدَّ هذا الاستعمار العنصري، الاستعمار الظالم الغاصب القاسي الَّذي تميَّز بالعنف والقسوة، سمَّت التوراة الشعب الإسرائيلي: الشعب الغليظ الرقبة[2]. وقال القرآن: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقال في آية أخرى يخاطبهم:

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري (١٤٣/٣)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) سفر الخروج (٩/٣٢)

QaradawiBooks.com

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. وقد رأينا هذه القسوة في مجازر بشريَّة معروفة، من دير ياسين، إلى صبرا وشاتيلا، كانوا يبقرون بطون النساء الحوامل، ويُخرجون الأجنَّة من بطونها ويتضاحكون على هذا، فعلوا هذه الأفاعيل، فهو استعمار ظالم قاسٍ.

وهو استعمار إحلالي، كان الاستعمار في فرنسا استعمارًا استيطانيًّا، ولكنَّه لم يكن يطرد أهل البلاد ليحلَّ محلهم، كان يشاركهم في ديارهم، أمَّا هذا فهو استعمار إحلالي، يُخرج أهل البلاد من ديارهم ليحل محلهم، هذا ما فعله هذا الاستعمار الصهيوني، شرَّد الفلسطينيين من ديارهم بغير حق إلَّا أن يقولوا: ربنا الله. أرهبهم وفعل بهم الأفاعيل ليتركوا الديار، ثمَّ احتلَّ ديارهم ومنازلهم، وشُرِّد الملايين من أبناء فلسطين في أنحاء الأرض.

تغير موازين المعركة وفلسفة المواجهة:

لقد ظلت المعركة مستمرة بين العرب والمسلمين من ناحية، واليهود والصهاينة من ناحية أخرى، وكانت المعركة في أوَّل الأمر تدور على أنَّ الوجود الصهيوني وجود عدواني ظالم، لا بقاء له في هذه المنطقة، يجب أن يزول منها.

ثم حدثت معركة الخامس من يونيو أو حزيران سنة ١٩٦٧م. فتغيَّرت الموازين، وتغيَّرت الفلسفة، وتغيَّرت السياسة، وأصبح قادة العرب الَّذين قالوا: سنؤدِّب إسرائيل ومن وراء إسرائيل، وسنُلقي بالصهاينة في البحر. أصبحوا يقولون: إنَّ علينا أن نزيل آثار العدوان. أي عدوان ١٩٦٧م، لم يعد إزالة الكيان الظالم من جذوره، واقتلاعه من أساسه، لا، بل أصبح

QaradawiBooks.com

كل همِّ السياسة العربيَّة هو إزالة العدوان، كأنَّ عدوان ١٩٦٧م. أضفى الشرعيَّة والقانونيَّة على عدوان ١٩٤٨م. أصبح العدوان القديم الآن مشروعًا، ما أخذه الصهاينة سنة ١٩٤٨م. أصبح الآن أمرًا مشروعًا ومقبولًا، وأصبح كل عملنا أن نعود إلى ما كنَّا عليه في ٤ يونيو ١٩٦٧م.

ومع هذا فلم تنجح هذه السياسة، لم نصل إلى ما كنا عليه قبل سنة ١٩٦٧م. لأن الأمَّة وهنت، أصابها الضعف، أصبحت كثرة كغثاء السيل، أصبحت تحب الدُّنْيا وتكره الموت، وهذا هو الوهن الَّذي يصيب الأمم، فتركت الأمَّة الجهاد لتلعب في ميدان السياسة، ومشوا وراء سراب السلام، أو سلام السراب الَّذي يحسبه الظمآن ماءً، حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا!

المفاوضات العبثية ومحاولة وأد الانتفاضات:

ذهبوا إلى مدريد، وذهبوا إلى أوسلو، وإلى ما بعد أوسلو، اتفاقية بعد اتفاقية، وفي مكان بعد مكان، وكلها لم تُجْدِ فتيلًا، ولم تُغْنِ شيئًا، وظللنا كالحمار في الطاحون، أو الثور في الساقية، يمضي معصوب العينين، ويدور ويدور، ويلف ويتحرك، والمكان الَّذي انتهى إليه هو الَّذي ابتدأ منه، لا زلنا (محلك سر) كما يقولون؛ ماذا حقَّقت مفاوضات السلام؟ ماذا حقَّقت مدريد؟ وماذا حقَّقت أوسلو؟ وماذا حقَّق ما بعد أوسلو؟ لم نجنِ من ورائها ثمرة.

وكلما قامت انتفاضة، كلما انتفض الشعب الفلسطيني جاءت السياسة لتجهض الانتفاضة، لتئد الانتفاضة، الانتفاضة القديمة الأولى المباركة، انتفاضة أطفال الحجارة ١٩٨٧م. ثورة المساجد الَّتي انطلقت من مساجد غزة: راياتها المصاحف، وشعارها: لا إلٰه إلَّا الله، والله أكبر، ونشيد

QaradawiBooks.com

أطفالها: خيبـــر خيبر يا يهود، جيش مُحَمَّد ســـوف يعود. هذه الانتفاضة أُجهِضت ووئدت.

وقامت الانتفاضة الثانية، الانتفاضة المباركة الَّتي لا تزال إلى اليوم تُقدِّم الضحايـــا وراء الضحايا، والشـــهداء تلو الشـــهداء، تقـــدِّم الدماء والأرواح كل يوم، هذه الانتفاضة لا نرى التجاوب معها كما ينبغي.

تجاوب النَّاس مـــع الانتفاضة في كل الأقطار العربيَّة والإســـلاميَّة، لا أقول: من المحيط إلـــى الخليج. ولكن من المحيط إلى المحيط، من جاكرتـــا إلى الـــدار البيضاء، مـــن كوالالمبـــور إلى نواكشـــوط، العالم الإســـلامي كله تجاوب مع هذه الانتفاضة، خرجنا هنا من هذا المسجد في مســـيرة هائلة، وخرج النَّاس في عمان وفي الكويت وفي مصر وفي غيرها، ثمَّ على عادتنا: ســـكن المتحرك، وســـكت الناطق، واستخْذى الجميع، وقابلوا الأمر ببرود غريب، وبصمت كصمت القبور.

أهمية دعم صمود أهل فلسطين:

ما هـــذا يا أمَّة الإســـلام؟ ما هذا يا قومنـــا؟ أندَع إخواننـــا يموتون ويُذبَّحون ويُقتَّلون ويُشـــرَّدون وتُهدَّم بيوتهم ويُقتل نســـاؤهم وأطفالهم وشـــيوخهم، ونحن لا نصنع شـــيئًا، ولا نُحرِّك ســـاكنًا؟ نقول: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. أهذا كل ما نملكه؟

لماذا لا تتحرَّك هذه الأمَّـــة؟ ثلاثمائة مليون من العرب وراءهم ألف مليون من المسلمين لو صرخوا صرخة واحدة، وقالوا: لا، لا يا أمريكا، لا يا صهيون. لأســـمعوا العالم، ولكنا نتكلَّم بصـــوت هامس، بصوت خافت، والهمـــس ينيم اليقظان، أمَّـــا الصيحة والصـــراخ فتوقظ النائم،

QaradawiBooks.com

وتُحرِّك الساكن؛ فلماذا لا نصرخ؟ لماذا لا نصيح بأعلى أصواتنا؟ لماذا لا تتحرَّك هذه الأمَّة؟ ما الَّذي أسكت الناس؟! أتعجب من هذا! ماذا وراء هذا؟!

التعتيم الإعلامي على الانتفاضة:

إنَّ كيسنجر سُئل في الانتفاضة الماضية: ماذا نفعل أمام هذه الانتفاضة الَّتي تتزايد وتتكاثر، وتتفاقم ويعلو صوتها يومًا بعد يوم، ويتجاوب النَّاس معها في المشارق والمغارب؛ هل عندك حلٌّ لهذا؟ قال لهم: نعم، عندي حل واحد: عتِّموا عليها إعلاميًّا. فبعد أن كانت الصور تظهر في التليفزيونات، اليهود يُكسِّرون العظام ويقتلون النَّاس، ويضربون ويُهدِّمون؛ فتُحرِّك هذه الصور العالم: بدأت هذه الصور تختفي شيئًا فشيئًا، فلم تعد الأخبار تُحرِّك الناس؛ لأنَّها لم تعد تظهر بقوة كما كانت.

ويبدو أن هناك نصائح من الصديق الأمريكي، فلأمريكا أصدقاء كثر في أوطاننا العربيَّة والإسلاميَّة، هناك نصائح تسمَّى في عرف السياسة (النصائح الملزمة)، تنصح أمريكا بالتخفيف، تخفيف الأمر وتخفيف اللهجة، وتخفيف الشدة في عرض هذه الأمور، وكأن الجميع انتصحوا واستجابوا.

الشعوب لا تخضع كما يخضع القادة:

ولكن الشعوب لا تخضع لنصائح أمريكا، ولا تخضع إلَّا لله ﷻ، يجب أن تنطق الشعوب بلسان قويٍّ مبين: أنَّها تقف مع هؤلاء الإخوة والأخوات، والأبناء والبنات، إنَّ صورة مقتل الشهيد مُحَمَّد الدُّرَّة أثارت العالم العربي والعالم الإسلامي كله، لماذا لم تُثر صورة الرضيعة إيمان حجو الَّتي قُتلت في مهدها، ولا زالت ترضع من ثدي أمها، لماذا لم تُثر

QaradawiBooks.com

هذه الصورة العرب والمسلمين، والأحرار والشرفاء في هذه الدنيا؟! ما الَّذي يجري أيُّها الإخوة؟ ماذا يُراد بنا؟ وماذا يُراد لنا؟

لقد أصدرنا بيانًا وقَّع عليه نحو مائتين وخمسين شخصية عربية وإسلاميَّة، ننادي النَّاس أن يجعلوا يوم الثلاثاء القادم الخامس من أيار أو من مايو يوم غضب عام، نُعبِّر فيه عن غضبتنا لإخواننا، عن غضبتنا لقضيَّتنا الأولى والكبرى، عن غضبتنا لمسجدنا الأقصى، عن غضبتنا على هذا السفَّاح الجزَّار المسمَّى (شارون) الَّذي يتحدى ويستفز، ويضرب ويقتل في الجميع: سلطة، وشعبًا، ومعارضة، ومع هذا نرى الكل يخطب وُدَّه، ويسعى للتفاعل معه والتفاوض معه؛ أمَّا كفاكم مفاوضات يا قوم؟ إلى متى تفاوضون؟ وإلى متى تركضون وتلهثون وراء هذا الوهم؟

على أمَّتنا أن تظهر الغضب في يوم الخامس عشر من أيار القادم بأيِّ وسيلة، مَنْ استطاع أن يسير في مسيرة فليسر، مَنْ استطاع أن يُضْرب فليُضرب، مَنْ استطاع أن يتكلم فليتكلم، مَنْ استطاع أن يقنت في صلاته ضد الظالمين فليقنت، أطالب الأئمة في المساجد: أن يقنتوا في صلواتهم ذلك اليوم، أن يصلوا صلاة الغائب على الشهداء، مَنْ استطاع أن يبعث ببرقية إلى مجلس الأمن، إلى كوفي عنان، أو إلى أمين الجامعة العربيَّة، أو إلى القادة والزعماء فليفعل.

نريد أن نتحرَّك ونُحرِّك الأمَّة، عار على هذه الأمَّة أن تستسلم لهذا العار والشنار، أن تستسلم لهذا الإجرام، فالذي يحدث لا نظير له، في كل يوم نسمع الأخبار، ونشاهد الأخبار، ونشاهد المجازر والضحايا والشهداء يُدفنون ويُشيَّعون يومًا بعد يوم.

QaradawiBooks.com

حقوق الشعب الفلسطيني:

إنَّنا نحيِّي الشعب الفلسطيني الَّذي يقاوم، رغم هذه الضحايا وهؤلاء الشهداء ولم يستسلم، نحيِّي هذا الشعب الَّذي رفض الخضوع والركوع إلَّا لله وحده، نحيِّي هؤلاء الأطفال والشباب والشيوخ والنساء، والأمَّهات اللاتي يستقبلن الشهداء بالزغاريد، ولو كانوا من أولادهن وفلذات أكبادهن لأنهنَّ يعلمن أنَّ الشهداء أحياء عند الله، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ولكن لهذا الشعب حقًّا علينا، أن نشدَّ أزره، ونقف بجانبه، ونسانده بما نستطيع، نسانده بالأنفس لو وجدنا سبيلًا بالأنفس، لو فُتح باب الجهاد، ولماذا لا يُفتح باب الجهاد؟ أعجب متى يُفتح باب الجهاد إن لم يُفتح اليوم؟ نساند هذا الشعب بالنفس، بالدم، ونسانده بالمال، وليس تبرعًا كما يقال. بل هو جهاد بالمال، هم يجاهدون بالنفس ونحن نجاهد بالمال، ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

نطالب العرب والمسلمين: أن يقاطعوا البضائع الصهيونيَّة والبضائع الأمريكيَّة، فقد نادينا بذلك منذ زمن، واستجاب النَّاس وتجاوبوا، ولكن رأينا الأمور تسترخي؛ ما الَّذي يجعل النَّاس يسترخون، والمعركة حامية الوطيس، مُشتعلة الأوار، ملتهبة متأجِّجة، ما الَّذي يجعل النَّاس يستنيمون؟ لا داعي للاستنامة أو الاستغراق في النوم، المعركة جديرة بأن تنبه الغافلين، وتُحرِّك الساكنين، وتوقظ النائمين، وتجمع المشتتين.

QaradawiBooks.com

يا أيُّها الإخـــوة، إنَّ علينـــا واجبًا نحو إخواننا، بـــل هو واجب نحو أنفســـنا، إنَّ الكيـــان الصهيوني الإســـرائيلي ليس خطرًا على فلســـطين وحدها، إنَّه خطر على العرب جميعًا، وعلى المسلمين جميعًا، حتَّى على المســـلمين أنفســـهم، فإنهم لا يقبلون أن تقوم دولة قوية مثل إيران، أو دولة تملك القنبلة النوويَّة مثل باكســـتان، بل هم وراء ما يجري من فتن في إندونيســـيا، أنَّهم شر على العرب والمســـلمين جميعًا، فنحن حينما نقاتلهم ـ أينمـــا كنا ـ ندافع عن كياننا، عن أنفســـنا، عن أمَّتنا، هم خطر على الأمَّة الإسلاميَّة، ولذلك قال القائلون: إنَّ الصراع بيننا وبينهم ليس صراع حـــدود، ولكنَّه صراع وجود. وجود للعرب وللمســـلمين، فهؤلاء لا يرضوا أن يبقى هناك وجود عربي أو إســـلامي قوي، أنَّهم يبنون على أنقاضنا، أنَّهم يحيون على إماتتنا، أنَّهم يتوسَّعون على أساس انكماشنا.

خطورة الكيان الصهيوني على الأمة:

إنَّ هؤلاء الصهاينة خطر، خطر سياســـي، وخطر عســـكري، وخطر اقتصادي، وخطر ثقافي، وخطر اجتماعي، وخطر ديني، خطر على الأمَّة كلِّها، وعلى الأمَّة كلها أن تقف ضد هؤلاء، على الأمَّة كلها أن تتكتَّل في هذه المعركـــة، تطالب الحـــكام أن يقاطعوا هـــذا الكيـــان الصهيوني، ولا يقيموا معه أي صلة، تطالبهم أن يُفعِّلوا المقاطعة الرسميَّة العربيَّة، أن يُعاد مكتب المقاطعة، إلى متى يتأخر هذا؟

نريد أن يشتبك الكل في معركة واحدة، الحكام والمحكومون، الرعاة والرعية، القادة والجماهيـــر، فالمعركة معركة الجميـــع، إنَّها معركة الأمَّة العربيَّة والأمَّة الإسلاميَّة، علينا أن نقف صفًّا واحدًا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

QaradawiBooks.com

عند المعركة يقف الجميع صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص، والبنيان المرصوص يستوجب التلاصق والتلاحم والانتظام، بحيث لا تكون هناك ثغرة، ولا يكون هناك خلل بين الصفوف بعضها وبعض: ينفذ منها العدو إلى داخلنا؛ فيفسد ما بيننا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة:

زيارة بابا الكنيسة الكاثوليكية سوريا:

في هذا الأسبوع زار بابا الكنيسة الكاثوليكية القديس الأكبر: يوحنا بولس الثاني دمشق، وزار المسجد الأموي في دمشق، كما زار من قبل فلسطين، وكما زار مصر، وكما زار المغرب، وكما زار إندونيسيا، وكما زار كثيرًا من بلاد المسلمين، ورحَّب به المسلمون.

ولا مانع من أن يتزاور أهل الأديان بعضهم مع بعض، إذا صدقت النيَّات، وحُددت الأهداف، وعُرفت الحقوق والواجبات، إنَّ الرسول ﷺ استقبل نصارى نجران في مسجده، فلا بأس أن يستقبل أهل دمشق، ومفتي دمشق البابا يوحنا في مسجد دمشق الأكبر.

ولكن كنا نتوقع من البابا أن يقول كلمة يعتذر بها للمسلمين، كما اعتذر لليهود في زيارته الماضية إلى فلسطين عما اقترفته الكنيسة تاريخيًّا في حقهم، مع أنَّ اليهود هم المتهمون بالتآمر على المسيح تاريخيًّا، ولكن تجاوزت الكنيسة ذلك، واعتذرت هي لليهود عما جرى ـ وخصوصًا في أوروبا ـ من المَسِيحيِّين ضدَّ اليهود، وفي هذه الزيارة اعتذر البابا للنصارى الأرثوذكس عمَّا ارتكبته الكنيسة معهم.

وكنا نود من البابا، وقد كان على بعد خطوات من قبر صلاح الدين الأيوبي، الَّذي تعامل مع المَسِيحيِّين بسماحة منقطعة النظير، ولم يعاملهم بمثل ما عملوه حينما دخلوا القدس وسفكوا الدماء، وغاص

QaradawiBooks.com

النَّاس في الدماء إلى الركب، وقُتل آلاف وعشـــرات الآلاف، كنا نودُّ أن يقول كلمة يعتذر فيها لأمة المســـلمين عما اقترفته الكنيسة تاريخيًّا في حقهم، وخصوصًا في الحـــروب الصليبيَّة، والحمـــلات الصليبيَّة، الَّتي قادها قديســـون وآباء، ومنهم الملك القديس لويس التاسع ملك فرنسا، الَّذي أُسر في دار ابن لقمان بالمنصورة في مصر، كنا نود أن يقول البابا ذلك، ولكنَّه لم يقل، ولعله يقول هذا في مناسبة أخرى.

نسأل الله تعالى أن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والنفوس على المحبة، والعزائم على عمل الخير وخير العمل، اللهم أيِّد إخوتنـــا المجاهدين بروح من لدنك، واحرســـهم بعينـــك الَّتي لا تنام، واكلأهم فـــي كنفك الَّـــذي لا يُضام، اللهـــم عليك باليهـــود المعتدين الغادرين، اللهم نكِّس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، واجعل الدائرة عليهم، وسُق الوبال إليهم، وخذهم ومَنْ ناصرهم أو عاونهم أو وادَّهم أخْذَ عزيز مقتدر، اللهم آمين.

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

١٥

انتفاضة الأقصى المباركة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كنت أريد أن أحدثكم عن الموضوع الَّذي بدأناه منذ أسابيع (أمتنا في هذا القرن الجديد)، في هذه الألفية الثالثة كما يسمونها، ولكن نفسي لم تطاوعني، وعقلي لم يستجب لي، فهناك موضوع يلح عليَّ، ويفرض عليَّ نفسه أن أتحدث فيه ولا أغادره إلى غيره، إنَّه موضوع الساعة، وموضوع اليوم، وموضوع الأسبوع، وموضوع الشهر، وموضوع السنة، وموضوع العقد، وموضوع القرن، إنَّه موضوع الأمس واليوم والغد، إنَّه موضوع الأقصى والقدس وفلسطين وأرض النبوَّات والمقدَّسات، إنَّه موضوع الانتفاضة، انتفاضة الأقصى المباركة الَّتي فرضت نفسها على الساحة، وأصبحت تقدِّم الشهداء تلو الشهداء، والضحايا وراء الضحايا كل يوم.

الوفاء لدماء الشهداء:

لهذا كان من الوفاء لهذه الدماء الَّتي تُراق، ولهذه الأرواح الَّتي تُزهق، ولهؤلاء الشهداء الَّذين يُشيَّعون كل يوم، ولهؤلاء الجرحى الَّذين

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٨ مايو ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

غصَّت بهم المستشـفيات، من حقِّ هؤلاء أن يكون حديثنا اليوم عنهم، وعن انتفاضتهم، وعن واجبنا نحوهم، هذا ما يفرضه عليَّ الواقع.

قال صاحبي: وماذا تفيد خطبة من الخطـب؟ وهل توقظ النائمين؟ هل تنبِّه الغافلين؟ هل تحرك الساكنين؟ هل تُسمع مَنْ في القبور؟

لقد أسـمعتَ لـو ناديـتَ حيًّا ولكـن لا حيـاة لمن تنـادي[1]

هكذا قال مَنْ قال.

علينا أن نبلغ ونذكِّر:

ولكنِّي أقول: إنَّ علينـا أن نُبلِّغ ونُذكِّـر، وعلينا أن نُوقـظ ونُنوِّر، والذكرى تنفع المؤمنين، وتُخرس المُخذِّلين، وتُبطل أعذار المتقاعسين؛ عسى أن يستيقظ نائم، أو يتحرك ساكن، أو يتنبَّه غافل!

أريد أن أُعبِّر عمَّا في نفسي، أريد أن أصرخ، أريد أن أبكي على هذه الأمَّة، دعوني أعبِّر عن حزنـي المكتوم، عن ألمـي المكظوم، دعوني أنفِّس عمَّا في صدري المكلوم، ممَّا أراه من هذه الأمَّة من تقاعس، وممَّا أراه من قيادتها ممَّا هو أكثر من التقاعس، ممَّا يكاد يشبه الخيانة أو هي هي، دعونـي أُعبِّر عما في نفسـي، دعونـي أُصعِّد العبـرات، وأذرف العبرات، دعوني تذهب نفسي حسرات، دعوني أُنشد مع الشاعر:

ولي كبـدٌ مَقْرُوحَةٌ مَـنْ يَبِيعُني بها كبدًا ليسـت بـذاتِ قُرُوحِ؟
أباها علـيَّ النَّاس لا يشـترونها ومَنْ يشـتري ذا علَّة بصحيحِ[2]

---

(١) من شـعر كُثَيِّر عزَّة، انظر: معجم البلدان (٤٢٩/٥)، وقد نُسب لعبد الرحمن بن الحكم في الأغاني (٨٢/١٥)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) ديوان ابن الدمينة رواية الزبير بن بكار عن أبي مسلمة صنعة ثعلب صـ٢٧.

QaradawiBooks.com

إنِّي أريد أن أُعبِّر عمَّا في نفسي، فمن حقِّ المكلوم أن يبكي، ومن حقِّ المظلوم أن يشكو.

شكوتُ وما الشكوى لمثلي عادة ولكن تفيضُ الكأسُ عند امتلائها[١]

من حق القِدْر إذا غلا واشتد غليانه أن تفتح له فتحة ليُنفِّس، وإلا انفجر وتكسَّر، من حقنا ـ أيُّها الإخوة ـ أن نبكي وأن نشكو؛ وماذا نملك غير الدموع؟ وماذا نملك غير الشكوى؟

بل إنِّي أحيانًا أبحث عن الدموع، فلا أجدها، تستعصي عليَّ دموعي، أريد بالدموع أن أخفِّف عمَّا في صدري، أريد أن أخفِّف ما في هذا الصدر من حرقة وحرارة، وما في هذا القلب من جرح ومرارة، ولكن كثيرًا ما تخذلني دموعي، خذلتني دموعي كما خذلتني أمَّتي.

الواجب على أمة الإسلام:

ماذا نصنع ـ أيُّها الإخوة ـ ونحن نرى ما نرى؟ ولكن الأمَّة لا تتحرك، الأمَّة نائمة على آذانها، مستغرقة في نومها؛ ما الَّذي جرى لهذه الأمَّة؟ الَّذي نراه تنفطر له الأكباد، وينقطع له نياط الفؤاد.

كان الواجب على الأمَّة أن تتجاوب مع هذه الانتفاضة، وأن تمدها بالنفس والمال، وأن تقف بجوارها بكل قوَّة؛ فـ«**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا**»[٢]، و«**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء**

(١) شرح ديوان أبي تمام للتبريزي (٤٢٣/٢)، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

بالحمى والسهر»[١]، إنَّها وحدة عضويَّة بين أبناء هذه الأمة في مشارق الأرض ومغاربها.

إنَّ الفقهاء ذكروا في كتبهم: لو أنَّ امرأة سُبيت بالمشرق، وعجز أهل المشرق أن يحرروها من أسرها؛ لوجب على أهل المغرب أن يحرروها[٢]، لا فرق بين مشرق ومغرب.

وقال الإمام مالك: على المسلمين أن يفكوا أسراهم ويفدوهم، ولو استغرق ذلك جميع أموالهم[٣]. فكيف والأمَّة كلها أسيرة؟

وعمر بن عبد العزيز بلغه أنَّ رجلًا مسلمًا استُذلَّ في بلاد الروم، فكتب إلى ملك الروم يهدِّده ويتوعَّده، ويقول: إذا بلغك كتابي هذا؛ فأطلق سراح هذا الإنسان، وإلا غزوتك بجنود أولها عندك وآخرها عندي[٤].

أين الأمَّة اليوم ممَّا يجري؟ لماذا لم تُعبِّر الأمَّة عن نفسها؟ إنَّ هناك بعض من أراد أن يُعبِّر عن نفسه، ولكن للأسف حيل بينه وبين التعبير، لقد ساءتني تلك المشاهد الدامية الَّتي رأيتها في الجمعة الماضية في عمَّان، خرجت مسيرة سلميَّة يقودها أحرار شرفاء، من رموز الوطن الأردني، ولكنها هوجمت بقسوة، وعوملت بعنف من قِبَل قوات الأمن، الضرب بالهراوات الغليظة، وإطلاق الكلاب عليها، والغاز المسيِّل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين (١٢٦/٤)، نشر دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣) تفسير القرطبي (٢٤٢/٢)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ١٤٨، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

للدموع؛ حتَّى كُسرت عظام، وحدثت جراح لأناس كبار؛ ما هذا؟! لماذا لا تُترك الأمَّة تُعبِّر عن نفسها؟

يوم الغضب العربي والإسلامي:

لقد دعونا في بيان وقَّعت عليه مائتان وخمسون شخصية عربية وإسلاميَّة، دعونا الأمَّة إلى أن تُعبِّر عن نفسها في يوم الخامس عشر من مايو الجاري، يوم قيام الكيان الصهيوني، يوم الغضب العربي والإسلامي، وحدثت تعبيرات هنا وهناك في بعض البلاد العربيَّة، ولكنا كنا نتوقع أن يشتعل الشارع العربي والإسلامي نارًا، وأن يُبلغ هذا الشارع صوته إلى العالم مُدويًّا قويًّا، ولكن مشكلتنا أنَّنا نُكمِّم الأفواه في عالمنا العربي والإسلامي، مشكلة الحريَّات، لا يستطيع النَّاس أن يتحركوا كما يريدون، وإلا عوملوا كما عومل إخوانهم في عمَّان، وعمَّان ألصق الأراضي بقضيَّة فلسطين.

قصيدة الشاعر عمر أبو ريشة:

رحم الله الشاعر العربي السوري الكبير عمر أبا ريشة، الَّذي أنشأ قصيدة منذ أكثر من نصف قرن، يشكو فيها حال الأمَّة، يشكو فيها وهن الأمَّة وهوانها، وغيبة وعيها، وضياع قضاياها، وتفريط زعمائها، ما أجدرنا أن نحفظ هذه القصيدة، ونُحفِّظها لأبنائنا، ونقرِّرها عليهم في النصوص في المدارس، يقول في هذه القصيدة:

أمَّتي هل لكِ بين الأُمَمِ ... مِنْبَرٌ للسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ؟
أمَّتي كم صنمٍ مجَّدتِه ... لم يكن يملك طُهْرَ الصنمِ!
لا يُلامُ الذِّئبُ في عُدْوَانِهِ ... إن يكُ الرَّاعي عدوَّ الغنمِ[1]

(١) ديوان عمر أبو ريشة (١/٧ ـ ١١)، قصيدة: بعد النكبة، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٩٨.

QaradawiBooks.com

المفروض أنَّ الراعي هو الَّذي يحمي الغنم، فإذا كان هو عدو الغنم فمن يحميها؟ أخذ هذا من قول الشاعر القديم:

وراعي الشاةِ يَحْمِي الذِّئْبَ عنها فكيـف إذا الرُّعاة لهـا ذئابُ[1]؟

ثم يتحدَّث عن القادة والزعماء وهوانهم على أنفسـهم وعلى أُمَّتهم وعلى العالم من حولهم، فيقول:

رُبَّ وَامُعْتَصِمَـاه انطَلَقَـتْ مـلءَ أفـواهِ الصَّبَايَـا اليُتَّـمِ
لامسـتْ أسـماعَـهُـمْ لكنَّها لـم تلامـسْ نخـوةَ المُعْتَصِمِ[2]

وامعتصماه قالتها امـرأة لُطِمت على خدِّها في بـلاد بعيدة فقالت: وامعتصماه. تسـتغيث بالخليفة، وبلغ الخليفة على طول المسافة بينها وبين هذه الحادثة، فقال: لبيك أختـاه. وجيَّش الجيوش، وكانت معركة من معارك التاريخ الحاسـمة، معركة عموريَّة الَّتي عبَّر عنها أبو تمَّام في قصيدته الشهيرة:

السـيفُ أصدقُ إنْبَاء من الكُتُبِ في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ[3]

ماذا يقول عمر أبو ريشـة فينا وفي أمَّتنا اليوم، وفـي مواقف الأمَّة الآن، وهي تخذل الانتفاضة، وتتـرك الانتفاضة تلاقي مصيرها وحدها؟ أهذه هي الأخوة العربيَّة والإسلاميَّة؟ أنحن أمَّة واحدة؟ أنحن أصحاب مصير واحد؟

---

(١) ذكره الدميري ولم ينسبه في حياة الحيوان الكبرى (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

(٢) جزء من قصيدته السابقة.

(٣) ديوان أبي تمام (٤٠/١)، من بائيته الشـهيرة التي قالها في فتح عَمُّوريَّة، تحقيق محمد عبده عزام، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٥.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ للأمة أن تقف وقفة رجل واحد:

إنَّ إسرائيل ليست خطرًا على فلسطين وحدها كما قلت لكم في الأسبوع الماضي، إسرائيل خطر على المنطقة كلها، على العرب جميعًا، على المسلمين كافة، خطر عسكري، وخطر اقتصادي، وخطر سياسي، وخطر ثقافي، وخطر ديني.

لا بد للأمَّة كل الأمَّة أن تقف وقفة رجل واحد لصدِّ هذا العدوان، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، القتال كُتب علينا، نحن لم نبدأ المعركة، نحن الَّذين غُزينا في عقر دارنا، نحن الَّذين شُتِّتنا من منازلنا وأوطاننا، غزانا الدخلاء الغرباء عنا، احتلوا أرضنا، وأخذوا ديارنا، وأزالوا أملاكنا، وأصبحت الأرض أرضهم، والديار ديارهم، وشُتتنا نحن في أنحاء العالم.

من حقِّنا أن نقاتل، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٣ ـ ١٥].

ولكن مَنْ الَّذي يقاتلهم؟ يجب أن يقاتلهم العرب والمسلمون جميعًا، نحن لا نقاتل الكيان الصهيوني وحده، نقاتل يهود العالم الَّذين يؤيِّدونهم، ونقاتل معهم الولايات المتحدة الأمريكيَّة الَّتي تشدُّ أزرهم، وتسند ظهرهم، وتقف معهم بقوتها العَسكريَّة، وقوتها الاقتصاديَّة، وقوتها السياسيَّة، وقوتها العلمية والتكنولوجية، بالسلاح الأمريكي،

QaradawiBooks.com

والمال الأمريكي، والفيتو الأمريكي: تعيث إسرائيل في الأرض فسادًا، وتعربد وتصول وتجول هنا وهناك.

ومع هذا لا زلنا نخطب ود أمريكا، ونعتبر أمريكا صديقة العرب، صديقة الحكومات العربيَّة، والقادة العرب يربتون على أكتافها، ويعاملونها بكل أدب جم، وبكل لطف أتم، لا يريدون أن يكدِّروا صفو العلاقات معها بأدنى كلمة تجرح مشاعرها، أو تكدِّر خاطرها، حتَّى في القمم العربيَّة والإسلاميَّة لم يوجِّهوا كلمة نقد واحدة إليها، وكان الكثيرون يعلقون الآمال والأماني والأحلام على العهد الجديد في أمريكا.

جميع الساسة الأمريكيين نسخة واحدة:

حينما نجح بوش الصغير طلبت مني صحيفة (الاتحاد) في الإمارات أن أوجِّه رسالة إلى بوش بعد نجاحه، فقد وجَّه عدد من كبار العلماء والمفكرين رسائل، قلت للأخ الَّذي طلب مني هذا: أنا لا يعنيني أن أوجِّه رسالة إلى بوش ولا غير بوش. قال: إنَّ العرب والمسلمين وقفوا معه حتَّى نجح ونحن ننتظر منه. قلت: أنا لا أعلق أملًا على هذا الرجل، أنا لا يهمني نجح الجمهوريون أم الديمقراطيون في أمريكا، ولا يهمني نجح العمل أو الليكود في إسرائيل، أنا عندي الجميع نسخة واحدة، السياسة ثابتة والوجوه تتغيَّر، فلا تشغلني بهذا الأمر.

وقد صدق ظني، ها نحن نسمع تصريحات بوش الصغير، تصريحاته العجيبة، وتعليقاته الغريبة فلا نملك إلَّا أن نتأسف على سلفه كلينتون، وكذلك نسمع تصريحات وتعليقات وزير خارجيته الجديد كولن باول الَّذي كان كثيرون يظنون أن مشاركته لنا في اللون تجعله مشاركًا لنا في الهمِّ؛ فإذا هذا الرجل يجعلنا نتأسف على نظيرته العجوز المتصابية

غير مرخصة للطباعة

مادلين أولبرايت، نترحَّم على عهدها بعد أن رأينا ما رأينا من هذا الباول، إنَّها سياسة واحدة!

غير مرخصة للطباعة

يجب أن نعول على ما بأيدينا:

لا ينبغي ـ أيُّها الإخوة ـ أن نعوِّل بعد الله إلَّا على أيدينا وسواعدنا، لا بدَّ أن ندافع عن حقِّنا بأيدينا، لا ننتظر من أحد أن يثأر لنا، أو يأتِ لنا بحقنا، هيهات هيهات، لا بدَّ لهذه الأمَّة أن تبذل جهدها، لا بدَّ أن تبذل النفس والنفيس، والغالي والرخيص، وقد قال شوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلِلحُرِّيَّـةِ الحَمْـرَاءِ بَـابٌ بـكُلِّ يَـدٍ مُضَرَّجَـةٍ يُـدَقُّ[1]

الحريَّة لا تنال إلَّا بالدماء، والقوَّة لا يقابلها إلَّا القوَّة، إنَّ الصهيونية تستخدم أعنف القوة، وأقسى القوَّة، وأشد القوَّة في محاربة أبناء فلسطين، الصدور العارية تقابل الدبابات، الحصى يقابل الرشاشات، إنَّها مواجهة اللحم والسكين. هذه هي الانتفاضة!

لقد أثبتت الانتفاضة رجولتها، وأثبتت أحقيَّتها في البقاء، وينبغي أن نكون وراءها، لا نعتمد على الراعي للسلام، الَّذي يتخلى عن السلام ويؤيد إسرائيل، حتَّى إنَّ الرئيس عرفات حينما قُتل خمسة من رجال أمنه، قتلتهم القوَّة الطاغية الباغية إسرائيل، إسرائيل تستخدم ما تستخدمه الدول من مروحيات ودبابات، ومع هذا تستخدم أسلوب العصابات، تستخدم الاغتيالات، لم تنسَ أنَّها كانت عصابات، تستخدم كل أسلوب، صرخ ياسر عرفات من هذا الأمر، وقال: إنَّ إسرائيل ستحاسَب على هذه الجريمة. فماذا كان من كولن باول الَّذي يشاركنا في اللون؟ قال: إنَّ هذه

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٧٧/٢).

QaradawiBooks.com

كلمات ليست مناسبة، وليست في مكانها ولا موضعها، وخصوصًا في وقت تحتفل فيه إسرائيل بذكرى تأسيسها. هذا الرجل لم يقل للظالم والضارب والقاتل: كُفَّ يديك. ولكنَّه قال للمظلوم والمضروب: لا تصرخ حتَّى لا تزعج ضاربك! ليس من حقِّك أن تصرخ، هذه أمريكا، وهذه سياسة أمريكا.

المقاومة هي السبيل الوحيد:

يا أيُّها الإخوة، ليس لنا بعد الله إلَّا أسلوب واحد، الأسلوب الَّذي اختارته المقاومة الإسلاميَّة: حماس، والجهاد الإسلامي، ومن سار في ركبهما من فصائل فتح والمعارضة. أسلوب المقاومة، أسلوب الجهاد، إعلان الجهاد في سبيل الله، ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، لا بدَّ لنا أن نجاهد، ولا نستبعد شيئًا أبدًا.

ليست إسرائيل بالإلٰه، وليست إسرائيل بالقوَّة الَّتي لا تُقهر، وبالشوكة الَّتي لا تُكسر، لا والله، لو صمَّمنا وعزمنا وخطَّطنا وتجمَّعنا وترابطنا نستطيع أن نفعل الكثير، وقد جرَّبنا ذلك في العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ. ونصرنا الله عليهم، ونستطيع أن ننتصر مرَّة ومرة، إن شاء الله.

نستطيع أن ننتصر على هؤلاء إذا كنَّا كتلة واحدة، إذا تناسينا ما بيننا من خلافات جزئيَّة، ومن معارك جانبيَّة، آن لهذه الأمَّة أن تنسى هذا، اليهود بينهم تناقضات هائلة، ولكنَّهم تجاهلوها وتناسوها، هناك يهود الشرق ويهود الغرب، ويهود العرب ويهود العجم، ويهود أوروبا ويهود غيرها، ويهود الفلاشا، وهناك العِلْمانيون، وهناك اللادينيون، وهناك الدينيون، والله تعالى يقول: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]. لماذا تغلَّبوا على تناقضاتهم، ولم نتغلَّب نحن على تناقضاتنا؟

QaradawiBooks.com

إنَّ أمَّة يبلغ العـــرب فيها نحو ثلاثمائة مليـــون، ووراءهم نحو ألف مليون من المسلمين، أمَّة بهذه الكثافة: تستطيع أن تفعل الكثير والكثير، ولكن نحتاج إلـــى القيادة، إلـــى مَنْ يقود هـــذه الأمَّة، إلى مَـــنْ يُفجر الطاقات، إلى مَنْ يقول: يا كتائب الله ســـيري، ويا ريح الجنَّة هُبِّي. هذه الأمَّة تحتاج إلى مَنْ يقودها.

نحتاج إلى الجهاد في سبيل الله، إلى المقاومة المستميتة والمستمرَّة، مهما تكن التضحيات، فالتضحيات تهون في سبيل الحصول على الحق، وفي سبيل العودة إلى الوطن، وفي سبيل تحقيق الحريَّة وتحقيق الذات، التضحيات تهون.

وإذا كان اليهود وهـــم أحرص النَّاس على حياة يجودون بأنفســـهم، وهم أبخـــل النَّاس بالمـــال يجودون بأموالهـــم؛ فما بالنـــا نحن العرب والمسلمين لا نجود بأنفسنا، ولا نجود بأموالنا، ولا نقف بجوار إخواننا؟

إنَّ الجهاد في سبيل الله فرض على الأمَّة كل الأمَّة: أن يشدَّ بعضها أزر بعض، وأن تقف صفًّا واحدًا كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ما زلنا نركض وراء السلام المزعوم:

العجب ـ أيُّها الإخوة ـ أنَّنا بعد هذه الجولات وراء الجولات لا زلنا نركض وراء الســـلام، ونلهث وراء الســـلام، ونرحِّب بالســـلام ومسيرة السلام، ونتباكى على السلام، وأين الســـلام هذا؟ كيف يتمُّ السلام بين ظالم ومظلوم؟ كيف يتمُّ الســـلام بين ذابح ومذبوح؟ كيف يتمُّ السلام بين قاتل ومقتول؟ أيُّ سلام هذا؟

QaradawiBooks.com

وأعجب من هذا مَـنْ يقول: إنَّ السـلام هو الخيار الاسـتراتيجي الوحيد. كأنَّنا نقـول لأعدائنا: اضربونا ونحن مسـالمون، اقتلونا ونحن مسالمون، اهدموا بيوتنا ونحن مسالمون، شرِّدوا أبناءنا ونحن مسالمون، انتهكوا أعراضنا واسـلبوا أرضنا ونحن مسـالمون. أهذا منطق يقول به عاقل؟ أهذا منطق يقول به مسـلم؟ لماذا لا نفتـح كل الخيارات، لماذا لا نقاتل مـن ناحية، ويفـاوض مَنْ يفـاوض من ناحية أخـرى؟ لماذا لا نفاوض ونحن أقوياء، ونحن نقف على أرض صُلبة؟

على أنَّنا جرَّبنا أسلوب المفاوضات من مدريد وأسلو، وواشنطن وواي ريفر، وشرم الشيخ وهذه الأشياء كلها؛ فلم نجدها أغنت فتيلًا، ولا أجْدت شيئًا، ولا حقَّقت أملًا، ولا قرَّبتنا شـبرًا واحدًا ممَّا نريد! ما تريده إسرائيل المغتصِبة العدوانيَّة الظالمة هو الَّذي ينفذ، إنَّها تريد سلامًا على هواها كما تمليه هي، أهذا منطق؟ ليس هذا منطقًا بحال من الأحوال.

إننا يجب أن نوقف هذه المهزلة، ونعتمد بعد الله تعالى على أنفسنا، وتتضـامّ السـلطة والمعارضـة والفصائل كلهـا، وتقف الأمـة العربيَّة والإسلاميَّة وراء إخوتنا في فلسـطين حتَّى نحقِّق ما نؤمِّله من خير لهذه الأمَّة، ونبطل أكذوبة هذا السفاح الذبَّاح الجزَّار شارون، الَّذي حدَّد مائة يوم لكي يقضي على الانتفاضة، ولن يُقضى على الانتفاضة إن شاء الله، لن تُجهض هذه الانتفاضة، ستستمر الانتفاضة وتتطوَّر، وتتوسَّع وتقوى، ويصلب عودها بإذن الله.

أربأ بأرض قطر أن ينجسها السفاح شارون:

وإنِّي لا يسعني إلَّا أن أخالف وزير خارجيَّة قطر، الَّذي دعا شارون إلى قطر ليلتقي عرفات على أرضها، إنِّي أربأ بأرض قطر أن تُنجَّس بقدم

QaradawiBooks.com

هذا السفاح الأكبر، هذا الجزَّار، أربأ بأرض قطر أن يُنجِّسها هذا الخنزير، بل الخنزير خير منه؛ الخنزير خبيث، ولكنَّه لا يؤذي ولا يقتل، وهذا السفَّاح يؤذي ويقتل ويدمِّر ولا يبالي بأحد، لا مرحبًا به في قطر، ولا أهلًا به في قطر.

لقد قلت منذ سنوات حينما جاء إلى قطر شمعون بيريز، بعد أن ارتكب مجزرة قانا الشهيرة في لبنان، قلت في ذلك الحين: إنَّ على مَنْ صافح بيريز أن يغسل يديه سبع مرات إحداهنَّ بالتراب. وأنا أقول مقدَّمًا لمن يصافح شارون السفَّاح الأكبر والذبَّاح الأعظم: إن مَنْ يصافحه عليه أن يغسل يديه سبعين مرَّة لا سبع مرات.

اللهم إنَّا نشكو إليك ضعف قوَّتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على النَّاس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربنا، إلى من تكلنا، إلى عدو يتجهَّمنا أم إلى بعيد ملَّكته أمرنا؟ إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، ولكن عافيتك أوسع لنا.

اللهمَّ إنَّا نشكو إليك دماء سُفكت، ونشكو إليك أعراضًا هُتكت، وحُرمات انتهكت، وأطفالًا يُتِّمت، ونساءً رُمِّلت، وأمَّهات ثُكِّلت، ومساجد خُرِّبت، وبيوتًا دُمِّرت، ومزارع أُتلفت، وقرًى أُزيلت بكاملها، نشكو إليك هذا يا منزل الكتاب، ويا مُجْري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزم هؤلاء الصهاينة الظالمين المعتدين، اللهمَّ اهزمهم وانصرنا عليهم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٦

فوز حماس في الانتخابات ومقتضياته(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

سُـنَّة التدافع والصراع بين الحق والباطل من سنن الله الثابتة، الَّتي لن تجد لهـا تبديلًا، ولن تجـد لها تحويـلًا: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

هذا التدافع وهذا الصراع بين الحـق والباطل قانون من قوانين الله في خلقه، وسـنَّة من سـنن الله في هذا الاجتماع البشـري، فكل خير يقاومه شر، وكل صلاح يقابله فسـاد، وكل حقٍّ يقف في سبيله باطل، الله الَّذي خلق آدم خلق مع إبليس، وخلق مع إبراهيم نمروذ، وخلق مع موسى فرعون، وخلق مع مُحَمَّد أبا جهل وأبا لهب، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقـان: ٣١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢١ أبريل ٢٠٠٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحياة قائمة على الابتلاء:

هذه سـنَّة الله، لأن هذه الحياة قائمة على الابتـلاء، وخصوصًا حياة الإنسان بصفة خاصة، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، فالإنسان في حياته يلاقي المكابدة؛ منذ يولد وإلى أن يموت، ولا سـيما إذا كان صاحب رسـالة، إذا كان يحمل رسـالة هداية للناس، والدعوة إلـى الحق، والدعوة إلـى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة العدل والإحسـان، وتحقيق العلم والإيمان؛ فلا بدَّ أن يتحمَّل أكثر من غيره، أصحاب الرسالات أكثر تعرضًا للبلاء والمحن والشدائد من غيرهم من الناس.

ولذلك حينما بعث الله رسـوله محمَّدًا ﷺ قال له من أوَّل ما أوحي إليه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]. فأعد نفسك لتحمل هذا العبء الثقيل وتبعاته، ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الروم: ٦٠، غافر: ٥٥، ٧٧]، ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

كان لا بدَّ لأصحاب الرسالات وحملة مصابيح الهداية الربَّانيَّة للنَّاس أن يعدوا أنفسـهم لتحمل البلاء، ومن هنا قـال الله للمؤمنين في العهد المكي؛ حينما ضـاق بعضهم بما نزل بهم مـن بلاء: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٥]. أي جهاد في ذلـك العهد؟ إنَّه جهاد الصبر، جهاد احتمال البلاء، جهاد احتمال المشـاقّ وإن طالت، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾.

QaradawiBooks.com

تعذيب المؤمنين في مكة:

كان النبي ﷺ متوسِّدًا رداءه في ظل الكعبة، وقد أسند ظهره إلى جدار الكعبة، فجاءه خباب بن الأرت، وكانت له سيدة تُعذِّبه وتكويه بالنار، فضاق صدره يومًا وجاء إلى النبيِّ ﷺ وقال: يا رسولَ الله، ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فاحمرَّ وجه النبي ﷺ وقال له: «**كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والَّذي نفسي بيده ليتمنَّ الله هذا الأمر، حتَّى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت، لا يخاف إلَّا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[1].

كان النبي موقنًا بانتصار رسالته، وأنَّ الغد له، وأنَّ المستقبل لهذا الدين، وأنَّ النصر آتٍ لا ريب فيه، ولكن لا بدَّ من الانتظار، ولا بدَّ من الصبر، قال: «**ولكنكم تستعجلون**». آفة النَّاس أنَّهم يستعجلون، ولذلك أوصى الله رسوله فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

هكذا كان المسلمون في العهد المكِّي، ولما هاجروا إلى المدينة ظن بعضهم أنَّ الأمر قد استتبَّ لهم، وأنَّهم أمنوا بعد خوف، وعزُّوا بعد ذُل، وأنَّهم قد لانت لهم الحياة، فأنزل الله قرآنًا يُعرِّفهم أنَّ المعركة لم تنتهِ.

الكفاح المسلح في المدينة:

كانت المعركة في العهد المكي تعذيب واحتمال، أمَّا المعركة في العهد المدني فهي كفاح مُسلَّح، صدامٌ مستمر، معارك لا تنتهي، سبعة

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٢)، عن خباب بن الأرت.

QaradawiBooks.com

وعشرون غزوة حضرها النبي بنفسه، وبضع وخمسون سريَّة بعث فيها أصحابه، ما من بيت في المدينة إلَّا وقدَّم شهيدًا أو أكثر.

نزل القرآن في المدينة يقول للمؤمنين: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٤]. مسَّهم البؤس والفقر في أموالهم، ومستهم الجراحات والعذاب في أبدانهم، ومسهم الخوف في نفوسهم، كان أحدهم يصبح في السلاح، ويمسي في السلاح خوفًا من هجوم الأعداء في أيِّ لحظة من اللحظات، ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

صبرًا إخوتنا في حماس:

نقول هذا أيُّها الإخوة بمناسبة ما يجري لإخوتنا في حركة المقاومة الإسلاميَّة حماس، الَّتي انتخبها الشعب الفلسطيني بأكثريَّة ساحقة ظاهرة، وبمشاركة قويَّة غالبة، اختارها الشعب عن طواعية واختيار ليُبَوِّئها موقع المسؤوليَّة عنه.

ولكن الدُّنْيا تنكَّرت لها، إسرائيل تتوعَّد وتُهدد، وأمريكا تهدِّد وتقطع، والاتحاد الأوربي، وهكذا؛ بل رأينا للأسف من بعض الفصائل الفلسطينيَّة: مَنْ ينضم لركب هؤلاء الَّذين يعادون الشعب الفلسطيني واختياره.

نقول لإخوتنا في حماس: لا بدَّ أن توطِّنوا أنفسكم على الصبر، لا يعني إعطاء الشعب الفلسطيني الحكومة لكم أنَّ المحنة قد انتهت، وأنَّ الشدائد قد ولَّت، فلكل عهد محنه وشدائده؛ بل ستبدؤون محنة جديدة.

QaradawiBooks.com

إنَّ الله مع الصابرين:

حينما انتقل المؤمنون من مكة إلى المدينة، حينما هاجروا خاطبهم الله تعالى بقوله ـ يعدُّهم لما ينتظرهم من بلاء ومحن ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]. استعينوا لما ينتظركم وما تترقبونه من محن وشدائد بعزيمة الصبر، واستعينوا بالصلاة، بالاتصال بالله ﷻ، كما قال موسى لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. الاستعانة بالله تتمثَّل في الصلاة، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[1]، استعينوا بالصبر هذا الخُلق العظيم خلق الأنبياء.

ويقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، اصبروا وصابروا؛ أي: غالبوا أعداءكم بالصبر، أعداؤكم يصبرون أيضًا على ما يصيبهم، فليكن صبركم أقوى من صبرهم، ذكر القرآن عن المشركين: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦]. يوصون أنفسهم بالصبر على عبادة الآلهة، على الوثنيَّة.

وقالوا عن النبي ﷺ: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ [الفرقان: ٤٢]. المشركون يصبرون على عبادة الأوثان وعلى الباطل؛ فالمؤمنون أولى أن يصبروا على حقهم، ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾، اثبتوا، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٢٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في قيام الليل (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠٣)، عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ما تقدِّمونه من شهداء ومن ضحايا، هؤلاء ليسوا موتى، لا تقولوا عنهم: أنَّهم أموات؛ بل هم أحياء عند ربهم كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. أي: لا يجري ذلك في حسبانكم ظنًّا ولا على ألسنتكم قولًا.

طريق التضحيات والمشقات والآلام:

القرآن يذكر ما يصيب المؤمنين وما ينتظرهم من بلاء بالقسم والتوكيد، بلام القسم ونون التوكيد، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، تضحيات ومشقَّات، وخسائر ماديَّة تقع في طريقكم، ولكن لا بدَّ من الصبر، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، الصابرون لهم البشرى، الصابرون الَّذين يتحمَّلون الآلام والمجاعة والمخاوف والتهديدات والمشاق، يتحمَّلون هذا بصبر المؤمنين، وإيمان الصابرين، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦]، كلنا ملك لله، أموالنا لله، أنفسنا لله، أرضنا لله، أملاكنا لله؛ فلا يعز علينا أن نبذل ممَّا لله في سبيل الله، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، يوفينا أحسن الجزاء ﷻ، ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

نوصي إخوتنا في حماس أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا، والنصر لهم إن شاء الله، والعاقبة لهم، سنَّة الله أن يتصارع الحق والباطل، ويكون

QaradawiBooks.com

لهذا دولة ولهذا جولة، ولكن العاقبة للتقــوى، العاقبة للإيمان، العاقبة لأهل الحق.

فأما الزبد فيذهب جفاء:

يقــول الله تعالــى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمــران: ١٤٠]. المهــم لمــن تكون العاقبة؟ العاقبة للحق وأهله، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإســراء: ٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، هذه سنة الله.

لا يغرنَّكم أنَّ الباطل انتفش يومًا، وفرد أجنحتــه، وظنَّ أنَّ الدُّنْيا قد دانت له، لا والله، إنَّها فترة ثمَّ تنتهي، رأينا الباطل كثيرًا ما يغلب في بعض الأوقات، ثمَّ تدول دولته، ثمَّ ينطفئ نجمه ولا يبقى له من باقية، هذه سنة الله، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

الثبات على المبادئ والقيم:

صحيح أنَّ المسلمين لا يملكون ما يملك الغرب، وما تملك إسرائيل من أسلحة نوويَّة وأسلحة دمار شامل، مكَّنها الغرب من امتلاكها؛ ولكن حماس وأهل فلســطين معهم الحق الَّذي لا يغلبه باطل، معهم تأييد الله الَّذي بيده ملكوت كل شيء، معهم الشــعب الفلسطيني الَّذي يقف عن بكرة أبيــه وراءهم، معهم الأمَّــة العربيَّة والأمَّة الإســلاميَّة، كل هؤلاء معهم، ولن تضيع حكومة وراءها هؤلاء جميعًا.

نوصي إخوتنا أن يصــروا على هذا الحق، وقد أبــدوا من الفضائل ما يبشــرنا بأنَّ النصر لهــم، لم يرضــوا أن يتقاضوا رواتب والشــعب

QaradawiBooks.com

لا يقبض رواتب، الحكومة المنتهية كانت زادت رواتب الوزراء عدَّة أضعاف؛ فأبَى الإخوة أن يقبلوا هذه الزيادات ورضوا بالقليل، هؤلاء جديرون أن ينتصروا!

نوصيهم بأن يظلوا على قيمهم الأخلاقيَّة، على ثوابتهم الدينيَّة، على هذه المُثل العليا الَّتي آمنوا بها، وعاشوا لها، لا ينبغي أن يتغيَّروا في حال السلطة عنهم في حال المقاومة فهم مقاومون حتَّى وهم في السلطة، هم مقاومون، هم مجاهدون، وتحمُّل السلطة ضرب من الجهاد، ليست ضربًا من المغانم؛ ولكنها ضرب من المغارم، السلطة عند المؤمن ليست غنيمة؛ بل غرامة.

حينما اختار المسلمون عُمر بن عبد العزيز خليفة وولوه عليهم؛ خطب فيهم فقال: أيُّها النَّاس، إنَّما أنا واحد منكم؛ غير أنَّ الله تعالى جعلني أثقلكم حملًا[1]! الولاية تكليف وليست بتشريف.

نوصي إخوتنا في حماس أن يصبروا ويصابروا، ويضربوا المثل الأعلى للمؤمن إذا تولى على قومه: أنَّه لا يعتبر ذلك غُنْمًا؛ بل يعتبره غُرْمًا، وتكليفًا لا تشريفًا.

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا فرقوا:

ونوصي إخوتنا في الفصائل الفلسطينيَّة المختلفة: فتح، والجهاد، وكتائب الأقصى، وكتائب الشهيد أبي علي مصطفى، والكتائب الشعبيَّة والديمقراطيَّة، وكل هؤلاء نوصيهم: أن يقفوا بجوار إخوانهم في حماس، حماس للجميع وليست لنفسها، هذا ما ينبغي أن يعرفه الجميع، أنَّهم إذا خذلوا حماس، خذلوا خيار الشعب وانضمُّوا إلى إسرائيل وأمريكا.

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٤٠/٥)، والدارمي في المقدمة (٤٣٣).

QaradawiBooks.com

ينبغي ألا يكون تفكير فصيل من الفصائل مكسبًا حزبيًّا، أو مكسبًا فئويًّا، أو مكسبًا شخصيًّا، أو مكسبًا دنيويًّا، ليس هذا وقت المكاسب الدنيويَّة، نحن أمام قضيَّة شعب مظلوم، قضيَّة شعب شُتِّت أبناؤه، وشُرِّد من أرضه، وأُكلت حقوقه، وديست مقدَّساته، نحن أمام قضيَّة كبرى، لا ينبغي أن تكون التوجهات الحزبيَّة أو الفئويَّة، أو الشخصيَّة أو الدنيويَّة: هي الَّتي تحكم النَّاس، آن للنَّاس أن يترفَّعوا ويستعلوا عن هذه الماديات والدنيويات.

العدو يريد استئصال الجميع:

نحن أمام خيار صعب، ينبغي للشعب الفلسطيني أن ينتصر في هذه المحنة الجديدة، ليس هناك فتحاوي وحماسي وجهادي، كل هؤلاء شعب واحد، له مصير واحد ومستقبل واحد، مهدَّد بعدو يريد أن يستأصل شأفته، وأن يستأصل جذوره، لا بدَّ للجميع أن يدرك هذا.

هل إسرائيل ضد حماس وحدها؟ لا والله، إنَّها ضد الشعب كله، وماذا فعلت فتح في المدة الماضية، وقد تنازلت وتنازلت، ولانت ولانت، هل حصلوا على أي مكسب من وراء هؤلاء الصهاينة؟ هؤلاء يريدون أن يأخذوا كل شيء، ولا يعطون شيئًا.

إنَّ العرب حينما قالوا بعد هزيمة ١٩٦٧م. المطلوب الآن إزالة آثار العدوان؛ بعد أن كانوا قبلُ يريدون إزالة إسرائيل، الَّتي قامت على الاغتصاب، وما قام على باطل فهو باطل، إلى آخره، غيَّروا سياستهم مائة وثمانين درجة، وأقرُّوا بالوجود الإسرائيلي، وقالوا: نزيل آثار العدوان.

QaradawiBooks.com

هل رضيت إسرائيل بإزالة آثار العدوان، والرجوع إلى ما كانت عليه قبل الخامس من يونيو/حزيران ١٩٦٧م؟ لا، الآن لا تريد أن تعطي الفلسطينيين شيئًا، لا تريد أن تعطيهم الضفة الغربيَّة، لا تريد أن تعطيهم القدس، إنَّ ما يجري في القدس وحول القدس يُنبئ بمستقبل خطير لهذا البلد المبارك، وللمسجد الأقصى! إنَّ ما يجري من حفريات في داخل المسجد، وما يجري حول المسجد يؤْذن بشرٍّ مستطير، وبعمل خطير، تُقبل عليه إسرائيل في وقت ما، لا بدَّ أن ندرك هذا أيُّها الإخوة.

أذكركم بالله وبقدس الأقداس:

ندائي إلى الإخوة في فلسطين، كلِّ الإخوة من أبناء الفصائل المختلفة، الَّتي قامت على الجهاد والمقاومة من أوَّل يوم، أُذكِّرهم بالله تعالى، وأُذكِّرهم بقدس الأقداس، بهذه القضيَّة العظيمة ومقدَّساتها، أُذكِّرهم بالمسجد الأقصى وبالقدس المبارك، خصوصًا إخوتنا في فتح الَّذين يملكون قوَّة كبيرة وعددًا كبيرًا، أُذكِّرهم بجذورهم الإسلاميَّة الإيمانيَّة، الَّتي قامت على المقاومة والجهاد من أوَّل يوم، وأعلنوا شعارهم (ثورة حتَّى النصر)، أُذكِّر أبا مازن بما عاهد الله عليه من أوَّل يوم: من الثورة حتَّى النصر، أُذكِّرهم بهذا، وأنَّ محاولات الاستسلام الَّذي يسمُّونه السلام لم تَجْدِ فتيلًا، ولم تُغْن شيئًا، ولم تقدِّم لهم نقيرًا ولا قطميرًا، هذا ما أُذكِّر به الجميع.

وأُذكِّر الشعب الفلسطيني عامَّة: بأن يبقى مع إخوانه الَّذين اختارهم، وأن يشدَّ أزرهم، وأن يتحمَّل الشدائد معهم.

QaradawiBooks.com

الشعب الفلسطيني لن يركع أو ينحني:

هؤلاء الصهاينة وأعوانهم يريدون أن يُركِّعوا هذا الشعب، وقد علَّمَنا هذا الشعب أنَّه لا يركع ولا ينحني إلَّا لله، قدَّم التضحيات وراء التضحيات، والدماء بعد الدماء، وانتفاضة بعد انتفاضة، حاول شارون أن يطفئ الانتفاضة ويقضي عليها في مائة يوم، وذهبت مائة يوم، وذهبت مائة ومائة ومئات، وقُضي على شارون ولم يقضِ على المقاومة ولا على الانتفاضة.

هذا الشعب جدير أن يُحيَّا، وجدير أن يُشدَّ أزره! نقول لإخوتنا في فلسطين كل فلسطين، أبناء فلسطين، الشعب الفلسطيني: شدُّوا أزر إخوانكم، تحمَّلوا معهم الجهاد، تحمَّلوا معهم الجوع، إنَّ الصهاينة يريدون أن يجيعوكم، ويريدون أن يحاصروكم، ويريدون أن يذلوكم، ولكن لن تذلوا أبدًا، المؤمن عزيز لا يذل إلَّا لربه، ولا ينحني إلَّا له راكعًا، ولا يُطأطئ إلَّا له ساجدًا، هذا ما عودناه الشعب الفلسطيني البطل المُضحِّي، رأينا هذا الشعب يُقدِّم الدماء والتضحيات من أبنائه وبناته، ورجاله ونسائه؛ فحيَّا الله هذا الشعب.

ثم هنا نداء آخر إلى الشعوب العربيَّة والشعوب الإسلاميَّة: الشعب الفلسطيني قدَّم الدماء، قدَّم الأرواح رخيصة في سبيل قضيته، في سبيل دينه ووطنه؛ أفلا نُقدِّم نحن الأموال لهم؟

اليهود في أنحاء العالم على ما عُرف عن اليهود من شُحٍّ وبُخلٍ وأنانيَّة، وأنَّهم يعبدون الذهب، هؤلاء اليهود بذلوا للدولة اليهوديَّة قبل أن تقوم، وبعد أن قامت، ولا زالوا يبذلون إلى اليوم؛ أفلا يبذل العرب والمسلمون لهذه القضيَّة المقدَّسة، قضيَّة الحق الَّذي لا يعتريه باطل، والعدل الَّذي لا يشوبه ظلم؟

QaradawiBooks.com

القضية الفلسطينية هي أعدل القضايا:

أعدل قضيَّة في الأرض هي قضيَّة فلسطين، ولكنها ابتليت بهؤلاء الَّذين لا يعرفون حقًّا من باطل؛ بل لا يعرفون إلَّا الباطل، الغربيُّون والأمريكان، ومن وراء الأمريكان، الَّذين ساندوا الظلم الإسرائيلي، والاغتصاب الإسرائيلي، ويريدون الآن أن يجبروا حماس على أن تعترف بهذا الاغتصاب، يريدون لها أن تُغيِّر رأيها وقناعتها قهرًا عنها، وكل فلسطيني مقتنع أنَّ عدوه اغتصب أرضه، هذه حقيقة رأيناها وشهدناها ولمسناها، لم يكن لليهود في فلسطين وجود يُذكر، كانوا قلة قليلة، تعيش بين ظهراني المسلمين.

وهكذا كان وضع اليهود في بلاد المسلمين من قرون طويلة، كان اليهود يعيشون بين ظهراني المسلمين باعتبارهم أهل ذمَّة، طردهم الأوروبيُّون من ديارهم، ولم يجدوا لهم مأوى إلَّا في دار الإسلام، استقبلتهم أوطان المسلمين بالصدر الحنون، وآوتهم وآمنتهم من خوف، وهيَّأت لهم الفرص ليصبحوا أغنياء، بل أعظم الأغنياء في ديار المسلمين.

هكذا كان وضع اليهود عامَّة في ديار المسلمين، وهكذا كانوا في فلسطين، ثمَّ قلبوا ظهر المجن حينما بدأت الحركة الصهيونيَّة، وبدأ هرتزل ومن معه يُهيِّؤون لقيام دولة في أرض فلسطين، أو أرض الميعاد كما يسمُّونها، ووعدتهم بريطانيا الدولة المُنتدبة على فلسطين الوعد المشهور: وعد بلفور، بأن تُنشئ لهم وطنًا قوميًّا في فلسطين، فلم يكن لليهود وجود في أرض فلسطين؛ إلَّا وجود القلة الَّتي تعيش في ضمان الكثرة، وتحت سلطان الكثرة العربيَّة في هذا البلد؛ فكيف يُجبر إخوتنا

QaradawiBooks.com

في حماس على أن يعترفوا بشـــيء لا يقتنعون به، ولا يرون له وجهًا؟! لقد قالوا: إنَّنـــا على اســـتعداد أن نقيم معكم هدنة طويلة، عشـــرين أو أربعين أو خمسين سنة، لكن الاعتراف شيء آخر.

ندعو العرب والمسلمين لمناصرة فلسطين:

نحن ندعـــو العرب والمســـلمين إلـــى أن يقفـــوا بجوار الشـــعب الفلسطيني، وبجوار حكومته الشـــرعيَّة المنتخَبة، ندعو الجميع إلى أن يشدُّوا أزر هذه الحكومة، أن يقولوا لها: نحن معك في الحق، وليس في الباطل. وليست الحكومة على باطل.

نحن ندعو الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة أن تمدَّ يدها بالمعونات إلى هذا الشـــعب وإلى هذه الحكومة، ولا أســـمِّيها التبرعات؛ لأنِّي أرى أن إعانة إخوتنا في فلسطين ليست من باب التبرعات التطوعيَّة، بل هي من الفرائض الواجبة، والواجبات اللازمة على الأمَّة.

لا يجوز للأمة أن تدع إخوتنا يموتـــون جوعًا وعندها فضول أموال، ليس من الإســـلام أن نأكل ملء بطوننا، ونلقي بالفضلات في صناديق القمامة، وإخوتنـــا يتضوَّرون مـــن الجوع، هذا لا يجـــوز: لا في منطق الإسلام، ولا في منطق الإنسانيَّة.

وجوب إغاثة الملهوف وإعانة المضطر:

إنَّ إعانة المضطر، وإغاثة الملهوف، وإطعـــام الجائع واجب علينا، لا يجوز أن ندع إخوتنا يعانون، في بعض الأوقـــات توقفت مخابزهم؛ لأنَّهم لا يجدون دقيقًا ولا طحينًا حتَّى يخبزوا ويطعموا النَّاس، علينا أن نمدَّ أيدينا بهذه المعونات ولا أسميها التبرعات.

QaradawiBooks.com

نستطيع أن نعطيهم من زكوات أموالنا، من فريضة الزكاة، وهم يستحقونها بأكثر من وجه، فهم فقراء ومساكين وجائعون، وهم غارمون عليهم من الديون ما يثقل كواهلهم، وهم أبناء سبيل مُشرَّدون عن أرضهم وأموالهم، وهم مجاهدون في سبيل الله، خمسة من مصارف الزكاة تنطبق عليهم.

وسألني بعض الإخوة: إذا كان الإنسان أعطى زكاة ماله؛ هل يجوز أن يُعجِّل زكاة السنة المقبلة ويعطيهم إيَّاها؟ قلت: نعم، أجاز النبي ﷺ تعجيل الزكاة لسبب أو لآخر[١]، وهذا من الأسباب الَّتي تدعو إلى تعجيل الزكاة لنعطي هؤلاء، لنسعفهم، «**ليس منا مَنْ بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم**»[٢]، المؤمن أخو المؤمن، و«**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ولا يخذله**»[٣]، ما معنى لا يسلمه؟ لا يتركه، لا يتخلَّى عنه؛ بل يحميه ويقويه، هذا هو واجب الأخوة الإسلاميَّة، لا يجوز لنا أن ندع إخواننا حولنا يموتون من الجوع ونحن نملك فضول أموال.

المؤمنون كالجسد الواحد:

أنا أدعو العرب والمسلمين في كل مكان: إلى أن يمدوا يد المعونة إلى إخوانهم من الزكاة، وممَّا بعد الزكاة، فالزكاة في المال هي الحق

(١) كما في الحديث: أنَّ العباس سأل النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فرخص له في ذلك. رواه أحمد (٨٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (١٦٢٤)، والترمذي (٦٧٨)، وابن ماجه (١٧٩٥)، ثلاثتهم في الزكاة، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٤٥٢) عن علي بن أبي طالب.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٥): رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧١٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الأوَّل وليست الحق الأخير، هناك حقوق في المال غير الزكاة، منها حق التكافل لجميع المسلمين، هذا مطلوب، فالمسلمون «**يسعى بذمَّتهم أدناهم، وهم يد على مَنْ سواهم**»[١]، وهم «**كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحمَّى والسهر**»[٢]. ولا يجوز أن يبقى غني متمتعًا بغناه، وبجواره فقير لا يستطيع أن يعيش، فحق التضامن والتكافل فريضة على الجميع.

وهناك الصدقات التطوعيَّة، المسلم يعطي فوق الزكاة الواجبة، وفوق الحقوق الواجبة، يعطي أشياء لله ﷻ، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

هناك وصايا الأموات، خصوصًا في بلاد الخليج، يترك كثير من الأغنياء الثلث أو ما دون الثلث من أمواله وصيَّة تُنفق في وجوه الخير وأبواب البر، وهذا من أبر البر، ومن أخير الخير: أن يُساعَد إخوتنا على الصمود في وجه الباطل المتجبر في الأرض، في وجه هذا العدوان الفاجر.

وهناك الأوقاف وريع الأوقاف، العوائد الَّتي تأتي من الأوقاف لهم فيها نصيب.

وهناك أيضًا أيُّها الإخوة المال الَّذي فيه شبهة، أو الَّذي اكتُسب من وجه مُحرَّم، مثل الأموال الَّتي قد تأتي إلى بعض النَّاس من فوائد البنوك الربويَّة، هذه حرام على صاحبها أن ينتفع بها، ولكنها حلال لمثل هذه

---

(١) سبق تخريجه صـ١٧٢.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

المصارف، لمثل جهات الخير، وأولى جهات الخير جهات إطعام المسكين، وإغاثة المضْطر الَّذي لا يجد القوت.

كل هذه أبواب ينبغي أن تدفعنا إلى أن نمدَّ يد المعونة لإخواننا، ليس هذا تفضُّلًا منا عليهم، لا والله؛ بل لهم الفضل، هم الَّذين يدفعون الدماء، هم الَّذين يبذلون الأرواح، هم الَّذين يزهقون أنفسهم في سبيل الله، هم الَّذين يتحمَّلون هذا؛ ليس من أجل أرضهم وحدها، إنَّما من أجل أرض الإسلام.

وجوب نصرة فلسطين وتحريرها:

الإسلام يقول: كل أرض يغزوها العدو ولو كانت رقعة صغيرة؛ فإنَّ على أهلها أن يدافعوا عنها، فإذا عجزوا أو تقاعسوا فعلى مَنْ حولهم أن يدافعوا عنها؛ حتَّى يشمل هذا الواجب كل المسلمين في الأرض.

وأنا أعتقد أنَّ المسلمين في الأرض كافة أصبحوا مسؤولين عن تحرير فلسطين وتحرير المسجد الأقصى، المسجد الأقصى ليس ملك الفلسطينيين؛ بل هو ملك المسلمين جميعًا، لو أنَّ الفلسطينيين قصَّروا وتقاعسوا وجبنوا عن الدفاع عن المسجد الأقصى؛ لوجب على المسلمين في أنحاء الأرض ـ مشرقها ومغربها ـ أن يهبُّوا للدفاع عن المسجد الأقصى.

وقد رأينا سنة ١٩٦٩م. حينما أُحرق منبر المسجد الأقصى: هاج المسلمون في كل مكان، ثاروا كالبراكين في بلدانهم المختلفة، وأجبروا قادة المسلمين وزعماءهم على أن يجتمعوا لأوَّل مرَّة في صورة قمة إسلاميَّة اجتمعت في المغرب؛ لماذا لا يثور المسلمون اليوم والمسجد

QaradawiBooks.com

الأقصى يكاد يُهدَم؟ لا نعــرف متى يُقَدِّر اليهود في أنفســهم هدم هذا المسجد؛ لأنَّ الحفريَّات الَّتي تجري من تحته تجعله قابلًا للانهيار، في أيِّ توقيت يحدِّده اليهود لذلك؟ لا ندري، والأمَّة غافلة.

نحن ندعو العرب والمســلمين في كل مــكان أن يقوموا بدورهم؛ فقضيَّة فلســطين هي قضيَّة العرب الأولى، وقضيَّة المســلمين الأولى، قضيَّتهم المحوريَّة والمركزيَّة، لا يجوز أن تُقدَّم عليها قضيَّة من القضايا؛ لأنَّهــا قضيَّة وطنيَّــة، قضيَّة قوميَّــة، قضيَّة دينيَّــة، قضيَّة إنســانيَّة، كل الموجبات تتوفر للوقوف مع هذه القضيَّة ومع أهلها.

الحق منتصر بإذن الله:

إنَّنا موقنون أنَّ الحقَّ سينتصر، وأنَّ الباطل سينهزم ويندحر، هذه سنة من ســنن الله تبارك وتعالى، ولكن لا بدَّ أن نصبــر على الطريق، وعلى طول الطريق، لأنَّ لله سننًا لا تتخلَّف، والله لا يعجل بعجلة أحدنا، ولا بدَّ أن نقدِّم الثمن حتَّى نتسلَّم المبيع، الثمن مزيد من التضحيات، مزيد من الصبر، مزيد من البذل، مزيد من التحمل، حتَّى يأتي وعد الله.

يقول الله تبــارك وتعالــى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨].

اللهمَّ انصر إخوتنا، اللهم شُدَّ أزرهم، اللهمَّ اهدهم صراطًا مستقيمًا، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، اللهمَّ انصرهم نصرًا عزيزًا، اللهمَّ أتمَّ عليهم

QaradawiBooks.com

نعمتك، وأنزل في قلوبهم سـكينتك، وانشـر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله تعالى لي ولكم فاسـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نادينا الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة أن تقف بجوار إخوانهم في فلسطين وحكومتهم الشرعية المنتخبة، وأن يعملوا بكل ما يستطيعون لإسداء المعونات إليهم، وجمع المعونات لهم.

وننادي هنا في قطر اللجنة الخيريَّة المشتركة، والجمعيات الخيريَّة الَّتي تقوم على هذا الواجب، جمعيَّة قطر الخيريَّة، وجمعيَّة الشيخ عيد بن محمد، وصندوق الزكاة، وكل جهات الخير في قطر: أن تبدأ حملة لمعونة الشعب الفلسطيني.

وهناك كثيرون خيِّرون يسألونني: لمن نعطي؟ فإذا وُجدت مثل هذه الحملة المنظَّمة أجابت عن أسئلة النَّاس الكثيرين، وأصبحت هي المتحمِّلة لإرسال هذه المعونات، وإن كنا نبعث بهذه المعونات عن طريق (ائتلاف الخير) الَّذي له فروع في كل مكان، ويقوم بواجبه الإغاثي والإنساني منذ سنوات والحمد لله.

وننادي أيضًا أيُّها الإخوة الحكومات العربيَّة والإسلاميَّة، كما نادينا الشعوب ننادي الحكومات أيضًا، فما الحكومات إلَّا من هذه الشعوب، الحكومات عليها واجب أيضًا أن تسارع بنجدة إخوانهم، ألا تستجيب للإغراءات والتهديدات والتخويفات، الَّتي ترسلها أمريكا هنا وهناك.

QaradawiBooks.com

وهناك بلاد عربية والحمد لله لم يهمها هذا الكلام ودفعت وبذلت لإخوتنا في فلسطين، ولا أريد أن أسمِّي بعض الدول؛ حتَّى لا أُتهم بالتحيُّز لهذه الدولة أو تلك الدولة، ولكن هناك أناس عندهم من الشجاعة ما يجعلهم يبذلون ما يجب عليهم.

الواجب على الجميع أن يساند هذه الحكومة المنتَخَبة، ومساندة هذه الحكومة تعني مساندة هذا الشعب، الحكومة تريد أن تدفع رواتب الموظفين، فالموظفون يحتاجون إلى هذه الرواتب ليأكلوا ويأكل أولادهم، هذه قضايا ليست بعيدة ولا غريبة على الفهم، هي أشياء لا يجهلها أحد، لا بدَّ من معونة هذه الحكومة، وأنادي الحكومات العربيَّة والإسلاميَّة أن تقوم بواجبها، وتتقي الله في إخوانها، وأن تكون من الَّذين لا يخشون أحدًا إلَّا الله، ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

اللهمَّ هيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ انصر إخوتنا في فلسطين، اللهمَّ انصر إخوتنا في حماس، اللهم انصر إخوتنا في كل فلسطين، اللهمَّ هيِّئ لهم من أمرهم رشدًا، اللهمَّ شُدَّ أزرهم، اللهم قوِّ ظهرهم، اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، اللهمَّ اهدهم صراطًا مستقيمًا، اللهمَّ انصرهم نصرًا عزيزًا، اللهمَّ احرسهم بعينك الَّتي لا تنام، واكلأهم في كنفك الَّذي لا يُضام.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ ردَّ كيــد أعدائهم في نحورهــم، واشــغلهم بأمرهم، وأعد سهامهم المســمومة إلى صدورهم، اللهمَّ يا منزل الكتاب، ويا مُجري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب: اهزم هؤلاء الصهاينة الظالمين المعتديــن، اللهمَّ اهزمهــم وانصرنا عليهم، ربنــا اغفر لنا ولإخواننا الَّذين ســبقونا بالإيمان، ولا تجعل فــي قلوبنا غلًّا للذين آمنوا؛ ربَّنا أنَّك رؤوف رحيم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٧

رسائل ما بعد الحرب على غزة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

توقفت المعركة، وتوقف العدوان الغاشم، الوحش الهائج المفترس توقف وانسحب من غزة، وبقيت أمامنا دروس نستخلصها من هذه الحرب، ونوجه في هذه الخطبة رسائل، كما وجهنا منذ أسبوعين، ولكن تغير الموقف الآن، المرسل إليهم هم هم، ولكن الرسالة تتضمن معاني أخرى.

الرسالة الأولى إلى الكيان الصهيوني:

أوجه الرسالة الأولى إلى الكيان الصهيوني الغاشم، إلى إسرائيل المعتدية، وهي دائمًا معتدية، المستكبرة في الأرض بغير الحق، إلى إسرائيل نقول لها: لقد فشلت خُطتُكِ، وعُدتِ بالخيبة، لم تستطيعي أن تحققي الأهداف الَّتي وضعتها نصب عينيك لهذه الحرب.

كل ما فعلته إسرائيل أنَّها خرَّبت ودمَّرت، وقتلت وأحرقت، وارتكبت من المآسي والمجازر وحمامات الدم ما يندى له جبين البشريَّة،

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٣ يناير ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

وما جلب عليها سـخط العالمين، ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين، كل النَّاس أنكروا عليهـا، وكل النَّاس ذمُّوها، وكل النَّـاس اعتبروا أنَّها مجرمة حرب! ارتكبت في هذه المأساة ما يسـمونه في القانون (جرائم حرب) يجب أن تُحاكم عليها، جرائم إبادة عنصريَّة، ارتكبت من الجرائم الوحشـية ما لا يُرتكب في حرب، حتَّى مندوبو الأمـم المتحدة، مقرر الأمم المتحدة في الأراضي الفلسطينية قال: إنَّها اتخذت طابعًا لا إنسانيًّا.

جرائم لا إنسانية لمن قام بها:

هذه الجرائم لم يكن فيها ذرة من الإنسانية، وقتلت أناسًا لا يملكون السلاح، إنَّها قتلت المدنيين، قتلت الأطفال الرضع، قتلت الشيوخ الركع، قتلت النسـاء اللائي لا حول لهن ولا طول، هدَّمت المنازل على رؤوس أصحابها، دمرت المساجد، والمصلون فيها، خربت المدارس والتلاميذ فيها، ضربت المستشفيات، لم ترع لأحد عهدًا ولا حرمة، ولم ترقب في مؤمن إلًّا ولا ذمة، وهذا هو شأن اليهود الغادرين دائمًا، لا يرقبون عهدًا، ولا يراعون ذمـة، بل ينتهكـون كل حرمة! انتهكوا الحرمات، وداسـوا المقدسات، وسفكوا الدماء، ولهذا ستلعنهم هذه الدماء.

انتقام الله من المجرمين:

إنَّ الدمـاء الَّتي أريقت، والجثـث الَّتي تفحمـت، والجماجم الَّتي تهشـمت، والبيوت الَّتي تهدمت، والأطفال الَّتي تيتمت، والنساء الَّتي ترمَّلت وتأيَّمت، والأمهات الَّتي ثكلت، كل هذه ستلعنهم، ستجلب لعنة الله تعالى عليهم! سـيثأر منهم القدر الأعلى، أنَّهم فشـلوا، ولكنَّهم لم يُعاقَبوا على جرائمهم، سـيعاقَبون أمام المحاكم في الدُّنْيا إن شـاء الله،

QaradawiBooks.com

وسيعاقَبون في الآخرة بجهنم وبلعنة الله، وستعاقبهم الأجيال القادمة: الأجنة في بطون أمهاتها، الأطفال الصغار الَّذين رأيناهم يتحدثون عن المأساة، الطفل الَّذي قُتل أمه وأبوه، وقُتل إخوانه وأخواته، وقُتل أعمامه وعماته، ويحكي للنَّاس عما رأى، وهو رأى هذا بعينيه، ولمسه بيديه، ماذا سيكون موقف هذا الطفل غدًا أو بعد غد أو بعد سنة أو بعد سنين؟ إنَّه سينتقم من هؤلاء.

كما ستنتقم الأقدار منهم، لأن الله ﷻ يمهل ولا يهمل، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، إنَّ الله لهم بالمرصاد، إنَّ الَّذي أهلك ثمود بالطاغية، وأهلك عادًا بريح صرصر عاتية، وأخذ فرعون وجنده أخذة رابية سيأخذهم، ولن يبقي لهم من باقية، سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، سيأخذهم أخذًا أليمًا شديدًا: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤]، إنَّه يرصد كل شيء، ويراقب كل شيء، ولكن كل شيء عنده بمقدار، كل شيء عنده بأجل مسمى، حتَّى إذا جاء الوقت نزلت بهم نقمة الله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

فشلت إسرائيل في تحقيق أهدافها:

لقد فشلت إسرائيل! حاول (أولمرت) أن يغطي هذا الفشل بدعاوى كاذبة، ولكنَّهم لم يحققوا شيئًا، لم يستطيعوا أن يستولوا على أي بقعة في غزة ويتحكموا فيها، لم يستطيعوا أن يصلوا إلى أسيرهم الَّذي بحثوا عنه بإبرة فلم يجدوه، لم يستطيعوا أن يحطموا (حماس) أو يضعفوا من شوكتها! لا والله، بل ازدادت قوة على قوة، أرادوا أن يخمدوا جذوتها

QaradawiBooks.com

فازدادت جذوتها اشتعالًا، وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣].

لم تحقق إسرائيل شيئًا من أهدافها، قتلت ودمرت، ولكن قتلانا في الجنَّة وقتلاهم في النار، قتلانا شهداء أحياء غير أموات: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، الشهداء يستبشرون بالمجاهدين الَّذين يمضون في طريقهم لا يستخذلون ولا يستسلمون.

فشلت إسرائيل؛ إلَّا إذا كان له هدف آخر لم تكشف عنه، كما قرأت في صحيفة ألمانية: أن إسرائيل أرادت أن تستكمل السيطرة على احتياطيات الغاز الهائل أمام سواحل غزة، استولت عليها إسرائيل، ولكن لم تتمكن منها، وأرادت بهذه الحرب أن تستكمل تمكنها وسيطرتها، ولكنها أرادت أيضًا أن تكسر شوكة حماس، وفصائل المقاومة حتَّى لا يستطيعوا أن يطالبوا بحقهم، وحتى يستسلموا ويسلموا لهم بهذا الغاز!

حتى هذا إن شاء الله لن يستطيعوه، ولن يصلوا إليه، سيصل أهل غزة إلى حقهم في غازهم، وفي سواحل أرضهم وبلدهم.

هذه هي الرسالة الأولى الَّتي نوجهها إلى إسرائيل الغدر، إسرائيل الطغيان والمكر والكيد: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]،

QaradawiBooks.com

والبغـــي مرتعه وخيـــم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]، ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ۝ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧].

الرسالة الثانية إلى أبناء غزة:

ورسالتي الثانية أوجهها إلى أهلنا وإخوتنا وأحبابنا في غزة، غزة دار الكرامة والعزة، غزة الصمود، غـــزة المصابرة، غزة المرابطة، البلد الَّذي سمى الإسرائيليون من قديم أهله (الجبارين)، إنَّه شعب الجبارين، حينما قال لهـــم موســـى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]. كان مقتضـــى أن يأمرهم نبيهم الَّذي أنقذهم الله على يديه بهذا الأمر أن يدخلوا ويستبســـلوا، ولكنَّهم واجهوا نبيهم بقولهـــم: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]!

وهل يخرج أهل البلد للغرباء طوعًا ليدخلوا مكانهم؟! هؤلاء كانوا أهل غزة؛ لأن الإسرائيليين جاؤوا من مصر فأول بلد يقابلهم في طريقهم إلى فلسطين هي غزة، أقرب البلاد إلى مصر، فأهل غزة أهل هذا القطاع هم الجبارون، هم شعب الجبارين.

صلابة وإيمان أهل غزة:

ولذلك بدا هذا الجبروت، بدت هـــذه القوة، بدت هذه الصلابة في الصبر على الحصار الطويل، على سياسة التجويع، ولكنَّهم لم يتململوا، كانوا يظنون أنَّهم ســـيثورون على حماس ويقولـــون: جُعنا من أجلكم، وحصل لنا ما حصل من أجلكم. ولكن هذا الشعب التف حول حكومته حينما ناداهم إسماعيل هنية!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعد موسم الحج اجتمع مئات الآلاف من أبناء غزة كأنه موسم حج آخر، وقفوا مع حكومتهم المنتخبة الَّتي يسمونها (الحكومة المُقالة)، صبروا على هذا الجوع، صبروا على حياة ليس فيها أسباب الحياة، قطعوا عنهم المأكل والمشرب والكهرباء والوقود والغذاء والكساء والتدفئة، وكل ما يحتاجه النَّاس، وظل هذا الشعب راضيًا صابرًا مصابرًا لا يتململ ولا يجزع، ولا يهلع ولا يتزعزع، هؤلاء هم أهل غزة!

وكذلك كانوا أيَّام الحرب، والقذائف تنهال عليهم من زوارق البحر، ومن طائرات الجو، ومن دبابات البر، دخلت إسرائيل غزة بثلاثين ألف جندي، معركة كبرى مع شعب أعزل لا يستطيع أن يصل إلى السلاح؛ لأن دول الطوق من حوله تمنع أن يصل إليهم شيء من السلاح، المعابر المتاحة لهم يحرم أن يصل إليهم منها سلاح، الأنفاق الَّتي يحفرونها بأيديهم يحطمها عليهم للأسف جيرانهم العرب المسلمون! ورغم قلة السلاح، ورغم ضعف العدد والعُدد استطاعوا أن يصمدوا ويصبروا!

مكانة الشهداء وثواب الجرحى:

من قُتل فهو شهيد محتسَب عند الله، ومن جُرح فالشكل شكل الدم والريح ريح المسك، أي كَلْمة يُكلَمُها الواحد منهم محسوبة له عند الله، كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

QaradawiBooks.com

كلُّ ما أصاب أبناء هذا الشعب في ميزانهم يوم القيامة حسنات ودرجات، لقد أصيبوا بما أصيبوا به، وما أصيبوا به ليس بالشيء الهين، ثلاثة أسابيع يلقون فيها ما

يلقون من الأذى والعذاب، من القتل والتدمير، ولكنَّهم صابرون مصابرون مرابطون.

حيَّاكم الله يا أهلنا في غزة، حياكم الله يا إخوان غزة، يا شباب غزة، يا شيوخ غزة، يا أطفال غزة، يا نساء غزة، يا كل حي في غزة، حياكم الله وبياكم، وبيض وجوهكم كما بيضتم وجوهنا، صبر هذا الشعب العجيب الَّذي التف حول حكومته ولم يغدر بها كما كانوا يظنون، لم يثر عليها، هو الَّذي اختارها! هو الَّذي انتخبها، فكيف يغدر بها وكيف ينتفض عليها؟

لن يضيعكم الله:

هذه رسالتي إلى غزة رسالة التحية، ورسالة التكريم، ورسالة التأييد والتثبيت والوعد من الله ﷻ أنَّه لن يضيعهم، لن تضيعوا يا أهل غزة، لن يتخلى الله عنكم، الله معكم ولن يتركم أعمالكم: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥]، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٣٩، ١٤٠]، لم يصف القرآن المؤمنين بالهزيمة أبدًا، الهزيمة للكفار كما قال القرآن: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [ص: ١١]، ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١]. الهزيمة للمشركين ولأهل الكفر والطغيان.

QaradawiBooks.com

أمَّا المؤمنون فإنما يمسهم القرح والألم، جراحات وآلام تصيبهم كما تصيب أعداءهم، ولذلك قال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، الدُّنْيا دول، ودوام الحال من المحال، قرح وجراحات وآلام تصيبكم كما تصيب أعداءكم، ولكن هناك فرق بين ما يصيب أهل الإيمان وما يصيب أهل الكفر، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]. ترجون في الدُّنْيا النصر والشهادة، وترجون في الآخرة الجنَّة ورضوانًا من الله أكبر، كما قال تعالى لرسوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ۞ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٠ ـ ٥٢]، نقمة سماوية تنزل بكم أو عذاب بأيدينا، ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤]، ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

لن يصيبنا إلَّا ما كتب الله لنا، شهداؤنا لم يموتوا قبل أجلهم، الله كتب لهم أن يموتوا في هذا الوقت، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، هذه رسالتي الثانية إلى أهل غزة.

الرسالة الثالثة إلى رجال المقاومة:

ورسالتي الثالثة إلى رجال المقاومة، وخصوصًا أبناء حماس، فهي المقصودة بهذه الحرب، كل هذه الحرب، كل هذه النار الَّتي أُججت،

QaradawiBooks.com

كل هؤلاء الجنود الَّذين زحفوا، كل هذه الدبابات في البر، كل هذه الطائرات من الجو، كل هذه الزوارق من البحر، كل هذا كان يُراد به القضاء على حماس أو على الأقل كسر شوكة حماس.

ولكن لم تنكسر شوكة حماس، بل قويت شوكتها، وقويت إرادتها، واتصلت بها الجماهير في كل أنحاء العالم! الأمة الإسلاميَّة كلها كانت وراء حماس، وقد غاظ هذا الكثيرين الَّذين كانوا يتمنون أن تفشل حماس، وأن تذهب إلى غير رجعة، هكذا كان يريد بعض حكام العرب أن يشمتوا بحماس، أن تنتصر إسرائيل على حماس! تصوروا أن في العرب والمسلمين، ومن يتسمى بأحمد ومحمد وحسن وحسين، تصوروا أن في هؤلاء من كان يتمنى من كل قلبه ومن كل أعماقه أن تنتصر إسرائيل على حماس! أن ينتصر اليهود على المسلمين!

ولكن الله خذلهم، وخيب ظنونهم، وخيب فألهم، وخرجت حماس منتصرة، خرجت حماس أشد قوة، ازدادت إيمانًا على إيمان، المحن تقوي المؤمنين، تزيدهم ارتباطًا بربهم، تزيدهم صلة بالله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

جذوة الجهاد لا تنطفئ:

الناس يخوفونهم ممَّا جمعه لهم أعداؤهم، جمعوا لكم الرجال، وجمعوا لكم السلاح، وجمعوا لكم الأسلحة المتطورة الَّتي أمدتها بها أمريكا، لم تكتف أمريكا بالترسانة النوويَّة الهائلة الَّتي تملكها إسرائيل، والتي استخدمت منها الأسلحة المحرمة دوليًّا فأمدت إسرائيل بأسلحة متطورة لم تُستخدم قط، تجربها إسرائيل في حماس وفي أبناء غزة وأبناء الفصائل المجاهدة في فلسطين، ولكن هذه الأسلحة لم تخمد

QaradawiBooks.com

جذوة حماس وجذوة إخوانهم المجاهديـــن: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]. اتخذ الله منهم شهداءً، ولكن هذا ليس سوءًا، الشهداء في الجنَّة، «قتلانا في الجنَّة وقتلاكم في النار»[(١)]. فهؤلاء لم يمسسهم سوء.

قدموا الشهداء، ولا بدَّ للمعركة من شهداء!

خســـر الشـــعب الديار والأموال والمنازل الَّتي هدمت، ولكن هذه ليست خسائر، هذا ثمن الحرية، ثمن الكرامة!

الشعب لا يفرط في حريته، ولا يفرط في كرامته، ما قيمة أن تعيش ذليلًا ولم يمس بدنك شـــيء ولم يمس منزلك شيء؟ لا بدَّ لكي تسترد حريتك، وتسترد كرامتك لا بدَّ أن تدفع وتبذل كما قال شوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلِلْحُرِّيَّـــةِ الحَمْـــرَاءِ بَـــابٌ بِـــكُلِّ يَـــدٍ مُضَرَّجَـــةٍ يُـــدَقُّ[(٢)]

لا يدق باب الحرية إلَّا بيد مضرجة بالدماء، الدماء تهون، والنفوس والأرواح الَّتي تُبذل في سبيل الانتصار على الأعداء، واكتساب الحرية، والعيش بكرامة، كل هذا يهون.

من أراد للمقاومة أن تفشل أخزاه الله:

إنَّ الحكام الَّذين أرادوا أن تفشل حماس لم يمكنهم القدر من ذلك، باؤوا بخزيهم، وماتوا بغيظهم؛ كما قال الله تعالـــى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ

(١) رواه أحمد (٢٦٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. عن ابن عباس.

(٢) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٧٧/٢).

QaradawiBooks.com

﴿ٱلصُّدُورِ ۞ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١١٩، ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨]. كانوا يكرهون أن يظهر أمر الله، وأن يأتي نصر الله، ولكن أمر الله ظهر، ولكن الحق انتصر، ولكن الباطل انكسر، وحقت كلمة الله: ﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢، ١٧٣]. العبرة بالعاقبة، والعاقبة للمتقين، والنصر للمؤمنين، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، هذه رسالتي إلى المقاومة، إلى كل الفصائل المجاهدة مع حماس.

الرسالة الرابعة إلى أمة الإسلام:

ورسالتي الرابعة إلى أمتنا العربيَّة والإسلاميَّة: لقد وقفت الأمة العربيَّة والإسلاميَّة من المشارق والمغارب، من الشمال والجنوب، من الفلبين وإندونيسيا إلى المغرب وموريتانيا، وقفت الأمة العربيَّة والإسلاميَّة بكل قواها، وبكل فئاتها، من اليمين واليسار والإسلاميين والقوميِّين وشتى الاتجاهات، كل الأمة غضبت لهذا العدوان وعلى هذا العدوان، غضبت للإخوة في غزة، وغضبت على المعتدين الظالمين الغادرين: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾ [الأنفال: ٥٦].

كانت الأمة الإسلاميَّة عند العهد بها، وعند حسن الظن بها، هذه الأمة لا تموت، لأنَّها أمة الخلود، أمة باقية إلى يوم القيامة، هي آخر الأمم، أنزل الله عليها آخر الرسالات، وأنزل عليها آخر الكتب، وبعث لها آخر النبيين وخاتم المرسلين، فهي أمة الخلود، الأمة الخاتمة، الأمة الخالدة.

QaradawiBooks.com

أمة الإسلام لا تموت:

هذه الأمة لا تمـــوت، ولكنها قد تنـــام أو تُنوَّم تُخـــدَّر، فإذا جاءت الأحداث الكبار أيقظتها من ســـبات، وأحيتها مـــن موات، وجمعتها من شـــتات، هذا ما نراه حينما تأتيها الأحداث، حينما ظهرت الإســـاءة إلى مُحَمَّد رسول الله بالرسوم الكاريكاتورية قامت الأمة الإسلاميَّة تدافع عن رسولها وتغضب لنبيها.

وحينما اعتـــدى المعتدون علـــى غزة، تجبـــر المتجبـــرون عليها، المعتدُّون بأســـلحة الدمار الَّتي يملكونها، والمعتدُّون بالمال الأمريكي والســـلاح الأمريكي والفيتو الأمريكي قامت الأمة الإســـلاميَّة تُعبِّر عن غضبها، وتُعبِّر عن نصرتها لأبناء ملتها، هكذا شأن الأمة.

حياكِ الله يا أمة محمد، يا أمة القرآن، يا أمة الإسلام، يا أمة المآذن، يا أمة لا إلٰه إلَّا الله والله أكبر، حياكِ الله أيتها الأمة المســـلمة في مشارق الأرض ومغاربها.

هكذا أمتنا عند حســـن الظن، أثبتـــت بمواقفها هذه وجودهـــا، الَّذين ينكرون أن هناك أمة إســـلاميَّة! هذه هي الأمة، أثبتـــت وحدتها، زعماؤها وساستها وقادتها متفرقون، لم يســـتطيعوا أن يجتمعوا في قمة، ولكن الأمة متحدة، أثبتت وحدتها، أثبتت حيويتها، أثبتت يقظتها، وإن كان الَّذي يحول بينها وبين ما تريد هم المسؤولون عن قيادة دفتها، هذه رسالتي إلى الأمة.

الرسالة الخامسة إلى أحرار العالم:

ورسالتي الخامســـة أوجهها إلى كل الأحرار وكل الشرفاء في العالم، شـــرقيه وغربيه، حتَّى في أوروبا الَّتي تتواطأ أو تصمت صمت القبور عما

QaradawiBooks.com

تفعله إسـرائيل قامت المسـيرات، حتَّى في داخل أمريكا نفسـها، قامت المسيرات في أنحاء العالم، حتَّى بعض اليهود الَّذين ينكرون على إسرائيل!

هناك يهود يعتقدون أن قيام إسـرائيل لعنة عليهـم، رأينا يهودًا من هؤلاء، ورأينا نصارى، ورأينا بوذيين، ورأينـا وثنيين، ورأينا لا دينيين، ورأينا من كل الأصناف في العالم من يقف ضد الظلم، من يقول للظالم: لا. من يقف في وجه الطغيان المتجبر الوحشي الَّذي قتل المدنيين، قتل البرآء، دمـر المنازل علـى رؤوس أهلها، تصوروا سـعيد صيام البطل المجاهد دُمِّر عليه بيت أخيـه، كان يعيش في منزل أخيه فدُمِّر عليه بين أخيه والبيوت المجاورة، واستشهد الرجل، واستشهد معه ابنه، وشقيقه، وزوجة شقيقه، وبعض أولاد شـقيقه، وبعض الجيران، عشرة قتلوا من أجل رجل واحد!

هؤلاء النَّـاس في العالم يشـاهدون هـذه المذابح الوحشـية، والحقيقـة أنَّنا نقول: الوحشـية؛ ونحن نظلم الوحـوش، الوحوش لا تفعل ذلك، الأسد لا يفترس الإنسـان إلَّا إذا جاع ولم يجد شيئًا يأكله، إن من حقه أن يـأكل! ما دام حيًّا يعيش فمـن حقه أن يملأ بطنه، فإذا لم يجد غزالة ولا شيئًا يأكله ووجد عنده إنسانًا وهو جائع افترسه، ولكنَّه إذا كان شبعان لا يمس أحدًا بسوء، فهؤلاء أقسى من الوحوش، وأشد من الوحوش.

رأى الأحرار في العالم هذه الوحشية، ولا يزال في العالم أحرار، القرآن يعلمنـا أنَّ المجتمعات لا بدَّ أن يكون فيهـا خيِّرون، يقول: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلـم: ٢٨]، ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ [يوسـف: ١٠]. لا بدَّ أن يظهر صوت خيِّر،

QaradawiBooks.com

لا يمكن أن يُجمِع النَّاس على الشـــر، تأبى ذلك فطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها.

ولذلك وجدنا هؤلاء الأحرار، ليسوا مسلمين وليسوا عربًا، ولكنَّهم كانوا أشـــرف من بعض حكام العرب، ومن الخونة الَّذين ينتسبون إلى العروبة وينتسبون إلى الإســـلام، وجدنا هؤلاء في أنحاء العالم حتَّى في أوروبا وأمريكا.

شكر الله لهؤلاء عنا، نحييكم أيُّها الأحرار، أيُّها الشرفاء، أيُّها الرجال الَّذين وقفوا مع الحق ولم ينتصروا للباطل، الَّذين قالوا كلمتهم وعبَّروا عن أنفســـهم، حتَّى في بلاد وفي دول تقف مع الباطل ضد الحق، هذه رسالتي إلى هؤلاء الأحرار الشرفاء.

الرسالة السادسة إلى حكام العرب والمسلمين:

ورسالتي السادســـة أوجهها إلى حكام العرب وحكام المسلمين، إنَّ المســـلمين على خير، ولكن الضعف فـــي قيادتهم، هكـــذا قال بعض المصلحين منذ أوائل القرن العشرين. ضعف الأمة في القيادة السياسيَّة، هم في وادٍ وشـــعوبهم في واد، أنَّهـــم لم يعودوا يعبـــدون الله، ولكنَّهم يعبدون شيئًا اسمه الكرسي، كرسي الحكم هو إلههم من دون الله إلَّا من رحم ربـــك، لا نعمم، التعميـــم دائمًا خطأ، ولكن هذا ما نشـــاهده عند الكثيرين، من أجل الحكم يوالون الصهاينة، يمدون أيديهم إلى إسرائيل، ولا يمدون أيديهم إلى إخوانهم!

هؤلاء الحكام: ماذا نقول عنهم؟! هـــؤلاء الحكام ابتُليت بهم أمتنا، لم تأت بهم الأمة لأن الأمة تُزوَّر عليها الانتخابـــات، يُزوَّر عليها رأيها

QaradawiBooks.com

فتنتخب من تكره، وترى الشخص الَّذي يكرهه النَّاس ويبغضونه في كل مكان، ولا تسمع من أحد ثناء عليه أو شـهادة له، تجد الشخص يأخذ (٩٩٪) أو (٩٥٪) إذا تنازل، الأمة تُزوَّر إرادتها عليها.

غير مرخصة للطباعة

اتقوا الله في شعوبكم:

هؤلاء الحـكام أوجه إليهم رسـالة: أن يتقوا الله في شـعوبهم، لقد حاول من حـاول أن يجمع قادة العـرب في قمة لينظـروا في أمرهم، ليواجهوا المسؤولية، ليتحملوا أمام الله، وأمام التاريخ، وأمام الشعوب، مسؤولية المواجهة لهذا الموقف، وشكر الله لدولة قطر الَّتي دعتهم إلى قمة، فلم يحضر منهم إلَّا القليل، وقال أمير قطر: كلما اكتمل النصاب إلَّا ونقص! حسبي الله ونعم الوكيل.

اجتمعت قمة في قطر، وكانت قمة ناجحة، إنَّها قمة تواجه الموقف بشجاعة، قرروا تأييد المقاومة، وتأييد صمود المقاومة، وقرروا أنَّه لا بدَّ من انسحاب العدوان، ولا بدَّ من محاكمته بعد ذلك وملاحقته، ولا بدَّ من إعادة إعمار غزة، وأنشؤوا صندوقًا لهذا الإعمار، وافتتحته قطر بربع مليار دولار.

هذه القمة الطارئة من أجل غزة حضرها اثنتا عشرة دولة من اثنتين وعشـرين، وكنا نود أن يكتمل النصاب، وأن يسـارع قادة الأمة إلى الاجتماع، إذا لم تجتمعوا في مثـل هذا الموقف فمتى تجتمعون؟ الله كتب عليكم القتـال في هذه الحالـة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦]، القتال فرض ولو احتل العدو قطعة صغيرة من أرض المسلمين، ولكن هؤلاء الحكام لم يقدروا هذا، فروا من المعركة ولم يأتوا إليها!

QaradawiBooks.com

واجتمعوا هؤلاء الحكام في قمة الكويت، وقلنا: عسى أن ينتهوا منها إلى أمر حاسم. وقال خادم الحرمين الملك عبد الله كلمة مؤثرة اصطلح بعدها عدد من الدول، ولكنها لم تؤت أكلها إلى النهاية، لم يكادوا يتفقون في أوَّل القمة إلَّا واختلف وزراء الخارجيَّة؛ فلم يتفقوا على أمور واضحة وخطوط بيِّنة؛ لأنَّهم لا يريدون أن تنتصر حماس، ولا يريدون أن تظل المقاومة سيدة الموقف، أنَّهم ينحازون لفريق ضد فريق، ولهذا لا يصلحون وسطاء، الوسيط لا بدَّ أن يكون محايدًا، الَّذي يقوم بإصلاح ذات البين لا بدَّ أن يكون عادلًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

المعركة مفروضة عليكم:

أقول لهؤلاء الحكام: إنَّ المعركة مفروضة عليكم، شئتم أم أبيتم، لا بدَّ أن تبقى المقاومة لأنَّها عنوان شرف الأمة وكرامتها، لا بدَّ أن تُمد بالمال والسلاح؛ لأن الجهاد على أهل فلسطين أولًا فرض عين، ثمَّ يمتد إلى الأمة من بعدهم، فلا بدَّ أن يُمدوا بما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم، عن حرماتهم، عن أرضهم، عن مقدساتهم، عن ذراريهم، لا بدَّ من هذا.

أمَّا أن تقول: لا يجوز إدخال السلاح إليهم، يجب أن تتوقف حماس عن التسلح. فهذا منكر، هذه كبيرة، هذه خيانة، هذه جريمة دينية وقومية وإنسانية، أن تتسلح إسرائيل بكل أسلحة الدمار، وحماس يحرم عليها أن تصنع صاروخًا تحت الأرض، صواريخ حماس ليست كصواريخ حزب الله: كاتيوشا مستوردة، ولكنها صنع محلي، يصنعونها وهم مختبئون تحت الأرض، لا بدَّ أن تبقى حماس، وأن تبقى فصائل المقاومة: الجهاد،

QaradawiBooks.com

والشـــعبية، والديمقراطيَّـــة، والصاعقـــة، وكتائب الأقصـــى، كل فصائل المقاومة يجب أن تبقى، وأن تتسلح، وأن تُمد بكل ما تحتاج إليه.

هذه رسائلي إلى هذه الجهات كلها.

الله ﷻ لن يتخلى عن المؤمنين:

وأحب أيُّها الإخوة أن أطمئنكم أنَّ الله ﷻ لن يتخلى عن المؤمنين، لن يتخلى عن غزة، لن يتخلى عن المجاهدين في فلسطين، فهو ﷻ مع المؤمنين، ومـــع المتقين، وهو الَّـــذي ينصر المؤمنيـــن، وقد قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمـــد: ٧]، وقال ﷻ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. مـــن نصره الله فلن يُخذل، ومن كان الله معه فلن يضيع، ومن توكل على الله فلن يضعف أبدًا: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لقد انتُخب أوباما وتسلم السلطة، واحتشد المحتشدون احتفالًا به، والعالم كله ينتظر ماذا سيصنع أوباما؟

هل ينتصر لجذوره الإفريقية وأصوله الإسلاميَّة، وينتصر لحقوق الإنسان وللمستضعفين في الأرض؟ أم يظل على نهج سلفه وأسلافه من قبل: مستكبرين في الأرض بغير الحق، فرحين بما أوتوا؟

نأمل أن يكون خيرًا ولا نعول عليه:

إنَّنا نأمل في هذا الرجل أن يكون خيرًا ممن سبقه، وإن كنا لا نُعوِّل على أحد بعد الله تعالى وبعد أنفسنا وسواعدنا، لا نتكل إلَّا على الله، أمَّا الاتكال على الآخرين فلن يجدي شيئًا، ولكن الإنسان من شأنه أن يتفاءل وأن يأمل الخير، وقد قال الرجل: إنَّه سيتعامل مع العالم الإسلامي بفكر جديد، وطريق جديد، يقوم على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة.

ونحن نرجو أن يكون فكره جديدًا، وأن يكون أسلوبه جديدًا، وألا يسمع إلى الشياطين، الَّذين يوسوسون في صدور النَّاس، من الجِنة والناس، نرجو في عهد هذا الرجل أن يبدأ صفحة جديدة مع العرب والمسلمين! نحن لا نشتري عداوة النَّاس، نحن نسالم من يسالمنا، ونحارب من يحاربنا، من مد إلينا يده بالخير مددنا إليه يدين، ومن مد إلينا يده بالشر حاولنا أن نقطع يده: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤]!

QaradawiBooks.com

نحن أمة السلام لمن سالمنا:

نحن أمة السلام، وربنا من أسمائه السلام، وتحيتنا في الدُّنْيا والآخرة السلام، فنحن لا نبدأ أحدًا بالقتال، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]، إذا انتهت المعركة بلا دماء ولا قتال قال القرآن: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]!

نحن لا نطلب الحرب ولا نتشوف إلى سفك الدماء، ولكنا ندافع دائمًا عن أنفسنا.

لعل أمريكا في عهدها الجديد تكون خيرًا من العهد القديم، وقد نادى الرجل بفتح المعابر، ونادى حماس أن تكف عن إرسال الصواريخ، وحماس لا ترسل الصواريخ إلَّا دفاعًا عن فلسطين، إذا لم تُضرب بصواريخ وبغيرها سكتت حماس وكفت يدها، أمَّا الَّذين ينبغي أن يكفوا أيديهم عن العدوان فهم الصهاينة المعتدون المتغطرسون، الباغون في الأرض بغير الحق.

نسأل الله ﷻ لإخواننا في غزة أن ينصرهم على عدوهم:

اللهمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك!

اللهمَّ سدد رميتهم، وقوِّ شوكتهم، واجمع على الحق كلمتهم، واحرسهم بعينك الَّتي لا تنام، واكلأهم في كنفك الَّذي لا يُضام!

اللهمَّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم عليك باليهود الغادرين الظالمين، ومن ناصرهم من الصليبيين الحاقدين، اللهم خذهم أخذ عزيز

QaradawiBooks.com

مقتدر، اللهم رد كيدهم في نحورهم، وأعد سهامهم إلى صدورهم، اللهمَّ إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهم رد عنا كيدهم، وفُلَّ حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين!

اللهمَّ يا منزل الكتاب، ويا مُجري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم!

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة!

اللهمَّ ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين!

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا؛ ربنا إنَّك رؤوف رحيم.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

١٨

فلسطين والأقصى بين الآلام والآمال[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كان ممَّا يستعيذ منه المؤمنون الصالحون باستمرار في مختلف الأعصار والأزمان شرور الفتن، فيقولون: اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. وكان خطباء المساجد على كل منبر يدعون الله تبارك وتعالى أن يُجنِّب المسلمين الكوارث والمحن، وأن يُنجيَهم من الزلازل والفتن؛ ذلك أنَّ الفتن حينما تصيب الأمَّة تُمزِّقها كل مُمزَّق، وتُغيِّر هويتها، وتُحرِّف مسيرتها.

الفتن التي تصيب المسلمين:

والفتن الَّتي تصيب المسلمين نوعان: فتنة من خارج المسلمين، وفتنة من داخل المسلمين.

فتنة من الكفار، ومن أعداء الإسلام، يحاولون أن يفتنوا المسلمين عن دينهم، بالتعذيب والاضطهاد والقتال، وبكل الأسباب الممكنة لهم.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

وهذا ما جرَّبه المسلمون في أوائل الدعوة الإسلاميَّة، حينما آمنت قلة من النَّاس بالإسلام فتعرَّضوا للاضطهاد، وتعرَّضوا للأذى، وصُبَّت عليهم سياط العذاب من كل جانب، وخصوصًا المستضعفين منهم: مَنْ ليس له قبيلة تحميه، أمثال عمار بن ياسر وأبيه وأمه، وأمثال بلال الحبشي، وهؤلاء النَّاس الَّذين لم يكونوا من قبيلة قريش، ولا من غيرها من القبائل الَّتي تستطيع أن تحمي مَنْ تحمي، وتُجير مَنْ تُجير.

كان هؤلاء النَّاس في فتنة شديدة، ومن هنا نزل القرآن يواسيهم ويُعزِّيهم، ويُثبِّت أفئدتَهُم في مواجهة هذه الشدائد وهذه المصائب، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

كانت فتن كبيرة وهائلة للنَّاس في حياتهم، وفي أبدانهم، وفي أرزاقهم، وفي أنفسهم، وفي أولادهم، وفي دمائهم، كان آل ياسر ـ عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سمية ـ يوضعون جميعًا تحت آلات التعذيب، ويمر عليهم النبي ﷺ وهم يُعذَّبون؛ فلا يملك إلَّا أن يقول لهم: «**صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنَّة**»[1]. وماتت سمية أم ياسر، وكانت أوَّل شهيدة في الإسلام، ومات أبوه ياسر، ماتا تحت العذاب.

وحتى لا يُفتن أحد في دينه، حتَّى لا يرتد عن دينه أمام العذاب الَّذي قد ينفذ صبر بعض النَّاس ولا يتحمَّله شرع الله الجهاد، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

(١) سبق تخريجه صـ١٥٤.

QaradawiBooks.com

الفتنة أشد من القتل:

واعتبر القرآن أنَّ الفتنة أكبر وأشد من القتل: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، هي من ناحية الكم أكبر، ومن ناحية الكيف أشد؛ لماذا؟ لأن القتل اعتداء على كيان الإنسان المادي، على جسمه، على بدنه، على أعضائه، على حياته الماديَّة، أمَّا الفتنة فهي اعتداء على كيان الإنسان الروحي، على عقله، على إرادته، على اختياره.

هو قد اختار الإسلام؛ فهو يُكره على أن يترك ما اختاره، هذا قتل للإنسان المعنوي، الَّذي هو حقيقة الإنسان، هذه فتنة من الخارج.

وهناك فتنة من الداخل تحدث بين المسلمين بعضهم وبعض؛ فتلتبِس عليهم الأمور، وتتغبَّش عليهم الحقائق، ويُوضع الحق في موضع الباطل، والباطل في موضع الحق، ويتأمَّر على النَّاس مَنْ لا يستحق إمارتهم، ويختلط الحابل بالنابل.

هذه الفتن الَّتي جاءت الأحاديث الكثيرة والمستفيضة تُحذِّر منها، جاء في الحديث: «**ستكون فتنٌ: القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به**»[(١)]. أي: كلما كان جهد الإنسان فيها أقل كان شره أقل، وكلما كان عمله فيها أكبر كانت مصيبته أكبر.

هذه الفتن الَّتي حذَّر منها النبي ﷺ فقال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض يسير من الدنيا**»[(٢)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٠١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١١٨)، وأحمد (٨٠٣٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هوان الدين على الناس:

من أخص خصائص هذه الفتن هوان الدين علـــى النَّاس، وعظم الدُّنْيا في أعينهم، يتَّخذون الدُّنْيا لهم ربًّا فتتخذهم لها عبيدًا، في هذه الفتن يصبح النَّاس عبيد المال، وعبيد الســـلطة، وعبيد الجاه، وعبيد المنصب، وينسون ربهم، وينســـون آخرتهم، وينســـون الواجب عليهم في ســـبيل مصلحتهم الدنيويَّة الماديَّة الآنية العاجلة، يبيعون القِيـــم، يبيعون المُثَل العليا، يبيعون الأوطان، يبيعون أهليهم، يبيعون كل شيء في سبيل هذه الخسائس.

هذه هي الفتن الَّتي حذَّرنا الإســـلام منها، والتي من شأنها أن تقسم الأمَّة بعضها على بعض، فيذوق بعضها بأس بعض.

من شر ما تُبتلى به الأمم التفرق الَّذي يجعلها شراذم، يجافي بعضها بعضًا؛ بل يعادي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا، بل يقتل بعضها بعضًا، بل تجعل بعض النَّاس ينضمُّ إلى أعدائه ضدَّ أهله وأصحابه.

هذه هي الفتن الَّتي أصبحنا نراها بأعيننا، ونلمسها بأيدينا، كنا نقرأ عنها في الكتب، ولا نكاد نُصدِّق أنَّ هذا يحدث حتَّى رأيناه عيانًا بيانًا، ولمسناه جهارًا نهارًا.

قضية العرب والمسلمين الأولى:

أرأيتـــم ما حدث فـــي قضيَّة فلســـطين؟ قضيَّة العرب الأولـــى، قضيَّة المســـلمين الأولى، القضيَّة المركزية، القضيَّة المحوريَّة، تلك القضيَّة الَّتي صار لنا فيها عشرات السنين، ونحن نعمل من أجلها، ونتحدَّث من أجلها، ونخاطب الأمَّة ونجنِّدها من أجل أن تقف أمام عدوها الَّذي يعمل ليل نهار من أجل ألا يدع لها شيئًا، يريد أن يأخذ كل شيء، ولا يترك لهم شيئًا.

QaradawiBooks.com

هذا ما رأيناه من الأعداء الَّذين خطَّطوا وفكَّروا، ودبَّروا ونفَّذوا؛ فماذا فعلنا نحن؟ إنَّنا والأعداء علـى صعيد واحد: نرتجـل وهم يخطِّطون، نتكلَّم وهم يعملـون، نهزل وهم يجِـدُّون، نتباطأ وهم يسـرعون، هم يعملون كل يوم شيئًا؛ فماذا عملنا نحن؟ ماذا عملنا نحن مسلمين؟ وماذا عملنا نحن عربًا؟ وماذا عملنا نحن فلسطينيين؟

تحريض المرء على قومه!

أرأيتـم ما حدث أيُّها الإخـوة في هذه الأيام الأخيـرة؟ لقد حدث ما لا يُعقل، ما لا يُتصوَّر، ما لا يُصدَّق، ما يُشبه الأساطير، ما يشبه أخيلة المتخيلين، أن يُحرِّض الإنسـان على أهله! يُحرِّض أعداءه على قومه! هذا ما رأيناه.

رأينا الأمـم المتحدة، ومجالس حقوق الإنسـان تتحدث عن حرب غزة، الحـرب الظالمة، الحرب الباغية، الحرب الَّتـي لم تتقيَّد بأخلاق ولا بدين، ولا بعُرف ولا بقانون، ولا بأيِّ شيء، الحرب الَّتي طغت في البلاد، وأكثـرت فيها الفسـاد، سـفكت الدماء، وهتكـت الأعراض، وانتهكت الحرمات، ودمَّـرت البيوت، ودمَّرت المسـاجد، وقتلت من المدنيين والشيوخ والنساء والأطفال ما يعلمه الجميع، وما يعلم الله به.

ثم تأتي بعض الجهات تريد أن تحق الحـق، وأن تبطل الباطل، أن تقول كلمة من أجـل الحقيقة فيأتي من قومنا، من أهلنا، مِمَّنْ يُحسـب علينا ويُنسـب إلينا مَنْ يقول لهؤلاء: لا؛ أجِّلوا هـذا الأمر. أهذا يُصدَّق يا قوم؟! أن يقف الإنسان ضدَّ أهله، يقف ضدَّ نفسه، يقف ضدَّ ذاته؟ إلَّا أن يكون هؤلاء ليسوا منَّا.

QaradawiBooks.com

وهم في الواقع ليسوا منا، هؤلاء ليسوا منَّا ولسنا منهم، لو كانوا منَّا لغاروا علينا، لحسبوا لنا حسابًا، لسعوا من أجل الأمَّة، ولكنَّهم وقفوا مع الأعداء، ثمَّ اعتذروا عن هذا الموقف، أتدرون لماذا اعتذروا؟

عذر أقبح من ذنب:

إنَّه عذر أقبح من ذنب، يقولون: أنَّهم كانوا مضطرين إلى هذا الموقف، كأنَّ العدو يمسك عليهم أشياء، لو أعلنها على النَّاس لكانت فضيحة الدهر، لكانت فضيحة العمر، إنَّه يسجل عليهم تسجيلات، وهم يطالبون الكيان الصهيوني المعتدي المستكبر، الجبَّار الساعي في الأرض بالفساد: أن يستمر في عدوانه على إخواننا في غزة، وألا يكفَّ عن عدوانه حتَّى يُرغم هؤلاء الإخوة على الركوع، وعلى الخضوع، وعلى القبول.

ولمَّا قال لهم البعض: لكن هناك مدنيون، وآخرون قد يؤخذون أثناء الهجوم على غزة؟ فقالوا: يستحقون؛ هم الَّذين انتخبوهم، اضربوهم جميعًا!

أتصدقون هذا؟ أهذا يمكن أن يحدث؟ إنَّ الشاعر العربي يقول:

وظُلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[1]

كل ظلم يمكن أن يهون إلَّا ظلم ذوي القربى، إن لم يظلمك ابنك أو أخوك أو ابن عمك، كما قال الشاعر:

(١) ديوان طرفة بن العبد صـ٢٤، شرح مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وإخـــوانٍ حسبتهمُ دروعًـــا فكـانـوهـا ولـكـن لـلأعـادي
وخِـلـتـهـمُ سـهـامًـا صائباتٍ فكانوهـا ولكـن فـي فـؤادِي
وقالـوا: قد سـعينا كل سـعيٍ فقلتُ: نعم، ولكن في فسـادي[1]

سعيتُم في فسادي، سعيتُم في قتلي، سعيتُم في التحريض عليَّ، أهذا شيء يمكن أن يُعقل، يمكن أن يُتصوَّر؟!

التحقيق الفوري في هذه الجريمة:

إنَّني من فوق هذا المنبر أدعو إلى التحقيق الفوري في هذه القضيَّة الكبيرة، بـل القضيَّة الكبرى، لا بـدَّ من تحقيق فـوري، تقوم به لجنة حياديَّة فلسطينيَّة عربيَّة إسلاميَّة، تتقصَّى الحقائق، وتُبيِّنها لنا، ثمَّ تعرضها على الأمَّة؛ لتحاكم هؤلاء محاكمـة علنيَّة، هؤلاء لا بدَّ أن تُعرف حقيقة أمرهم، ثمَّ تُعلَن على الأمَّة كل الأمَّة، فهذا أمر لا يتعلق بالفلسـطينيين وحدهم، إنَّما يتعرض بعرض الأمَّة، بكرامة الأمَّة.

فإذا ثبت أن هؤلاء قد فعلوا ذلك؛ فلا بدَّ أن ينالوا عقوبتهم، لا بدَّ أن يتجرَّدوا عما أصبحـوا يتمكنون منه، فلم يعودوا يسـتحقون أن يكونوا أمناء على هذه الأمَّة؛ كيـف تجعل الذئب راعيًا؟ كيـف تجعل الخائن مؤتمنًا؟ هذه هي المصيبة.

من علامات الساعة:

إنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ بين يدي الساعة سنين خدَّاعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيهـا الصادق، ويُخـوَّن فيها الأميـن، ويُؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة**». قالوا: وما الرويبضة، يا رسول الله؟ قال:

(١) من شعر ابن الرومي. انظر: تحرير التحبير صـ٣٣١، تحقيق د. حفني محمد شرف، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.

QaradawiBooks.com

«**الرجل التافه، يتكلم في أمر العامة**»[١]. في القضايا العامة، فهو لا يستحق أن يتصدرها.

رأينا التافهين؛ بل رأينا الخائنين، بل رأينا المنافقين، بل رأينا الَّذين يبيعون أنفسهم وأوطانهم وشعوبهم، وأديانهم وأخلاقهم، وكل شيء نفيس في هذه الدنيا: بثمن بخس، كما جاء في الحديث: «**يبيع دينه بعَرَضٍ يسيرٍ من الدنيا**»[٢]. بثمن قليل، والله تعالى سمَّى الدُّنْيا كلها ثمنًا قليلًا، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

ماذا حدث لقومنا؟

إنَّ الدُّنْيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة؛ فماذا ينال هؤلاء من جناح البعوضة؟! باعوا أوطانهم، باعوا أهليهم، باعوا شرفهم، باعوا كرامتهم من أجل جناح البعوضة، أو جزء من جناح البعوضة، خيبة الله عليكم، لعنة الله عليكم، بوؤوا بخزيكم، اخرجوا من هذه البلاد؛ فلستم أهلًا لها، لقد خنتموها في أعز ما اؤتُمنتم عليه.

ماذا جرى لقومنا؟ وماذا جرى لهذه الأمَّة؟ كانت هذه الأمَّة في الذؤابة، في القمة، في الذروة، قادت العالم حوالي عشرة قرون، كانت هي الأمَّة الأولى، كانت هي العالم الأول، كانت هي رائدة الحضارة، كانت هي أمَّة العلم والثقافة، عليها تعلَّمت أوروبا، ومنها اقتبست أوروبا، وإليها جاء النَّاس يأخذون منها العلم والعمل، والقيم والأخلاق، هذه أمَّة الإسلام!

(١) رواه أحمد (٧٩١٢)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/٤٦٥)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، كلاهما في الفتن، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١١٨)، وأحمد (٨٠٣٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يتنزل النصر حين نتمسك بديننا:

ولهذا حين تتمسك هذه الأمَّة بدينها ترتفع رايتها، وتعلو كلمتها، وتتحقَّق أمنيتها، فإذا بعدت عن دينها تمكَّن منها أعداؤها، وسُلِّط عليها خصومها، وهذا ما رأيناه في أيَّام (حروب الفرنجة) الَّتي سمَّاها الغربيُّون (الحروب الصليبيَّة)، وفي حروب التتار، هؤلاء جاؤوا من المغرب، وأولئك جاؤوا من المشرق، وتآمر الجميع على أمَّة الإسلام في غفلة منها.

ثم هيَّأ الله رجالًا من هذه الأمَّة ليذودوا عن حياضها، ويدافعوا عن حرماتها، ويردوا عنها أعداءها، وينفخوا فيها من روحهم، ويعيدوا إليها وحدتها بعد تفرق، وقوتها بعد ضعف، كان هؤلاء الرجال من أمثال عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، والمُظفَّر سيف الدين قطز، هؤلاء هم الَّذين جمعوا الأمَّة من شتاتها، وأحيوها من مواتها، وقادوا الجهاد لتحرير الأمَّة.

بمثل هؤلاء الرجال تنتصر الأمم، وبمثل هؤلاء تعز الرسالات، وبمثل هؤلاء تعلو كلمة الله في الآفاق، أمَّا الخونة والمنافقون، والَّذين يبيعون دينهم بدنياهم؛ بل بدنيا غيرهم؛ فلا يستحقون الوجود.

إنَّني أكرر وأكرر: لا بدَّ من تقصِّي الحقائق حتَّى يعرف النَّاس هؤلاء، ويكشفوا أمرهم، ويفضحوا سترهم، ويحاكموهم على جرائمهم، ويخلوهم عن مناصبهم، فلا يجوز للخائن أن يتولى أمانة الأمَّة، إنَّما يتولى أمانة الأمَّة الأمناء، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، أمَّا الضعيف وأمَّا الخائن؛ فلا يستطيع ولا يستحق أن يحمل مسؤولية أبدًا.

QaradawiBooks.com

مكانة المسجد الأقصى:

يا أيُّها الإخوة، إنَّنا في هذه الأيام نعيش في قضيَّة المسجد الأقصى، هذا المسجد الَّذي بارك الله حوله، والَّذي ربطه القرآن الكريم بالمسجد الحرام، من المسجد الحرام ابتدأ الإسراء بمحمد ﷺ، وإلى المسجد الأقصى انتهى الإسراء، ومن المسجد الأقصى عُرِج بمحمد ﷺ إلى السماوات العلا، إلى سدرة المنتهى؛ فالمسجد الأقصى هو منتهى الإسراء ومُبتدأ المعراج.

وفي المسجد الأقصى أَمَّ محمَّدٌ ﷺ الرسل والنَّبيين، وصلَّى بهم إمامًا؛ إشعارًا بأنَّ القيادة انتقلت إلى أمَّة جديدة، من أمَّة بني إسرائيل إلى أمَّة الإسلام الجديدة الأمَّة العالميَّة، الَّتي لا تنتمي إلى إسرائيل ولا إلى إسماعيل، إنَّما تنتمي إلى هذا الدين العظيم، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، لم تخرج وحدها، وإنَّما أخرجها الله للناس، لقيادة النَّاس، لهداية النَّاس، لإسعاد النَّاس، لنفع النَّاس، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ففي هذا المسجد العظيم: المسجد الأقصى، أَمَّ مُحَمَّد الأنبياء إيذانًا بهذه الرسالة الجديدة، والنقلة الجديدة، والأمة الجديدة.

يتعرض هذا المسجد الآن، بل وقبل الآن لخطر شديد، خصوصًا بعد الاحتلال الصهيوني للقدس والضفة الغربيَّة ولغيرها، في حرب ١٩٦٧م. حدثت هذه الحرب في الخامس من حزيران أو يونيو، وفي اليوم الثامن بعد ثلاثة أيام: كانوا قد أحكموا قبضتهم على المسجد الأقصى، ومن يومها وهم يفعلون ما يشاؤون بهذا المسجد المُقدَّس، حفريات من تحت، وانتهاكات من فوق، وفي كل يوم يحدث جديد، والأمَّة الآن لا تصنع شيئًا.

QaradawiBooks.com

منذ أربعين عامًا في أغسطس ١٩٦٩م. حينما قام أسترالي بمحاولة لحرق المسجد الأقصى، وحرق جزءًا من منبر صلاح الدين، ثارت هذه الأمَّة في كل مكان، في مشرقها ومغربها وشمالها وجنوبها، وأجبرت قادتها ملوكها وأمراءها ورؤساءها على أن يجتمعوا لأوَّل مرَّة في قمة إسلاميَّة، وكان باعث ذلك وهدفه هو إنقاذ المسجد الأقصى.

متى تتحرك الأمة وقادتها لنصرة المسجد الأقصى؟

الآن بعد أربعين سنة يتعرَّض المسجد الأقصى كل يوم لأخطار، خطر بعد خطر، والأمَّة لا تصنع شيئًا! حتَّى الاحتجاج القوي الصارخ الَّذي يدوِّي لا نراه ولا نسمعه، هناك احتجاجات خافتة على استحياء من هذا وذاك! فمتى تتحرَّك الأمَّة؟

ومتى يتحرَّك رؤساء الأمَّة وقادتها؟ متى يتحرك هؤلاء الَّذين تولوا أمر الأمَّة؟ هل تولوا أمورها لكي يتمتعوا بالألقاب والأموال والسيادة والرئاسة والملكية والإمارة ثمَّ لا يصنعون شيئًا لهذه الأمَّة، إذا انتُهكت حُرماتها، ودِيست مُقدَّساتها؟

إنَّ على هؤلاء الَّذين تولوا مسؤولية هذه الأمَّة أن يقوموا بواجبهم للدفاع عن هذه الأمَّة، ووالله أنَّهم قادرون على أن يصنعوا الكثير؛ لو صدقت إرادتهم، واجتمعت كلمتهم، وصمَّموا أن يفعلوا شيئًا، ولكن المشكلة أنَّهم لا يريدون، لا يريدون مجرد أن يجتمعوا، حتَّى الاجتماع لا يقومون به.

في أيَّام حرب غزة ذهب وفد للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يُمثِّل علماء الأمَّة، وقابل عددًا من هؤلاء الرؤساء والملوك والأمراء والقادة

QaradawiBooks.com

والزعماء من أجل أن يتحركوا من أجل غزَّة، وأن يجتمعوا في شكل القمة، أهذا مستحيل؟ ولكن مجرد أن يجتمع النَّاس بعضهم مع بعض، وأن يتحدَّثوا بعضهم مع بعض، وأن يتدارسوا الأمور وينظروا ماذا يجب عليهم نحو دينهم وأمَّتهم ومقدَّساتهم، لم يفعلوا ذلك!

المسجد الأقصى وقف إسلامي:

وهل المسجد الأقصى ملك الفلسطينيين وحدهم، أم هو ملك العرب والمسلمين جميعًا؟ لا شكَّ أنَّ كل مسلم ـ خاصًّا كان أو عامًّا، مثقفًا كان أو أُميًّا ـ يعرف من الأحكام الشرعيَّة أنَّ الدفاع عن أرض الإسلام واجب على الأمَّة الإسلاميَّة، لا يجوز للأمَّة الإسلاميَّة أن تُفرِّط في أي شبر من أرضها يحتله كافر، لا بدَّ أن تقاومه وأن تطارده، وأن تعيده مدحورًا، فإذا لم يستطع أصحاب هذه الأرض الدفاع عنها وحدهم فعلى جيرانهم أن يساعدوهم ثمَّ جيرانهم، وعلى الأمَّة مجتمعة أن تساعدهم بالمال والسلاح والرجال؛ حتَّى يتحرر هذا الجزء المحتل من أرض الإسلام.

فما بالكم إذا كان هذا الجزء المحتل هو من أرض النبوات، من أرض المقدسات، من أرض الإسراء والمعراج، إذا كان هذا الجزء حول المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله؟ انظروا إلى هذا التعبير القرآني: ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]. فليس المسجد مباركًا وحده؛ بل الأرض الَّتي حوله كلها أرض مباركة أيضًا.

أعداد هائلة ولكنها كالغثاء:

وهذا يوجب على الأمَّة أن تعمل ما تستطيع لإنقاذ هذا المسجد الأقصى، هذه الأمَّة الَّتي تزيد على المليار والنصف. نشرت إحدى

QaradawiBooks.com

الصحف القطرية اليوم أحدث الإحصائيات عن المسلمين في العالم، هناك محاولات دائمة للتقليل من أعداد المسلمين الحقيقيَّة في العالم، ولكن هذه الإحصائيَّة بالأرقام تقول: إنَّ المسلمين حوالي ثلاثة وعشرين في المائة (٢٣٪) من سكان العالم. أي حوالي ربع سكان العالم.

أهذه الأعداد الهائلة كثرة كغثاء السيل؟ أهم ممن يُقال: يجمعهم مزمار وتفرقهم عصا؟ لا والله، إنَّ لي ثقة بجماهير الأمَّة الإسلاميَّة، بشعوب الأمَّة الإسلاميَّة، إذا فقدنا الثقة بمعظم القادة السياسيين الَّذين خضعوا لاعتبارات معينة محليَّة وإقليميَّة، وخضعوا لوسوسات شيطانية، بعضها من أنفسهم، وبعضها من شياطين الإنس والجن، وبعضها ممَّا توسوس لهم بها القوى الاستعمارية، والقوى الصهيونية والمتربصة بهم.

جماهير الأمة ما زالت بخير:

إذا كان هذا هو حال معظم قادتنا وزعمائنا السياسيين، فإنَّ جماهير الأمَّة الإسلاميَّة بخير، هذه الأمَّة لا تموت ولن تموت أبدًا، هذه الأمَّة ستظل حامية لحرماتها، هذه الأمَّة هي خاتمة الأمم، هي أمَّة الخلود، فليس هناك كتاب بعد القرآن، وليس هناك نبي بعد مُحَمَّد ﷺ، وليس هناك شريعة بعد الإسلام، ولذلك هذه الأمَّة هي وارثة النبوات ووارثة الشرائع، ولذلك حفظها الله تعالى أن تزول أو تفنى، لا يمكن أن يُسلِّط عليها عدوًّا فيستبيح بيضتها، ويُفنيها عن آخرها، ولا يمكن أن يهلكها بالغرق أو بالمجاعة أو بالكوارث الطبيعية.

الطائفة المنصورة:

ضمن الله تعالى لرسوله مُحَمَّد ﷺ أن تبقى هذه الأمَّة، ومن بقائها أن تظل فيها طائفة يسميها العلماء (الطائفة المنصورة)، هذه الطائفة تقوم

QaradawiBooks.com

على الحق، لا يضرها مَنْ خالفها حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك، كما جاء في الحديث[١].

علينا أن نؤيِّد هذه الطائفة، هذه الطائفة موجودة في كل مكان، موجودة هنا في قطر، في الخليج، في مصر، في المغرب، في المشرق، في باكستان، في الهند، في تركيا، في كل أنحاء العالم، توجد هذه الطائفة المنصورة تحمل الراية، وتنادي الأمَّة وتوقظها وتجمعها، ولا يمكن أن تجتمع هذه الأمَّة على ضلالة، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

هذه الأمَّة المهتدية بالحق، والداعية إلى الحق، والمنصورة بالحقِّ لا بدَّ أن نقف معها، وهي موجودة في كل مكان، علينا أن نشدَّ عضد هذه الأمَّة، ونسند ظهرها، ونقف بجوارها.

وعلى هذه الطائفة المنصورة أن تتساند وتتعارف، ويتصل بعضها ببعض، ما نسميه مؤسسات المجتمع المدني، الَّذين يعملون في كل مكان، وعصرنا عصر الاتصالات وثورة الاتصالات، لم يعد هناك أحد يستطيع أن يعيش وحده، أو يعيش منعزلًا عن الآخرين.

هذه الطائفة موجودة في أمَّة الإسلام الَّتي تُمثِّل نحو ربع العالم، لا يمكن أن تنهزم أمام عصابات الصهيونية، وهم فئة قليلة، وفئة موصوفة

(١) روي في ذلك عدة أحاديث، منها: «لا يزال من أمتي أمَّة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك». متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية. ورواه مسلم في الإيمان (١٥٦)، وأحمد (١٥١٢٧)، عن جابر بن عبد الله بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».

QaradawiBooks.com

بما ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ﴾ [الحشر: ١٤]. هم هكذا لا يستطيعون المواجهة، فأمَّتنا أمَّة قويَّة لو استطعنا أن نُجمِّعها، وأن تجد قادة لها.

دور الأمة في دفع قادتها على الوحدة:

على الأمَّة المسلمة أن تجبر قادتها على التجمُّع، ونصرة هذه المقدَّسات وإنقاذها، لا يجوز أن نُفرِّط في حرماتنا ومقدَّساتنا وندعها لليهود، لهذه العصابات الإجرامية تعبث بها وتفتك بها؛ ونحن لا نفعل شيئًا، على الأمَّة أن تفعل كل ما تستطيع.

ومن هنا نادينا الأمَّة في كل مكان، من جاكرتا إلى الرباط ونواكشوط، في آسيا وأفريقيا، وأوروبا وأمريكا وحيث توجد الأقليات المسلمة في كل مكان، دعوناها إلى أن يتنادى بعضها مع بعض لنصرة هذه القضيَّة العادلة، الَّتي لا توجد قضيَّة في عالمنا اليوم أعدل منها ولا أقدس منها.

على الجميع أن يتنادوا لنصرة الحق، والحق لا بدَّ أن يعلو، لا بدَّ أن يرتفع لواؤه، فجولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

أيُّها الصهاينة، إن لكم يومًا قريبًا، إنَّ الظلم لا يدوم، إن للظلم أمدًا، وقد ظلمتم وطغيتم وأفسدتم في الأرض كل الفساد، والله ﷻ يُملي ولا يغفل، ويُمهل ولا يُهمل، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]، كيد الله أقوى من كيدهم، ومكر

QaradawiBooks.com

الله أكبر من مكرهـــم، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧].

غير مرخصة للطباعة

ماذا يجب على أمة الإسلام؟

نحن أمَّة العرب والإسلام قادرون على أن نفعل الكثير، قادرون على أن نؤيد إخواننا بأنفســنا إن اســتطعنا، فإن لم يكــن فبأموالنا، الجهاد بالنفس كالجهاد بالمال، كلاهما مشروع، إخواننا في أرض فلسطين بذلوا الأرواح، وبذلوا الأنفس كما رأينا في حرب غزة وقبلها، فعلينا أن نبذل نحن الأموال.

علينا أن نتبنَّى المشــاريع الَّتــي تُثبِّت أهل القدس، هناك مؤسَّســة القدس الدوليَّة الَّتي شرَّفني الإخوة برئاســتها، مهمتها أن تدعم الوجود الفلسطيني في القدس، وجود المسلمين والمَسِيحيِّين معًا، لأنَّ إسرائيل تعمل على تهجيرهم، وعلى تفريغ البلدة من أهلها وسكانها ليخلو الجو لهم، خلا لك الجو فبيضــي واصفِري، ونحن نقف ضد هذه السياســة الإجرامية بسياسة أخرى عربية إســلاميَّة؛ تثبِّت الوجود الفلسطيني في القدس، بتبني مشاريع صحية وتعليمية وســكانية واجتماعيَّة وبيئية إلى آخره، فعلينا أن نتبنَّى هذه المشاريع.

وعلينا أن نقاطع البضائع الأمريكيَّــة والصهيونيَّة؛ كما هو نداؤنا من قديم، ينبغي أن نشعل الجذوة باستمرار، النَّاس ينسون، وبحاجة إلى تذكير.

وعلينا أن ندعو الله تعالــى لإخواننا دائمًا، أن نكــون معهم بقلوبنا وألسنتنا، ندعو الله لهم في سجودنا، في خلواتنا، في أسحارنا، في قنوت

QaradawiBooks.com

النوازل في الصلوات: أن ينصرهم الله ﷻ علـــى أعدائهم، وأن يردَّ كيد أعدائهم في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، وأن يفتح الله لإخواننا فتحًا مبينًا، ويهديهم صراطًا مستقيمًا، وينصرهم نصرًا عزيزًا.

أسأل الله تباركت أسماؤه، أسأل الله جلَّ ثناؤه، أسأل الله ﷻ: أن يُعزَّ الإسلام والمسلمين، وأن ينصر إخواننا في القدس وفلسطين، وأن يجعل يومهم خيرًا من أمسهم، ويجعل غدهم خيرًا من يومهم؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة والأخوات، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوا الله يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

فلسطين والقدس قضيَّة الأمة:

لا بدَّ أن يحمل كلٌّ منَّا همَّ القدس، وهمَّ هذه القضيَّة قضيَّة فلسطين، ورمزها القدس، القدس هي تاج فلسطين، ومن عجب أنَّ الَّذين عقدوا ما سمَّوه (اتفاقية أوسلو) جعلوا القدس في الأشياء النهائيَّة المُعلَّقة، قضيَّة القدس مُعلَّقة، وقضيَّة اللاجئين مُعلَّقة، وقضيَّة الحدود مُعلَّقة، وقضيَّة المياه مُعلَّقة؛ إذا كان كل شيء مُعلَّقًا؛ فما الَّذي حُلَّ إذنْ؟!

عن قضيَّة فلسطين هي قضيَّة القضايا، ولا بدَّ أن يتبنَّاها كلٌّ منا، هذه ليست قضيَّة العلماء وحدهم، وليست قضيَّة الحكام وحدهم، وليست قضيَّة الفلسطينيين وحدهم، ولكنها قضيَّة الأمَّة، قضيَّة كل واحد منها، فلا تتَّكل على غيرك، أنت عليك مسؤوليَّة؛ فماذا فعلت من أجل فلسطين؟ هل حدَّثت إخوانك من أجلها؟ هل أعددت أسرتك من أجلها؟ هل تحدَّثت مع أولادك عن خطر هذه القضيَّة، عما يريد اليهود أن يفعلوه بالأمَّة؟

المشكلة أن بعض النَّاس يقولون: إسرائيل خطر على فلسطين وحدها. لا؛ بل إسرائيل خطر على الأمَّة كلها، خطر على العرب، وخطر على المسلمين، بل خطر على العالم: خطر عسكري، وخطر سياسي، وخطر اقتصادي، وخطر ثقافي، وخطر ديني، خطر من كل ناحية.

ومن هنا لا بدَّ أن نُهيِّئ الأمَّة فكريًّا وثقافيًّا، أن نُوعِّي الأمَّة بهذه القضيَّة، القضيَّة ليست خاصَّة بالفلسطينيين وحدهم، وأنا قلت كثيرًا،

QaradawiBooks.com

ولا زلت أقول: لو أنَّ الفلسطينيين تقاعسوا وتخلوا عن قضيَّتهم؛ لوجب أن ندافع نحن عنها، نركلهم ونقول لهم: فلسطين والقدس ليست لكم وحدكم، إنَّها أرض الإسلام.

ولكن الفلسطينيين لم يتخلوا عنها، الفلسطينيون منذ ما يقرب من قرن من الزمان وهم يدافعون ويقاتلون عن أرضهم: أرض الإسلام، منذ أن احتلَّ الإنجليز القدس سنة ١٩١٧م. وقال القائد الإنجليزي اللنبي: اليوم انتهت الحروب الصليبيَّة. الحروب الَّتي قامت من أجل أن تستولي على القدس وفشلت! وكأنه يقول: الآن أعدنا القدس، وانتهت الحروب الصليبيَّة، وكأنه أخذ القدس إلى الأبد في وهمه.

هكذا قال القائد الإنجليزي الَّذي دخل القدس، وقال القائد الفرنسي حينما دخل دمشق ووقف عند قبر صلاح الدين، قال بشماتة: ها قد عُدنا يا صلاح الدين. انظروا كيف تواردت الخواطر؟ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]، تشابهت قلوبهم فتشابهت مواقفهم.

هكذا يجب على كل فرد في الأمَّة أن يتبنَّى هذه القضيَّة، ويدرسها ويعيها، ويتحدَّث فيها مع غيره حتَّى تظل هذه القضيَّة حيَّة، ليست قضيَّة الحُكَّام وحدهم، ولا قضيَّة العلماء وحدهم، ولا قضيَّة الإعلاميين وحدهم، وإنَّما هي قضيَّة الأمَّة بكل أفرادها، برجالها ونسائها، تحدَّثوا مع نسائكم، مع بناتكم، مع زوجاتكم عن هذه القضيَّة، لا بدَّ أن تكون هذه القضيَّة حيَّة في رؤوس الجميع، في أفهام الجميع، هذا هو الواجب على هذه الأمَّة.

وسنقيم أيُّها الإخوة مهرجانًا يتحدَّث فيه بعض الإخوة الفلسطينيين والقطريين وغيرهم لمزيد من التنوير والتوعية حول هذه القضيَّة.

QaradawiBooks.com

أســأل الله تبارك وتعالى أن يُهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفســنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهمَّ كُــن لنا ولا تكن علينا، وأعنَّا ولا تُعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسِّر الهدى إلينا، وانصرنا على مَنْ بغى علينا، اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ انصرنا على الصهاينة الغاصبين المعتدين، وعلى حلفائهم من الصليبيــن الكائدين، وعلى جميــع أعدائك أعداء الدين، اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تجعل لهم ســبيلًا على أحد من عبــادك المؤمنيــن، اللهمَّ يا منزل الكتاب، ويا مُجري الســحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهمَّ اجعل الدائرة عليهم، وسُقِ الوبال إليهم، وأنزل عليهم بأســك الَّذي لا يُرد عــن القوم المجرميــن، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٩

المشاركة السياسيَّة في قطر(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

بعد يومين تدخل دولة قطر تجربة جديـــدة، وهي تجربة مباركة، ينبغي أن نشـــد أزرها، وأن نبارك خطواتها، تجربة إشراك الشعب في إدارة شؤونه.

وهذا ما يتَّجه إليه الإسلام، الإسلام يريد الشعب الَّذي يشارك في إدارة أمره، لا يريد الشعب الخامل الَّذي كل مهمته أن يصفِّق لحُكَّامه، وأن يسير في ركابهم، وأن يقول لهم: أحســـنتم أحسنتم. وإن أساؤوا كل الإساءة!

وليس هذا ممَّا جاءت به الديمقراطيَّة الحديثة، إن هذا الَّذي يسمونه (الديمقراطيَّة) موجود عندنا في الإسلام على أكمل وجه، مُنزَّهًا عما في الديمقراطيَّة من مساوئ وعيوب.

(١) ألقيت في مســـجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٥ مارس ١٩٩٩م، بمناسبة إجراء أول انتخابات للمجالس البلدية في دولة قطر.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الحرية والاستقلال:

الإسلام يريد للمسلم أن يكون حرًّا مستقل الشخصيَّة، يُفكر بعقله، ويقرر بإرادته، لا يريد للفرد أن يكون إمَّعة، كما قال النبي ﷺ فيما رواه الترمذي: «**لا يكن أحدكم إمَّعة، يقول: أنا مع النَّاس، إن أحسنوا أحسنت، وإن أسأؤوا أسأت. ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن النَّاس أن تحسنوا، وإن أساؤوا ألا تظلموا**»(١).

إنَّما تضيع البلاد، ويذل العباد، وتُهدر المصالح، وتضيع الأوطان بهؤلاء الإمَّعات من النَّاس، الَّذين لا شخصية لهم، ولا ذاتية لهم، قلوبهم مع عليٍّ، وسيوفهم مع معاوية، أو كما قال شوقي على لسان أحدهم:

أُحِبُّ الحُسَيْنَ ولكنَّما لِسَاني عَلَيْهِ وقَلْبِي مَعَهْ
إذا الفتنةُ اضْطَرَمَتْ في البِلَادِ ورُمْتَ النَّجَاةَ، فكُنْ إمَّعَةْ(٢)

هؤلاء الإمَّعات هم الَّذين يفسدون الأوطان، ويضرون الأديان، ويهلكون الإنسان.

نريد المسلم المستقل الشخصيَّة، ليس مقلِّدًا لأحد، لا يُقلِّد الآباء والأجداد، ولا يُقلد السادة والكبراء، فإن القرآن الكريم حَمَل حملة شعواء على أولئك الأتباع الأذناب، الَّذين خلقهم الله رؤوسًا فجعلوا من أنفسهم

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنَّه يتماشى مع القواعد العامة، والمبادئ الكلية في الإسلام.

(٢) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (المسرحيات) صـ١١٢، مسرحية مجنون، نشر الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

أذنابًا، واتَّبعوا آباءهم وأجدادهم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، تتَّبعون آباءكم وأجدادكم في الضلال، في الإثم، في الانحراف، هذا لا يجوز.

وحمل القرآن على أولئك الَّذين ساروا وراء السادة والكبراء، إن انحرفوا انحرفوا معهم، وإن ضلوا ضلوا معهم، ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨]، وجاءت آية أخرى تقول: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨]. أنتم وسادتكم وكبراؤكم، أنتم الَّذين اتبعتموهم بإرادتكم، وأضعتم شخصيَّتكم، فالإسلام يريد للفرد أن يكون مستقل الشخصيَّة.

ويريد للشعوب أن تكون مستقلة الشخصيَّة أيضًا، ألا تكون قطيعًا يسوقه سائق بعصاه، اسكت يسكت، انطق ينطق، امشِ يمشِ، تحرَّك يتحرَّك، اسكن يسكن، لا، فما هكذا تكون الشعوب، وخصوصًا في ظل الإسلام، وتحت راية القرآن، الشعب المسلم ليس قطيعًا، الشعب المسلم له رأيه، له فكره، له إرادته، وهكذا أراد الإسلام، الإسلام لا يريد النَّاس فوضى.

لا يصلحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ ولَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالهم سَادُوا[1]

لا بد من إمارة، ولا بدَّ من حكم، ولهذا قال النبي ﷺ في أبسط الأمور، في السفر: «**إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا أحدكم**»[2].

(١) ديوان الأفوه الأودي صـ٦٦، تحقيق د. محمد ألتونجي، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٨): حسن صحيح. عن أبي هريرة، ولفظه: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمِّروا أحدهم».

QaradawiBooks.com

التعاون:

ولكن ليس معنى هذا أن يستبد هذا الأمير بالأمر، ويُنفِّذ رغباته، ويضرب بإرادة الآخرين عُرْض الحائط؛ لا، بل تقوم العلاقة في الإسلام على مشاركة الرعيَّة للراعي، المرؤوسين للرئيس، المحكومين للحاكم، يجب أن يشتركوا فيما بينهم، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

المحبة:

وتقوم العلاقة على أساس المحبة بين الحاكم والمحكوم، النبي ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم** ـ أي أُمرائكم ورؤسائكم ـ الَّذين **تحبونهم ويحبونكم، ويُصلُّون عليكم وتُصلُّون عليهم** ـ أي يدعون لكم، وتدعون لهم ـ **وشرار أئمتكم الَّذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[(١)]. كراهية متبادلة، ولعنة متبادلة من الفريقين، ما هكذا يريد الإسلام.

النبي ﷺ يقول: «**ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا**». أي: لا تفتح لها أبواب السماء، ولا يتقبلها الله من أصحابها، أوَّل هؤلاء الثلاثة: «**رجلٌ أمَّ قومًا وهم له كارهون**»[(٢)]. إمام يصلي بالناس والناس تكرهه، تصلي وراءه ولا تحب أن تراه، ولا أن تسمعه، ولكن هو مفروض عليهم.

فإذا كان هذا في الإمامة الصغرى، الإمام الَّذي يؤم النَّاس وهم له

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك.

(٢) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧١)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٩/١): إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وابن حبان في الصلاة (١٧٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والطبراني (٤٤٩/١١)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٢٠٦)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

كارهون، ولا تُقبل صلاته؛ فكيف بالإمامة الكبرى؟ كيف بالذي يأتي رغم أنف النَّاس وهم يلعنونه وهو يلعنهم، ويبغضونه وهو يبغضهم، ويتمنون أن يتخلصوا منه؟ ليس هذا هو الَّذي يريده الإسلام، الإسلام يريد أن تقوم علاقة محبة وتعاون بين الحاكم والمحكوم.

الشورى:

ومن أجل هذا كان المجتمع المسلم قائمًا على الشورى، كما قال الله تعالى في وصف هذا المجتمع: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. جعل الشورى واسطة العقد بين الصلاة والزكاة.

المجتمع المسلم مجتمع يتشاور في أموره: أصغرها وأكبرها، في الأمور الفرديَّة، ما خاب مَنْ استخار، ولا ندم مَنْ استشار.

وفي الأمور الأسريَّة يشاور الرجل امرأته في زواج بناتها، حتَّى في الأمور الصغيرة مثل فطام الصبي، ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

إذا كان هذا كذلك؛ فكيف بالأمر العام: أمر الأمَّة، الأمر الَّذي يتعلق باقتصادها وسياستها وإدارتها، وأمورها العامة والمهمة؟ هنا ينبغي أن يكون أمرهم شورى بينهم.

ولهذا أمر الله رسوله بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقد جاء هذا في سورة آل عمران، وقد نزلت بعد غزوة أحد، الَّتي شاور فيها النبي ﷺ أصحابه؛ فنزل عن رأيه إلى أغلبيَّتهم، كان يرى أن يكون القتال داخل المدينة، ورأى أغلبيتهم من الشباب والمتحمسين أن يخرجوا لقتال

QaradawiBooks.com

المشركين، وكانت النتيجة سبعين شـــهيدًا من المسلمين، ولكن مع هذا قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

اســتمر على هذه المشــاورة، فالمشــاورة لا تأتــي إلَّا بخير، لأن المشاورة إن جاءت بالنجاح والنصر والتوفيق فبها ونعمت، وإن جاءت بغير ذلك تحمَّل الشعب النتيجة، فهو الَّذي رأى هذا، ولا بدَّ أن يتحمَّل المسؤوليَّة، ولا بدَّ أن ندرِّب النَّاس على تحمُّل المسؤولية.

ولذلك قال الإمام ابن عطية: الشــورى من قواعد الشــريعة وعزائم الأحكام، وأي حاكم لا يستشــير أهل العلم والديــن فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه[١].

هذه هي منزلة الشــورى، الشورى واجبة، والشــورى ملزمة، بعض العلماء يقول: على الحاكم أن يستشير، ثمَّ ينفذ ما يراه. وما قيمة الشورى إذا كان يُنفِّذ ما في رأسه هو؟ لا، لا بدَّ أن يستشــير، وأن يوضع نظام؛ بحيث إذا ظهر الحق واجتمع عليه الجميــع يُنفِّذ ما اجتمعوا عليه، فإذا اختلفوا يُنفَّذ ما تراه الأغلبيَّة، هذا هو الرأي الصواب.

بعض النَّاس يقول: إنَّ نظام التصويــت والأخذ بالأغلبيَّة ليس نظامًا إسلاميًّا، هو مستورد من الغرب. لا، بل هو من صميم الإسلام، النبي ﷺ يقول: «**من أراد منكم بحبوحة الجنَّة فليلزم الجماعة، فإن الشــيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**»[٢]. كلما كثر العدد كان الشيطان أبعد.

---

(١) تفسير ابن عطية (٥٣٤/١)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ويقول النبي ﷺ لأبي بكر وعمر في إحدى القضايا: «**لو اتفقتما على رأي ما خالفتكما**»[١]. هكذا رواه الإمام أحمد. لأنَّه سيكون رأي واحد مقابل رأي اثنين، أمَّا إذا اختلفوا فله أن يختار أي الآراء، وجاء في بعض الأحاديث: «**عليكم بالسواد الأعظم**»[٢].

وفي الستة أصحاب الشورى الَّذين اختارهم سيِّدنا عمر رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من بينهم، وهم أهل الحل والعقد من المسلمين، قال لهم: إذا وافق خمسة وخالف واحد فإما أن ينزل على رأي الخمسة وإما أن تضربوا عنقه، الخمسة أغلبية فيُنفَّذ رأي الخمسة، وإذا كانوا أربعة مقابل اثنين يُنفَّذ رأي الأربعة، وإذا كانوا ثلاثة في مقابل ثلاثة هاتوا مُرجِّحًا من الخارج، وهو عبد الله بن عمر، فإذا لم تقبلوا عبد الله بن عمر فالثلاثة الَّذين فيهم عبد الرحمن بن عوف[٣]. اعتبر لصوته مزيَّة ترجيحيَّة، كأنه جعل صوته بصوتين، فهذا هو نظام التصويت تمامًا.

---

(١) رواه أحمد (١٧٩٩٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٣٥٥): رواه أحمد، ورجاله ثقات إلَّا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ.

(٢) روي من طرق بعضها قوي، ومن ذلك ما جاء مرفوعًا عن ابن أبي أوفي قال: «يا ابن جهمان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم». رواه أحمد (١٩٤١)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات غير حشرج بن نباته، فقد وثقه أحمد ويحيى بن معين، وأبو داود، والعباس بن عبد العظيم العنبري، وقال أبو زرعة: لا بأس به مستقيم الحديث، واختلف قول النسائي فيه.... وسعيد بن جهمان صدوق له أفراد فيما قاله الحافظ في التقريب، وقال البخاري: في حديثه عجائب. وقال الهيثمي (٤١٤/٥): رجال أحمد ثقات. كما رواه ابن أبي عاصم في السنة عن ابن عمر رقم (٨٠) بلفظ: «**فعليكم بالسواد الأعظم، فإنه من شذَّ شذَّ إلى النار**». وقال الألباني: إسناده ضعيف، ورواه الحاكم بنحوه عن المعتمر بن سلمان (٢٠٠/١، ١٩٩)، وقال: المعتمر أحد أركان الحديث وأئمته؛ فلا بدَّ أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد.

(٣) رواه البخاري في حديث طويل في المناقب (٣٧٠٠)، عن عمرو بن ميمون.

QaradawiBooks.com

صحيح أنَّ النبي ﷺ كان يستشير وينزل على رأي الأغلبيَّة من النَّاس ـ كما في أحد ـ دون أن يعدَّ الأصوات، بالنظرة العامة، فإذا رأى الأكثريَّة فلا داعي للعدد، وعندما يكون الأمر محدودًا يمكن العد كما فعل عمر.

في العصر السابق ـ أيُّها الإخوة ـ كانت المجتمعات بسيطة، وكان يمكن معرفة أهل الحل والعقد من النَّاس بسهولة، فلان وفلان وفلان، ولكن عندما اتَّسعت المجتمعات وتعقَّدت، وأصبح كثير من النَّاس لا يعرف بعضهم بعضًا، وظهر شباب جدد لا يعرفهم الكبار من النَّاس، شباب تعلَّموا وحصَّلوا العلم ووصلوا إلى أعلى الدرجات، هنا يكون الانتخاب هو الوسيلة لاختيار أهل الحل والعقد.

صحيح هذه وسيلة عرفها الغربيون، وعرفها المسلمون قديمًا حينما قال النبي ﷺ للأنصار: «**اختاروا نقباءكم**». هاتوا لي نقباء منكم، صحيح لم يختاروهم بصناديق الانتخاب، وإنَّما قالوا: هذا يمثلنا، وهذا يمثلنا. لكنَّه نوع من الاختيار، والآن أمكن تنظيم الاختيار عن طريق هذا الاستفتاء أو هذا الانتخاب، فهذه وسيلة نرحِّب بها، و«**الحكمة ضالة المؤمن؛ أنَّى وجدها فهو أحق النَّاس بها**»[1].

وقد اختار المسلمون أشياء من عند غيرهم، قَبِل النبي ﷺ مشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة، وما كان هذا الأمر معروفًا عند العرب، كانوا يواجهون الخصم، أمَّا يحفروا الخندق فلا، ولذلك حينما رآه المشركون قالوا: ما كانت هذه مكيدة لتكيدها العرب.

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وقال الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦): ضعيف جدًّا. عن أبي هريرة. ولكن معناه صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

وأخذ سيِّدنا عمر فكرة الخراج من عند الفرس، فكان المسلمون يأخذون أساليب الفرس، وأخذوا أفكار كثيرة من البلاد الأخرى، مثل ضرب العملة والنقود، وتدوين الدواوين، كان عند الروم أنَّ النَّاس تُدوَّن بأسمائها، فاختار سيِّدنا عمر هذا.

لا مانع إذن أن نقتبس من عند غيرنا، بشرط أن يكون في ذلك تحقيق مصلحة لنا، وألا يخالف ذلك نصًّا مُحكَمًا ولا قاعدة شرعيَّة، وهو ما يكون في دائرة ما يسميه العلماء (المصالح المُرسَلة)، وهي الَّتي تحقِّق نفعًا للنَّاس ولم يأتِ نص من الشرع باعتبارها ولا بإلغائها.

ونظام الانتخاب عبر الصناديق ممَّا جاءتنا به الديمقراطيَّة الحديثة، ولا مانع أن نأخذ من أساليب الديمقراطيَّة وضماناتها ما نحقِّق به قاعدة الشورى الإسلاميَّة، نقتبس من جزئيَّات الحياة عند غيرنا، وندخله في نظامنا بعد أن نحوِّر ونُعدِّل فيها؛ بحيث تفقد جنسيتها الأصلية، وتصبح جزءًا من المنظومة الإسلاميَّة، هذا هو الَّذي ينبغي.

عند الغربيِّين نظام الانتخاب، والمفروض أن نقول نحن: لا يَنتخب ويقوم بالتصويت إلَّا إنسان صالح، لأنَّه شاهد، ولا يُرشَّح ولا يُنتخب إلَّا إنسان قوي أمين. ولذلك لو كان هذا المُرشَّح تاركا للصلاة لا يجوز أن يُنتخب، لو استطعنا أن نضع في شروط الترشيح: أن يكون المرشح مؤديًّا للصلاة، مجتنبًا للمسكرات، ممتنعًا عن المحرمات، وكذا. يمكن أن نضع هذا، وإذا كان ظاهر النَّاس طيِّبًا فالناخبون هم الَّذين يعرفون أحوال المرشحين، ويختارون أصلحهم.

المهم أيُّها الإخوة أنَّ العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام تقوم على هذه المشاركة، على الشورى، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

QaradawiBooks.com

النصيحة:

كما تقوم العلاقة بين الحاكم والمحكوم على النصيحة، كما قال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لأئمة المسلمين وعامتهم**»[١].

على الشعب أن ينصح، وعلى الأمير أو الرئيس أو الملك، سمِّه ما تسميه، عليه أن يستمع إلى النصيحة، وأن يرحِّب بها، كما كان سيِّدنا عمر يقول: مرحبًا بالناصح أبد الدهر، مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشيًّا، رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوب نفسي[٢].

ولما قال له بعض الناس: اتَّقِ الله يا أمير المؤمنين. فغضب عليه بعض أصحابه، قالوا: كيف تقول هذا لأمير المؤمنين؟ فقال عمر: دعه؛ لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها[٣]. لا بدَّ أن نبذل النصيحة، ولا بدَّ أن نسمعها.

بل كان الأمراء يشجِّعون النَّاس على النصيحة، أوَّل خطبة خطبها الخليفة الأوَّل أبو بكر الصديق قال فيها: أيُّها النَّاس، إنِّي وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، إن رأيتموني على حقٍّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فقوِّموني ـ أصلحوني، قوِّموا عوجي ـ أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإنْ عصيتُه فلا طاعة لي عليكم[٤].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، عن تميم الداري.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ٢١٧، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٣) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٧٧٣/٢)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩هـ.

(٤) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٦١/٢)، تحقيق مصطفى السقا، نشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م، وابن كثير في البداية والنهاية (٨٩/٨، ٩٠)، وصحح إسناده، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وقال عمر بن الخطاب يومًا: أيُّها النَّاس، مَنْ رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقوِّمني. فقام رجل من الأعراب وقال: والله يا ابنَ الخطَّاب لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بحد سيوفنا. فماذا قال عمر؟ قال: الحمد لله الَّذي جعل في أمَّة مُحَمَّد مَنْ يُقوِّم اعوجاج عمر بحد سيفه[١]. سرَّه أن يكوه في المسلمين هؤلاء الأقوياء، فالأمم ترقى وتقوى بهؤلاء الأقوياء، لا بالأذناب الَّذين يصفِّقون لكل شيء.

الإسلام يقوم على هذا التناصح والتعاون، والتحابّ والتشارك، بين الحاكم والمحكوم؛ حتَّى تصير الأمة كلها جبهة واحدة، وكتلة متراصة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، هكذا أراد الإسلام من أمته ومن شعوبه، حتَّى إذا جاءت محنة أو جاءت مهمة استعان الحاكم بالشعب فوجده معه، كما قال ذو القرنين: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]. يوظِّف قوى الشعب في العمل بدل أن تظل هذه القوى مُهمَلة معزولة لا تفعل شيئًا، ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، هاتوا قطع الحديد، وأقام من هذا سدًّا عظيمًا بالتعاون بين الحاكم والمحكوم.

الطاعة في المعروف:

وعلى المحكوم أن يسمع ويطيع في غير معصية، في المنشط والمكره، في العُسر واليُسر، فيما يُحب وفيما يكره، إذا أُمر عليه الطاعة ما لم يُؤْمَر بمعصية؛ فإن الله تعالى قال لرسوله في بيعة النساء: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]. أي: لو أمرهم في غير المعروف فلا طاعة له، وإذا كان هذا في شأن رسول الله ﷺ فكيف بغيره من البشر؟ «**لا طاعة في معصية، إنَّما الطاعة في المعروف**»[٢].

(١) ذكره على بن خلف في كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد (١٩١/١).

(٢) مُتَّفقٌ عليه: رواه البخاري في أخبار الآحاد (٧٢٥٧)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٠)، عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

إذا اختلف النَّاس مع حكامهم هناك مرجع يرجعون إليه، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]. أجمع العلماء على أنَّ الردَّ إلى الله يعني الردَّ إلى كتابه، والردَّ إلى رسول الله بعد وفاته يعني الردَّ إلى سنته.

علينا أن نرجع إلى الكتاب والسُّنَّة، ونبحث فيهما في ضوء المقاصد العامة للشريعة، لا ينبغي أن ننظر في الجزئيَّات ونترك الكليَّات، أو ننظر في نص وندع باقي النصوص، أو ننظر في الظواهر ونغفل المقاصد، لا، بل ينبغي أن ننظر نظرة صحيحة تدل على فقه صحيح في الإسلام.

بين الشورى والديمقراطيَّة:

هذا ما يريده الإسلام من هذه الأمَّة، أن تكون أمَّة تتشاور فيما بينها، وتقف صفًّا واحدًا لا يستطيع أن يخترقها عدو، وليس هذا من صنع الديمقراطيَّة كما يقولون، الديمقراطيَّة تستطيع أن تُحِلَّ كل شيء، وأن تُحرِّم كل شيء إذا شاءت، ولكن الشورى عندنا نحن المسلمين لها ضوابطها، نحن إذا أخذنا الديمقراطيَّة نأخذ منها ـ كما قلت ـ الأساليب والكيفيات والضمانات، ولكن على أن نلتزم بالإسلام، نريد ديمقراطيَّة في مجتمع مسلم يحتكم إلى الشريعة، ويرفض الانحراف عنها، ويُحلُّ ما أحلَّ الله، ويُحرِّم ما حرَّم الله، ويُعظِّم ما عظَّم الله، ويُنكر ما أنكر الله.

في الديمقراطيَّة قالوا: يستطيعون بأغلبيَّة معيَّنة أن يلغوا الديمقراطيَّة نفسها. وقال بعض الحكام العرب: إن للديمقراطيَّة أنيابًا تجعلها في بعض الأحيان أشرس من الديكتاتوريَّة. يستطيع أن يُنشئ قوانين بأغلبية معينة يجعلها تعض وتأكل بأنيابها ومخالبها.

QaradawiBooks.com

وللأسف معظم الديمقراطيَّة الَّتي يأتون بها في بلاد المسلمين مزيفة، تُزيِّف إرادة الشعب، ولذلك اشتهر في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة هذه التسعات الأربع (٩٩,٩٩٪)، أي ديمقراطيَّة هذه؟ النَّاس لا يجمعون على شيء.

ولذلك نحن نريد أن نأخذ خير ما في الديمقراطيَّة، وأن نتنزَّه عن شرِّ ما فيها، بعض البلاد الديمقراطيَّة أباحت اللواط، الشذوذ الجنسي، بل أباحت أن يتزوج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، الأسرة الَّتي يسمونها اليوم الأسرة الوحيدة الجنس، أو الوحيدة التكوين، أقرت ذلك الديمقراطيَّة!

ديمقراطيتنا مربوطة بالشريعة، مشدودة إليها، نأخذ منها الأساليب، ولكن ينبغي أن تبقى الروح إسلاميَّة، وتبقى القواعد إسلاميَّة، عندنا ثوابت لا يجوز تجاوزها بحال، فهذا هو الَّذي نريده.

خطوة طيبة تستحق التنويه:

نحن نريد أن نشرك الشعوب مع حكامها، ولذلك ننوِّه بهذه الخطوة الطيِّبة الشجاعة، من دولة قطر ومن قيادتها، أنَّها تريد أن تشرك الشعب، اليوم انتخاب المجلس البلدي، وغدًا انتخاب مجلس الشورى، بدل أن يُعيِّن الأمير النَّاس وهو رأي فرد، لا، نريد أن يختار النَّاس نُوَّابهم، هم الَّذين يُمثِّلونهم، وهم الَّذين يختارونهم، ويتحمَّلون المسؤوليَّة عن اختيارهم، تدريب الشعوب على هذا هو الأسلوب الحكيم، وهو الَّذي ينبغي أن يُشجَّع، فما كانت الشورى إلَّا خيرًا، وما كان الاستبداد إلَّا شرًّا.

حملة الإسلام على الاستبداد:

من قديم الزمان شدَّد الإسلام النكير على الفراعنة والجبابرة المتألهين في الأرض، أمثال نمروذ الَّذي حاجَّه إبراهيم في ربه فقال له:

QaradawiBooks.com

﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. فقال هذا المتجبر: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وجاء برجلين من عرض الطريق؛ فحكم عليهما بالإعدام، وأمر سيَّافه فقتل أحدهما، وقال للآخر: عفوت عنك. قال لإبراهيم: انظر، أنا أحيي وأميت، هذا عفوت عنه، والثاني قتلته فأمتُّه. هذا هو الجبروت، اثنان يأتي بهما ويحكم عليهما بالإعدام بلا ذنب، أي جبروت وطغيان واستبداد أكثر من هذا؟

ولذلك كان الطغيان دائمًا مقرونًا بالإفساد، ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ [الفجر: ١٠ ـ ١٢]، فرعون المتأله في الأرض الَّذي قال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٤]، العلو في الأرض هو الطغيان والاستكبار والتَّجبُّر والتسلُّط على النَّاس، ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، العلو والإفساد دائمًا لا ينفصلان، علا وأفسد، وعلا وأسرف، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]، ﴿وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [إبراهيم: ١٥]، ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر: ٣٥]، يقف الإسلام ضد هؤلاء الجبابرة المستكبرين في الأرض، المتألِّهين على النَّاس، ويريد هؤلاء الحكام الَّذين يعيشون مع النَّاس بشرًا مثلهم.

كما ينكر القرآن على الشعوب الَّتي تستسلم لهؤلاء، وتسير في ركابهم، وتتمسح بأعتابهم، وتحرق البخور بين أيديهم، يرفض الإسلام هذا. النبي ﷺ يقول: «**إذا رأيت أمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم. فقد تُودِّع منهم**»[1]. يعني لا خير فيهم، فكيف إذا كانت الأمَّة تقول للظالم:

(١) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والبزار (٢٣٧٥)، والحاكم في =

QaradawiBooks.com

أيُّها البطل، أيُّها المحرر، أيُّها المنقذ، أيُّها العظيم؟ أمَّة كذلك بطن أرض خيرٌ لها من ظهرها.

أنكر القرآن على هذه الشعوب الَّتي تستسلم لهؤلاء الجبابرة، قال الله تعالى على لسان نوح: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١]. اتَّبعوا هؤلاء الكبراء، وتركوا الداعي إلى الله وإلى إنقاذهم.

وقال تعالى في شأن عاد قوم هود: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٩، ٦٠].

وقال عن قوم فرعون: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، وفي آية أخرى قال: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

لم ينكر القرآن على الفراعنة وحدهم، وإنَّما أنكر على أقوامهم وشعوبهم الَّذين اتبعوهم، فهم الَّذين صنعوا هؤلاء المتألِّهين والفراعين، قالوا في الأمثال: قيل لفرعون: يا فرعون، ما فرعنك؟ قال: لم أجد أحدًا يردني. لم يقل لي أحد: قف عند حدك. فازددت فرعنة وتألُّهًا.

لا بدَّ للأمَّة أن تتربى على قوة الشخصيَّة، أن تقول الحق لا تخاف في الله لومة لائم، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

= الأحكام (٩٦/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

ملكة سبأ نموذج للحاكم الراشد:

ليس هناك أفضل من أن يشـرك الأمير أو الرئيس أو الملك الشـعب معه، يشتركون معًا في إدارة الأمور، ويخلي نفسه من كثير من المسؤولية، كما حكى القرآن عن تلك الملكة، ملكة سبأ الَّتي قصَّ علينا القرآن قصَّتها في سـورة النمل، وجاء الهدهد إليها بكتاب سليمان: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمـل: ٣١]. فجمعت قومها وقالـت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]. لا أقضي في أمر من الأمور المهمة حتَّى تحضروا وتشهدوا، وتدلوا بدلوكم، وتقولوا رأيكم، ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]، إلى آخر القصة.

قادت المرأة قومها بحكمة وحسن سياسـة وحسن عقل، لم تستغل هذا التفويض في أن ترتكب الحماقة، أو تتبع الهوى، ولكن سارت في غاية من الحكمة، وغاية من السياسـة الرائعة، حتَّـى انتهت بقومها إلى خيري الدُّنْيـا والآخرة معًـا، ولم تخـض حربًا خاسـرة لا معنى لها، وأسلمت هي وقومها مع سليمان لله رب العالمين.

هذا ما يريده الإسـلام أيُّها الإخوة، وهذا ما نريده من شعوبنا، نسأل الله ﷻ أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يحسـن عاقبتنا جميعًا في الأمـور كلها، ويجيرنا من خـزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تجربة ديمقراطيَّة جديدة في قطر:

بعد يومين تخوض قطر تجربة انتخاب أعضاء المجلس البلدي، وهي خطوة مُوفَّقة، نرجو أن تتبعها خطوات وخطوات، حتَّى تصل إلى الغاية المنشودة في إشراك الشعب في إدارة شؤونه، وتدريبه على ذلك.

وإنَّا نرجو من الإخوة المواطنين في دولة قطر أن يأخذوا الأمر مأخذ الجد، وأن يعتبروا أنَّ الانتخاب واجب عليهم، الواجب على كل مواطن أن يُسجِّل نفسه، فإذا كان قد حصل فالواجب على كل مَنْ سجَّل نفسه أن يذهب لأداء الانتخاب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. المنتخب شاهد، يشهد أن هذا الشخص أصلح من غيره لتمثيل هذه الدائرة، وأنت دُعيت لأداء هذا الواجب والإدلاء بصوتك؛ فلا تتخلَّ عنه، يجب ألا تتأخَّر عن الشهادة ولا تكتمها، ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ويجب أن تشهد لله، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]. لا يكن همك أن ترضي ابن قبيلتك، أو ترضي جارك، أو ترضي صديقك، أو تجامل رئيسك، هذا أمر لا مجاملة فيه، قل الحق، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، حتَّى على نفسك، على أبيك، على أخيك، على أقرب النَّاس إليك وأعزهم عليك، كن قائمًا بالقسط، شاهدًا بالعدل لله.

QaradawiBooks.com

لا تمنعك محبَّة محب، ولا كراهية كاره أن تقول الحق والعدل، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]، وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

قل ما ترى أنَّه الحق، انتخب الأكثر أمانة وقوة، إذا كانوا كلهم أقوياء اختر أحسنهم، إذا كان فيهم قوي أمين، وقوي ليس أمينًا، فإيَّاك أن تختار غير القوي الأمين؛ فإن ذلك يكون خيانة، وتكون هذه شهادة زور عليك، لا تشهد زورًا. جاء في الحديث: «**عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى**». والله تعالى يقول: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠][1]. فقرن بينهما، والاقتران يدل على قرب الأمر بعضه من بعض، لا تقل زورًا، ولا تشهدًا زورًا.

اشهد لمن تعلم أنَّه أحق حسب ما تراءى إلى علمك، إذا كنت تعرفه شخصيًّا فقل بما تعلم، وإذا لم تعرفه اسأل عنه مَنْ يصدقك القول، ومَنْ يعرف مدخله ومخرجه، اعرف الرجل من جيرانه، من زملائه، ممَّن لا يخشى في الله لومة لائم، وكوِّن رأيك عن أصلح المرشحين، وقل ما ترى أنَّه حق، هذا هو الواجب علينا، لا بدَّ أن ندرب أنفسنا على هذا الأمر.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفق الناخبين في هذا البلد إلى اختيار أصلح الأشخاص: علمًا وعملًا وسلوكًا، ورغبة في خدمة هذا

(١) رواه أحمد (١٧٦٠٣)، وقال مُخَرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأقضية (٣٥٩٩)، والترمذي في الشهادات (٢٢٩٩)، وقال: حديث غريب. وضعفه الألباني في الضعيفة (١١١٠)، عن أيمن بن خريم.

QaradawiBooks.com

الوطن، ونسأل الله أن يوفق المرشحين إلى أن يقوموا بواجبهم المنشود إن شاء الله.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تفجيرات سامرَّاء
حقائق ونداءات(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في الأسابيع الماضية كانت أمَّتنا الإسلاميَّة من المحيط إلى المحيط، من جاكرتا والفلبين إلى موريتانيا والرباط، كانت الأمَّة كلها مشغولة بالدفاع عن حرمات نبيِّها مُحَمَّد ﷺ الَّذي أساء المسيؤون إليه أبلغ الإساءة؛ فانتفضت الأمَّة كلها على اختلاف أوطانها شرقًا وغربًا، وعلى اختلاف عروقها عربًا وعجمًا، وعلى اختلاف مذاهبها سنة وشيعة، وعلى اختلاف طبقاتها أغنياء وفقراء، هبَّت الأمَّة كلها في وحدة رائعة لتدافع عن حرمة نبيها مُحَمَّد ﷺ.

وكانت هذه الوحدة من بركات هذه المحنة، فمن الشر ما يأتي بالخير، ومن الضرر ما يأتي بالنفع، وربَّ ضارة نافعة، وكم من منحة في طيِّ محنة، وكما قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٤ فبراير ٢٠٠٦م.

غير مرخص للطباعة
نسخة معدلة

كان من بركات هذه المحنة أن اتَّحدت الأمَّة من مشرقها إلى مغربها، وقلنا: الحمد لله؛ الأمَّة الَّتي مزَّقها الساسة شذر مذر تبعًا لاختلاف الاتجاهات، واختلاف المذاهب المستوردة، واختلاف الولاءات، واختلاف العصبيَّات، هذه الأمَّة وحَّدتها المشاعر نحو نبيِّها مُحَمَّد ﷺ.

هذه الأمَّة الكبرى الَّتي تبلغ مليارًا وثلث مليار من البشر، تشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتؤمن بالقرآن منهاجًا وإمامًا، وترضى بالله ربًّا وإلهًا، وترضى بمحمد نبيًّا ورسولًا، وترضى بالإسلام دينًا ورسالة، هذه الأمَّة وحَّدتها هذه المشاعر، وقلنا: الحمد لله أنْ توحَّدت هذه الأمَّة الكبيرة في هذا الموقف العصيب، وفي هذا الزمن الرهيب.

ولكنا لم نكد نفرح، أو لم تطل فرحتنا بهذه الوحدة الإسلاميَّة المحمديَّة القرآنيَّة لأمَّتنا الكبرى، فإذا بنا نرى حدثًا غريبًا مُروِّعًا يُمزِّق أمَّتنا من جديد، هذا الحادث الغريب المروِّع، الغريب في نوعه، الغريب في وصفه، الغريب في توقيته هو تفجير قبة الإمام علي الهادي رضي الله عنه في وطننا العربي المسلم الحبيب: العراق، وفي مدينة سامراء.

هذا الحدث أقلق الأمَّة كلَّها، وأقلق أصحاب الرأي والحكمة الَّذين يعرفون ماذا تفعل هذه الحوادث في الأمَّة؟ فتفجير هذه القبة ليس هو المخوف، ولكن المخوف تفجير الأمَّة ليعادي بعضها بعضًا، ويقاتل بعضها بعضًا، هذا هو الخطر، ولذلك أنكرنا هذا الحدث منذ وقوعه، كما أنكرنا كل حادث يقع لإخوتنا الشيعة.

حينما قُتل السيد باقر الحكيم وهو خارج من المسجد يوم الجمعة، وكنت في محاضرة في القاهرة، واتَّصلت بي قناة (الجزيرة) لأعلق على

QaradawiBooks.com

هذا الحدث، أوقفت المحاضرة وعلَّقت على هذا الحدث، وأنكرت على فاعليه، وقلت: إنَّ هـؤلاء لم يراعوا حرمة الزمـان، ولا حرمة المكان، ولا حرمة الإنسان، لم يراعوا حرمة شهر رجب، وهو من الأشهر الحرم، ولا يـوم الجمعة، وهو خيـر أيَّام الأسـبوع، ولا حرمة المـكان، وهو المسـجد الَّذي خرج منه الرجل، ولا حرمة الإنسان المتوضئ المصلي الخارج من المسجد. أنكرت هذا بصراحة وبنزاهة، لا أريد إلَّا وجه الله، لأنِّي أعرف المعروف وأنكر المنكر.

وحينما اعتُدي على العتبات المُعظَّمة في مدينة النجف، أنكرت هذا الاعتداء، وأصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسـلمين بيانًا يُنكر فيه هذا الحدث، وكذلك فعلنا حينما اعتدي على مرقد الإمام الهادي.

ولكنِّي أحب هنا ـ أيُّها الإخوة ـ أنْ أبيِّن عدَّة حقائق لا بدَّ منها:

١ ـ الاتفاق على إنكار الحادث:

الحقيقة الأولى: أنَّه لا خلاف بيـن عالِم وعالِم في إنكار هذا الأمر، لم يخالف أحد من علماء أهل السُّـنَّة في إنكار هذا الحدث، كل علماء السُّنَّة من العرب والعجم، وفي المشرق والمغرب أنكروا هذا الحدث.

صحيح أنَّ هناك من يرى أنَّ إقامة القباب على القبور بدعة من البدع، ولكن مهما يكن الرأي في هذه الأشـياء؛ فهي موجودة عند أهل السُّنَّة، كما هي موجودة عند أهل الشـيعة، وكم هناك من مئات وآلاف المقابر والأضرحة، عليها قباب، في ديار أهل السنَّة؛ فلماذا يُنكر هذا وحده؟!

ثـم إنَّ حرمة هـذه المقامات لـن تقل عن حرمـة الصوامـع والبيع والكنائس، الَّتي حماها الإسلام، وشرع القتال للدفاع عنها كما قالت الآيات

QaradawiBooks.com

في سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

أي أنَّ قتال المسلمين ليس للدفاع عن دينهم ومساجدهم فقط، ولكن للدفاع أيضًا عن الصوامع والبيع والصلوات، عن معابد اليهود والنصارى، ولن تكون هذه المراقد والمقامات بأقل حرمة من البيع والكنائس، ولذلك لا خلاف بين أهل السُّنَّة في إنكار هذه المقامات والقباب.

وحتى الَّذين يرون هذه المقامات والقباب من البدع لا يجيزون أن تذهب إليها وتدمرها، لأنَّ إنكار المنكر وتغييره باليد له شروط، ومن أبرز هذه الشروط وأهمها: ألا يترتب على تغيير المنكر فتنة: فتنة في الأرواح، وفتنة في الأموال، لا يجوز أنْ تزيل المنكر إذا ترتَّب عليه منكر أكبر منه، هذا أمر متَّفق عليه بين علماء المسلمين، هذه هي الحقيقة الأولى، أنَّنا جميعًا ننكر هذا الأمر.

٢ ـ الجهل بمرتكب الحادث:

الحقيقة الثانية: أنَّ هذا الأمر لا يُعرف مَنْ الَّذي قام به؟ يقول بعضهم: أهل السُّنَّة هم الَّذين قاموا بهذا الأمر. والواقع أنَّ هذا المرقد يوجد في منطقة سنية، والَّذي يشرف عليه هم أهل السنَّة، أوقاف أهل السُّنَّة هي الَّتي تشرف على هذا المرقد، سدنته من أهل السنَّة، ولهم مئات السنين ـ حوالي اثني عشر قرنًا ـ يحرسون هذا المرقد ويقومون بخدمته، فما الَّذي يجعلهم يغيِّرون موقفهم، ويقومون بهدم هذه القبة؟ لا يُتصور من سُنيٍّ في العراق أن يقوم بهذا.

QaradawiBooks.com

ويقول بعضهم: التكفيريون هم الَّذين قاموا بهذا الأمر. حتَّى التكفيريين لا نعرف: أهم الَّذين قاموا بهذا أم غيرهم، ممَّن يريد أنْ يلصق التهمة بهم؟ لأنَّ التكفيريين همهم في هدم المقابر، وهؤلاء تركوا القبر وهدموا القبة، فهل هذا فعل التكفيريين؟ إنَّ التكفيريين أوَّل همِّهم أنْ يحطموا هذا القبر، ويدمروه ويزيلوه.

وعلى كل حال لم يقم تحقيق في هذا الأمر، لا تحقيق أمني، ولا تحقيق قضائي حتَّى نعرف: مَنْ الفاعل؟

والناس يتساءلون: مَنْ المستفيد من وراء هذا؟ كل جريمة ترتكب يسأل الناس: مَنْ المستفيد من ورائها؟ لأنَّ معرفة المستفيد من وراء الجرائم تشير إلى الفاعل، وتدل عليه؛ فمَنْ المستفيد من وراء هذا الأمر؟ مَنْ فعله؟ مَنْ دبره بليل؟ مَنْ خطَّط له بدهاء وإحكام وقام بتنفيذه، ثمَّ أفلت ولم يمسك به أحد؟

ثم إنَّ هذه المزارات لا تخلو عادة من زائرين ليلًا أو نهارًا، وقد وقع الحادث في الساعة العاشرة ليلًا، ليس في منتصف الليل ولا بعد منتصف الليل، فكيف فُعِل هذا الأمر؟ وكيف قُطع الطريق لمدة ثماني ساعات ولم تحس بذلك قوَّات الأمن، ولم تحس بذلك الشرطة، ولم تحس بذلك الاستخبارات، ولم تحس بذلك قوات الاحتلال؟ كيف حدث هذا؟ هذا ما يسفر عنه تحقيق بعد ذلك، أمَّا نحن الآن فلا نستطيع أنْ نُحدِّد مَنْ الفاعل؟ هذه هي الحقيقة الثانية.

٣ ـ دعوات للتظاهر فاقدة للحكمة:

الحقيقة الثالثة: أنَّ آيات الله الكبار: آية الله العظمى السيد علي السيستاني، ومعه ثلاث آيات من الكبار في العراق: دعوا الشيعة إلى

QaradawiBooks.com

التظاهر السلمي، ودعوهم ألا ينتقموا من أهل السنَّة، ولكن الشارع الشيعي استجاب لهم في التظاهر، ولم يستجب لهم في أنْ تكون التظاهرة سلميَّة.

وكنا نود من آيات الله ألا يدعوا إلى هذه التظاهرات أساسًا؛ لأنَّ هذه التظاهرات من العوام هي الَّتي يمكن أن يدخلها أناس لهم أهداف ودوافع خاصة، وهي الَّتي تُستغل من السياسة وأصحابها؛ فكان الأوْلى ألا يُدعى إلى التظاهر، كنت أود من آيات الله أن يكونوا أكثر حسمًا، وأشد حزمًا، وألا يدعوا الزمام يفلت، أن يسكتوا الشيعة حتَّى يتبيَّن الأمر.

أمَّا أن يدعوا إلى تظاهرات يفلت فيها الزمام، ويتمادى فيها العوام، وتُسفَك فيها الدماء، وتُزهَق فيها الأرواح بغير رحمة ولا حساب، فهذا ما لم نكن نريده أبدًا، هذه هي الحقيقة الثالثة الَّتي كانت سببًا في الحقيقة رابعة.

٤ ـ الاعتداء على أهل السنة:

الحقيقة الرابعة: أنَّ أهل السُّنَّة قد وقع عليهم ـ أيُّها الإخوة ـ اعتداء عنيف شديد، صبَّ العوام والرعاع من الشيعة ـ ومنهم أناس مأجورون مدفوعون ـ نقمتهم على مساجد أهل السنَّة، يرمونها بالقاذفات، يحرقونها بالنيران، حتَّى المصاحف أحرقوها، وقتلوا عددًا من الأئمَّة فيها، واقتادوا عددًا آخر إلى أماكن لا نعلم أين هي؟ وقتَّلوا عشرات النَّاس في الشوارع!

بالأمس قالوا: أنَّهم وجدوا مائة وثلاثين جثة من أهل السُّنَّة، مُلقاة بالشوارع في أماكن شتَّى. واليوم أبلغني بعض الإخوة في العراق: أنَّ العدد يتزايد، وأنَّ بغداد لا تزال الدماء فيها تُراق، ولا تزال تُقطع الأعناق!

QaradawiBooks.com

ما هذا الَّذي يحدث؟ كيف يستجيز إخواننا من الشيعة أن يقتلوا أهل السُّنَّة بغير ذنب جنوه، وبغير جُرم اقترفوه؟ وكيف اتَّهموا إخوانهم أهل السُّـنَّة في العراق بأنَّهم الَّذين فعلوا هـذا؟ ما الدليل عندهم على هذا؟ أيقتلون النَّاس بالشبهة وبالظنَّة؟

هذا ما لا يجـوز، إنَّ المسـلم دمه معصـوم، فهؤلاء الَّذيـن قُتلوا معصومو الدم في كل مذاهب المسلمين: سنَّة، وشيعة، وإباضية، وزيدية، وغيرها، لا يجوز قتل امرئ مسلم بغير حق.

الرسول ﷺ يقول: «**لزوال الدُّنْيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق**»[1]. فكيف تُزهق هذه الأرواح كأنَّما هي حشـرات؟ تُقتل بالعشرات وبالمئات، ولا يزال الأمر يتكاثر ساعة بعد ساعة، هذا أمر لا يُقبل إطلاقًا.

إنَّ الله تعالى يقول: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. وهـؤلاء لم يَقتلوا أحدًا حتَّى يُقتص منهم، ولم يقطعوا الطريق، لم يحاربوا الله ورسوله، ولم يسعوا في الأرض فسـادًا؛ فكيف تُزهق أرواحهم؟ وكيف تُقطـع أعناقهم؟ وكيف يُرموا في الطرقات جثثًا لا يُعرف أصحابها؟ هذا أمر لا يجوز أبدًا.

إنَّنا أنكرنا هدم القبة، ولكن قتل المسـلم البريء أعظم عند الله من هدم القبة، فالقبـة يمكن أنَّ تُعـوَّض، ويمكن أنَّ تبنى قبـة أغلى منها وأروع، وقد أعلنت أمريكا أنَّها مسـتعدَّة للمسـاهمة في إعادة القبَّة، إذا كانت القبَّة مُعظَّمة عند أهلها فحُرمة المسلم أعظم!

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعًا، وموقوفًا، ورجح الموقوف، والنسائي في تحريم الـدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصحَّحه السـيوطي فـي الصغير (٧٢٣٦)، والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وقد روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ نظر إلى الكعبة، وقال لها: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والَّذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله منك، حرمة دمه وماله وألا نظن به إلَّا خيرًا**»[١]. حرمة الإنسان المؤمن فوق حرمة المباني مهما عظمت، فالمباني يمكن أنْ تُعوَّض، ولكنَّ الروح لا تُعوَّض.

كيف أجاز إخواننا لأنفسهم أنْ يقتلوا إخوانهم من أهل السُّنَّة بدم بارد، وبأعصاب هادئة، ويلقونهم في الطرقات؟ ولا زال الأمر ساريًا إلى اليوم، أين آيات الله؟ أين المشايخ الكبار؟ لا بدَّ أنْ يصدر منهم ما ينكر هذا كل الإنكار.

إنَّ العراقيين عاشوا قرونًا طويلة وهم يستظلون بظل الأخوة الدينية المشتركة، الرابطة الوطنيَّة الواصلة، والوشيجة العشائرية الَّتي تربط بين بعضهم وبعض، العشيرة الواحدة فيها سنَّة وفيها شيعة، وهكذا عاش العراقيون أزمانًا متطاولة، لا يشعرون بهذا الحقد الأسود، بهذه المرارة الكريهة، بهذه العصبيَّة الحادة الَّتي توجد عند آخرين، فما الَّذي غيَّر من سلوكهم؟ ما الَّذي طرأ عليهم في هذه الآونة؟ إلَّا أنْ تكون هناك أيدٍ خفيَّة تعمل من وراء ستار، تعمل لإفساد ذات البين، تعمل لتمزيق الشعب الواحد، والوطن الواحد، وهذا ما نخشاه!

ولذلك نُحذِّر إخوتنا أنَّ يستجيبوا لهذه المكايد الكبيرة، ويضرب بعضهم رقاب بعض، وقد حذرنا النبي ﷺ في حجة الوداع قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٢].

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٣٢)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٨٥٢) مرفوعًا. ورواه موقوفًا الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٢)، وحسنه، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٦٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

لن يقف الشارع السني صامتا:

إنِّي لأخشى بعدما فعل الشارع الشيعي ما فعل بأهل السُّنَّة من تدمير وإحراق للمساجد والمصاحف، وقتل للنَّاس في الشوارع والطرقات، أو خطف لهم ثمَّ قتلهم ثمَّ إلقائهم، إلى آخره: أنْ يرد الشارع السنِّي على العدوان بمثله، ويقول: الشر بالشر يُحسم، والبادئ أظلم. وهنا تكون فتنة كبرى، هنا يكمن الشر، ويتطاير الشرر، ويتفاقم الخطر، وهذا مسلسل إذا بدأ في العراق فلن ينتهي، هو مسلسل بدأ في باكستان، هناك جيش مُحَمَّد وجند الصحابة يقاتل بعضهما بعضا، وفي كل حين نرى مذبحة ما بين هؤلاء وهؤلاء، لا نريد أنْ يصل ذلك إلى العراق، ونريد أنْ ينتهي ذلك من باكستان.

نحن نريد أنْ نوحد الأمَّة، وهذه الأعمال إذا تفاقمت واستمرت، ولم يقف العقلاء في وجهها وقفة شجاعة صريحة، تنذر بخطر هائل، تنذر بحرب أهليَّة لا تبقي ولا تذر، لن يستفيد منها سنِّي ولا شيعي، لن يستفيد منها عربي ولا كردي، لن يستفيد منها في العراق مسلم ولا مسيحي، المستفيد الوحيد هو الاحتلال الأمريكي الجاثم، والعدو الصهيوني المتربص، وأعداء الإسلام والأمَّة في كل مكان، والخاسر الوحيد هو الشعب العراقي، بكل أطيافه وأصنافه وعناصره لو قامت هذه الحرب، والخاسر أيضًا الأمَّة العربيَّة والأمة الإسلاميَّة، لا نريد هذا أنَّ يقع.

مشاركتي في مؤتمرات التقريب:

لقد شاركت في كل دعوات التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، شاركت في مؤتمر التقريب بين المذاهب في الرباط بالمغرب، وشاركت في مؤتمر التقريب في البحرين، وشاركت في مؤتمر التقريب في دمشق، وأشارك في كل دعوة لأنَّنا نريد أنْ نوحِّد الأمَّة.

QaradawiBooks.com

إنَّ الأمَّــة تواجه مخاطر كبيــرة: تواجه الصهيونيــة العالميَّة، تواجه التوسع والتهديد الأمريكي للإسلام والعالم الإسلامي، تواجه المتعصبين في كل مكان، ولا بدَّ للأمة أنْ تقف وقفة واحدة.

لســنا نريد بالتقريب أنْ يتحول السنِّي إلى شــيعي، أو الشيعي إلى سنِّي؛ فهذه مذاهب استقرت منذ قرون طويلة، وتوارثها الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، والخلف عن السلف، ولكنا نريد أنْ يكون هناك قواسم مشتركة، أنْ نوسِّع نقاط الاتفاق، ونقلِّل من نقاط الاختلاف، وأن نتعاون فيما نتفق عليه، ونتســامح فيمــا نختلف فيــه، أو نتحاور فيما نختلف فيه.

إنَّنا في ساحة المعركة يجب أنْ ننسى الخلافات الجانبيَّة، والمعارك الجزئيَّة، ونقف صفًّــا واحدًا كما قال الله تعالــى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصــف: ٤]. فــي ســاعة المعركة لا مجال لأن يختلف النَّاس في الجزئيَّات والفرعيَّات، أو حتَّى في بعض الأصوليات الَّتي ليست هي الأساس.

بحسبنا أنْ نكون راضين عن الأساس، أنْ نتفق جميعًا على لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وأنَّ القرآن كتاب الله، وأنَّ الشريعة هي مرجع المســلمين جميعًا، كل فــي مذهبه، ينبغــي أنْ نتفق جميعًــا على هذه الأصول الأساسية.

لكن ليس من الضــروري أنْ نتفق على أشــياء فرعيَّــة في الصلاة والزكاة، والصيام والحج، وهذه الأشــياء، لا مانع أنْ يختلف النَّاس في ذلك، اختلــف الصحابة في ذلك، واختلف التابعــون بعدهم، واختلف الأئمة الكبار، ووســع بعضهم بعضًا، وصلَّــى بعضهم وراء بعض، ولم

QaradawiBooks.com

يُكفِّر أحدٌ منهم الآخر، ولم يُؤثِّم أحدٌ منهم الآخر، بل قالوا: اختلافهم رحمة واسعة، كما أنَّ اتفاقهم حجة قاطعة. هكذا ينبغي أنْ نفهم ديننا، أمَّا هذه الأشياء الَّتي تقع فلا يجوز أنْ يُسكت عليها.

نداء لعلماء الشيعة في العراق:

نحن ننادي من فوق هذا المنبر، كما نادينا في بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ننادي العلماء والمشايخ الكبار في العراق من أهل السُّنَّة ومن أهل الشيعة، وخصوصًا من أهل الشيعة لأنَّهم أصبحوا هم المعتدين على أهل السنَّة، ولأنَّ السلطة بيد الشيعة، بيدهم الدفاع، وبيدهم الشرطة، وبيدهم الداخلية، هم الَّذين نحملهم التَّبِعة أكثر من غيرهم؛ فعلى قدر السلطة تكون المسؤولية.

ننادي العلماء الكبار من الشيعة: آيات الله العظمى لا في العراق وحدها؛ بل ننادي أيضًا الآيات الكبار في إيران، وفي لبنان، ننادي الجميع أن يقفوا صفًّا واحدًا، حتَّى لا تستمر هذه المذابح لأهل السُّنَّة في العراق، فوالله لن يستفيد أحد من وراء ذلك إلَّا أعداء الأمَّة، إلَّا أعداء الدين، إلَّا أعداء الإسلام.

على الجميع أنْ يتنادوا بالدعوة إلى وحدة أهل القبلة، إلى وحدة كل مَنْ قال: لا إلٰه إلَّا الله، مُحَمَّد رسول الله. نحن نرى أن (لا إلٰه إلَّا الله) هي الَّتي تعصم الدم والمال، كما قال النبي ﷺ: «**أُمرت أنْ أقاتل النَّاس حتَّى يقولوا: لا إلٰه إلَّا الله. فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلَّا بحقِّها، وحسابهم على الله**»[1]. أي ما يضمرونه في باطنهم لا نحاسبهم عليه، لأنَّنا نتولى الظاهر والله يحكم بالسرائر.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وحينما قَتَل أسامة بن زيد ـ حِبُّ رسول الله ﷺ ـ في إحدى المعارك رجلًا قال: لا إلٰه إلَّا الله. وبلغ رسول الله ﷺ ما فعله أسامة قال له: «**أقتلته بعد أنْ قال: لا إلٰه إلَّا الله، يا أسامة؟!**». قال: يا رسولَ الله، إنَّما قالها تعوُّذًا من السيف. فرارًا من السيف، قال: «**هلَّا شققت عن قلبه؟**». هل فتحت قلبه وعرفت أنَّه كان يريد هذا؟ «**أقتلته بعد أنْ قال: لا إلٰه إلَّا الله، يا أسامة؟!**». وما زال يكررها حتَّى قال أسامة: حتَّى تمنيت أنِّي لم أسلم إلَّا ذلك اليوم، ويذهب جهادي وعملي كله[1]. لا إلٰه إلَّا الله هي العاصمة، فيجب أن نكف عمَّن قال: لا إلٰه إلَّا الله. يكفينا أنْ يقول الناس: لا إلٰه إلَّا الله. ليصبحوا مسلمين، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.

إذا كنا نقول لأهل الذمَّة إذا أعطونا ذمتهم: أصبحتم منا، وأصبحنا منكم، لكم ما لنا، وعليكم ما علينا، علينا أنْ ندافع عنكم، أنْ نحمي أموالكم، ونحمي دماءكم، ونحمي أعراضكم، ونحمي مساكنكم، ونحمي ذرياتكم. فمن باب أولى أنْ نقول ذلك لمن قال: لا إلٰه إلَّا الله.

تعالوا إلى كلمة سواء:

أدعو العلماء الكبار والمشايخ من الفريقين: من أهل السُّنَّة، ومن أهل الشيعة: إلى أنْ يلتقوا على كلمة سواء، وأن يعملوا على إصلاح ذات البين، وأن يرتقوا هذه الفتوق، ويرقعوا هذه الخروق، قبل أنْ يتسع الخرق على الراقع، قبل أنْ يفوت الأوان ولا يجدي الأمر شيئًا بعد ذلك، أدعوهم أنْ يتنادوا ليلتقوا؛ ليعملوا معًا على ميثاق شرف، وميثاق إسلام وإيمان يحترمونه، ينادوا الجميع أنْ يقفوا عند حدود الله، وأن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (٩٦)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

يحترم كل منهما الآخر، «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»[١]. دمه لا ينبغي أنْ يسفك، وعرضه لا ينبغي أنْ يُهتك، وماله لا ينبغي أنْ يُنهب أو يُسرق أو يُختلس، هكذا ينبغي أن تُرعى حرمات النَّاس، هذا ما جاء به الإسلام.

الإسلام يرعى حرمات الآخرين، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾، ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾، نهى عن مجرد السخرية، سخرية رجل من رجل، أو امرأة من امرأة، لأنَّ حرمة الإنسان تجعل السخرية منه أو الاستهزاء به حرامًا، ما يدريك لعله خير منك، ﴿أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾.

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾، لا تعيبوا أنفسكم، لا تطعنوا على أنفسكم، أنفسكم: أي على بعضكم بعضًا، لأن أخاك منك، فإذا لمزته فكأنما لمزت نفسك.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾، لا يخاطب بعضكم بعضًا بالألقاب الكريهة، إذا كان لشخص لقب يكرهه: أعور، أو أسود، أو كذا، لا تناديه بما يكرهه من هذه الألقاب، لا، نادِه بأحب الألقاب إليه حتَّى تشيع المحبة والأخوة في المجتمع، هذا ما يسعى إليه الإسلام، «**والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنَّة حتَّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتَّى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[٢]. هكذا

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧١٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٥٤)، وأحمد (٩٧٠٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

جاء الإسلام بإفشاء السلام، حتَّى يعم الحب والإخاء والسلام أرجاء المجتمع المسلم كله.

هذا هو الإسلام الَّذي نؤمن به أيُّها الإخوة، ونعتقد أنَّه هو الَّذي يقربنا إلى الله ﷻ، ويدخلنا الجنَّة، ويجعلنا أهلًا لرضوان الله ﷻ، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

إنَّنا ندعو الله تبارك وتعالى أنْ ينقذ أمَّتنا من هذه الفتن، ما ظهر منها وما بطن، أنْ يجنِّبها هذه الفتن، الَّتي لا يُعرف مَنْ وراءها، وماذا وراءها؟ ولا يعرف مدى عواقبها إلَّا الله ﷻ، اللهم جنِّب أمَّتنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اجمع كلمة أمَّتنا على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

موقف البرلماني الأوروبي من قضيَّة الرسومات المهينة:

ممَّا نشـــرته الصحف وأذاعته وكالة الأنباء: موقف الاتحاد البرلماني الأوروبي من قضيَّة الرسوم الَّتي أساءت إلى رسول الإسلام مُحَمَّد ﷺ، رفض البرلمان الأوروبي أن يدين هذه الرســوم المســيئة المهينة، الَّتي هيَّجت الأمَّة الإسلاميَّة من أقصاها إلى أقصاها، رفض أنْ يدينها بكلمة، رفض أنْ يقيِّد حق التعبير أو حرية التعبير بأيِّ قيد من القيود.

وهذا والله عجب من العجب، مَنْ قال: إنَّ حرية التعبير تعني الإساءة إلى الآخرين، تعني أنْ تشــتم الآخريــن، تعني أنْ تهيــن الآخرين في أعراضهم وأنسابهم؟ مَنْ قال هذا؟ مَنْ قال: إنَّ من حريتك أنْ تأتي إليَّ وتلعن أبي وأمي؟ هل هذا اللعن حرية تعبير؟

حريَّة التعبير لا بدَّ أنْ تكون تعبيرًا عن رأي، هناك رأي يراه الإنسان في قضيَّة كذا وقضيَّــة كذا، واحد له رأي في موقف الإســلام من تعدد الزوجات، أو له رأي في موقف الإسلام من الطلاق، أو كذا، قل ما شئت من رأي وعبِّر عنه.

أمَّا أنْ تُعبر بالإســاءة إلى النَّاس، تُصوِّر رجلًا من أعظم رجال الدُّنيا، بل هو أعظم رجــال العالم في التاريخ كلــه: مُحَمَّد ﷺ الَّــذي أدَّبه ربه فأحســن تأديبَه، وعلَّمــه فأكمــل تعليمه، وبعثــه ليُعلِّم النَّــاس الكتاب والحكمة، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

QaradawiBooks.com

هذا الرسول العظيم يُصوَّر بهذه الصور المسيئة، ويأبى الاتحاد البرلماني الأوروبي أنْ يُقيد حق التعبير بأي قيد، مَنْ قال: أنَّ الحرية مطلقة؟ لا توجد في الدُّنْيا حرية مطلقة، كل حرية لا بدَّ أنْ يكون لها قيود، لأنَّ حريَّتك تنتهي حينما تصطدم بحريتي، حقك ينتهي حينما يصطدم بحقي، وإلا أصبحت الحياة غابة يفترس فيها القوي الضعيف، أو بحرًا يأكل السمك الكبير فيه السمك الصغير، ولم تعد حياة إنسانيَّة.

هذا في الواقع ما أنكره أشد الإنكار، وأَعجب له أبلغ العجب، وهو في الواقع يضعنا أمام قضيَّة كبيرة معناها أنَّنا والغرب على طرفي نقيض، أنَّهم يرون حريَّة التعبير فوق مقدَّسات الأديان جميعًا.

ونحن نرى أنَّ المقدَّسات الدينية ينبغي ألا تمس، لأنَّ مسَّها يثير البغضاء والعداوة والصراع بين النَّاس، ونحن ندعو إلى السلام والمحبة؛ فكيف نفتعل أشياء تؤدي إلى أنْ يقاتل النَّاس بعضهم بعضًا، وتثير النَّاس بعضهم على بعض؟

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يهيِّئ للأمة من أمرها رشدًا، وأنْ ينير بصائرنا، وأنْ ينير الطريق أمامنا، وأنْ يهدينا للتي هي أقوم، وأنْ يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا، وأنْ يُحسن عاقبتنا في الأمور كلها؛ إنَّه سميع قريب.

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

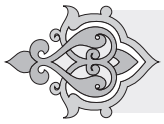

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	٦٠	١٣٨
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	٧٤	١٤٨، ٢٣١
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾	٩٦	٢٣٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	١٣٠، ٣٠٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٥٣	٢٥٨
﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾	١٥٤	٢٥٩، ٢٧٨
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾	١٥٥	٢٥٩
﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ ﴾	١٥٦	٢٥٩
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾	١٥٧	٢٥٩
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ ﴾	١٧٠	٣١٧
﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾	١٩١	٢٩٧
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾	١٩٣	٢٩٦
﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	١٩٤	٢٩٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾	٢٠٨	١١٩
﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾	٢١٤	٢٥٧
﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾	٢١٦	١١٩، ٢٤٧، ٢٨٩، ٣٣٤
﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾	٢١٧	٢٩٧
﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾	٢٢٠	٨٧
﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾	٢٣٣	٣١٩
﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾	٢٤٩	٢١٩، ٢٨٥
﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾	٢٥٠	٢١٩
﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾	٢٥١	١٥١، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٥٤، ٢٨١
﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ﴾	٢٥٨	١٥١، ٣٢٨
﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾	٢٨٢	٣٣١
﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾	٢٨٣	٣٣١
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾	٢٨٦	٦٥
سورة آل عمران		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾	٧٥	٢٣٠
﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	١٠١	٤٨
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾	١٠٣	١١٠
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾	١٠٥	١١٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٢٠٠، ٣٠٤
﴿ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	١١٩	٢٨٥
﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ ﴾	١٢٠	٢٨٥
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٢٣	١١٩
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	٢٨١
﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ ﴾	١٤٠	١٣٠، ١٥٤، ١٥٥، ٢٦٠، ٢٨١، ٢٨٢
﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	١٤١	١٥٥
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾	١٤٦	٢٧٠
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾	١٤٧	١٩٢، ٢١٠، ٢٧٠
﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٤٨	٢٧٠
﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ ﴾	١٥٤	٢٨٢
﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾	١٥٩	٣١٩، ٣٢٠
﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ ﴾	١٦٠	٢٩١
﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾	١٦٤	٣٤٨
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾	١٦٩	٢٣٦، ٢٥٩، ٢٧٨
﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	١٧٠	٢٥٩، ٢٧٨
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾	١٧٣	٢٨٣، ٢٨٤
﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾	١٧٤	٢٨٤
﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾	١٧٩	١٥٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	١٨٦	٢٥٩
﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾	١٩٥	٨٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾	٢٠٠	٤، ٣١، ٢٥٨
سورة النساء		
﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	٤٦	٢٠٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	٥٩	٣٢٦
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٧٥	١٩٩
﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٧٧	١٤٠
﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾	٩٠	٢٩٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٩٧ ـ ٩٩	٦٧
﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٢٨٢
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	١٠٥ ـ ١٠٨	٤٦
﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾	١١٩	١٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	٣٣١
﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾	١٦٥	١٥٢
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾	٢	٦٧، ٣١٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾	٨	٣٣٢
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾	١٣	٢٣٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾	٢١	٢٧٩
﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾	٢٢	٢٧٩
﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٢	٢٠٧، ٣٤٠
﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾	٤٤	٣٠٢
﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	٦٤
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾	٨٢	٢٢، ٣١
سورة الأنعام		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾	٣٨	٥٧
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾	٤٤	١٤١، ٢٧٧
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٤٥	١٤١، ٢٧٧
﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	٨٩، ٣٠٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾	١١٢	١١٨، ١٥٢، ٢٥٤
﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾	١٥٢	٣٣٢
سورة الأعراف		
﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾	١٩	٨٢
﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	١٤٤
﴿لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾	٣٨	٣١٧
﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾	٥٦	١٣٩
﴿فَٱذۡكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾	٧٤	١٣٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾	١٢٨	٢٥٨
﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	١٨١	٨٩، ٣٠٨
﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾	١٨٢، ١٨٣	١٤١
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾	١٨٩	٨٢
سورة الأنفال		
﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ ﴾	١٧	١٥٦، ٢١٩
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾	٣٩	٢٩٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٤٥	٢٥٨
﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	٤٦	١١٠
﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ ﴾	٥٦	٢٨٥
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	٦٠	١٠٠، ١٩٥، ٢١٥
﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ ﴾	٦٥	١٠٢
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾	٧٣	٢٢، ١٧٧
سورة التوبة		
﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٣	٢٤٧
﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾	١٤	٢٤٧، ٢٨٢
﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	١٥	٢٤٧
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾	٣٢	١١٦، ١٤٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ﴾	٣٣	١٣، ١٩، ١١٦، ١٩٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٤١	٣١، ٢٣٦، ٢٥٠
﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾	٤٨	٢٨٥
﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾	٥٠ ـ ٥٢	٢٨٢
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾	٦٠	٥٤
﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾	٧٢	٣٤٧
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ﴾	١٢٠	٢٨٠
﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا﴾	١٢١	٢٨٠
سورة يونس		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾	٢٣	٢٧٩
﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ﴾	٤١	١١٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾	٤٤	١٦١
سورة هود		
﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾	٥٠	١٥٣
﴿وَتِلۡكَ عَادٞ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾	٥٩	٣٢٩
﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾	٦٠	٣٢٩
﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾	٩٧	٣٢٩
سورة يوسف		
﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾	١٠	٢٨٧
﴿هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢٣	٧٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾	٣٢	٧٨
﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾	٣٣	٧٨
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾	١١٠	١٦٣
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	١٠٢
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٧	١٥٧، ٢٦٠
سورة إبراهيم		
﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	١٥	٣٢٨
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٢	٢٧٧
سورة الحجر		
﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾	٩٩	١١
سورة النحل		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾	١٤	١٣٩
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	٣٦	١٥٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	١٩٢
﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	٢٠٣
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾	١٢٦	١٨٦
﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾	١٢٧	٢٥٥
سورة الإسراء		
﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾	١	٣٠٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾	٣١	٧٧
﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٤٢، ٧٧، ٧٨
﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	٣٣	٧٧
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	٧٠	٤، ٥١
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	١٢٨، ١٥٧، ٢٦٠
سورة الكهف		
﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾	٩٥	٣٢٥
﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾	٩٦	٣٢٥
سورة الأنبياء		
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	١٨	١٢٨، ١٥٧، ٢٦٠، ٣٠٩
سورة الحج		
﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾	٣٠	٣٣٢
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	٣٩	٢٤٧، ٣٣٧
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ ﴾	٤٠	٢٢٢، ٢٤٧، ٢٥٤، ٣٣٧
سورة النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾	٢	٧٩
﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾	١٢	١٠٨
﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾	١٣	١٠٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	١٩	٨٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ ﴾	٢٧	٨٠
﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾	٣٠	٧٩
﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾	٣١	٤٦، ٧٨، ٧٩
﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ ﴾	٣٢	٧٩، ٨٠
﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾	٣٣	٨٠
﴿ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ ﴾	٥٨	٨٠
﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾	٥٩	٨٠
سورة الفرقان		
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴾	٣١	١١٨، ١٥٢، ٢٥٤
﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا ﴾	٤٢	٢٥٨
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾	٥٢	١٧
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾	٦٨ ـ ٧٠	٨٧
سورة النمل		
﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾	٣١	٣٣٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴾	٣٢	٣٣٠
﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾	٣٣	٣٣٠
سورة القصص		
﴿ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ ﴾	٤	٣٢٨
﴿ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾	٢٦	٣٠٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾	٣٨	١٥٢
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٥٠	١٤١
﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾	٧٧	٦٣
سورة العنكبوت		
﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	١، ٢	٤، ٢٥٥، ٢٩٦
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٣	٤، ٢٥٥، ٢٩٦
﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾	٤	٤
﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٥	٢٥٥
﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	٣٦	١٣٨
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾	٤٥	١٩٢، ٢١٠
سورة الروم		
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾	٢١	٨١
﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٣١	١٨٨
﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾	٤١	٤، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٦٥
﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾	٦٠	٢٥٥
سورة الأحزاب		
﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾	٩	١٥٦
﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾	١٠	١٥٦

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للبيع

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾	١١	١٥٦
﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾	٢٢	١٥٦، ٢٧٨
﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾	٢٣	٩٠، ٢٧٨
﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾	٢٥	٢٩٣
﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ ﴾	٣٩	٢٠٥، ٢٧٣، ٣٢٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾	٥٦	٢١٠
﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾	٦٧	٣١٧
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾	٦٨	٣١٧
سورة فاطر		
﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾	٤٣	٢٧٨
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾	٤٥	١٤٣
سورة يس		
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾	٧١ ـ ٧٣	١٣٧
سورة الصافات		
﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾	١٧٢، ١٧٣	١٦٥، ٢٨٥
سورة ص		
﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾	٦	٢٥٨
﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾	١١	٢٨١
﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٨	١٩٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة غافر		
﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾	٣٥	٣٢٨
﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾	٥٥، ٧٧	٢٥٥
سورة فصلت		
﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾	١٥	١٥٣
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٩٤
سورة الشورى		
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾	٣٠	١٤٣
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	٣٨	٣١٩، ٣٢٤
﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٤٠	١٨٦
﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٥٢	١٤١
﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾	٥٣	١٤١
سورة الزخرف		
﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾	٥١	١٥٢
﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾	٥٤	٣٢٩
سورة الدخان		
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾	٣١	٣٢٨
سورة الجاثية		
﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾	٢٣	١٤١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾	٣٥	٢٥٦
سورة محمد		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾	٧	١٠٣، ٢٢٢، ٢٩١
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾	٨	٢٢٢
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾	٩	٢٢٢
﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾	٣١	٢٥٩
﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾	٣٥	٢١٣، ٢٨١
سورة الحجرات		
﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾	٩	٢٩٠
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾	١٠	١٤٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾	١١	٣٤٦
﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾	١٣	١٩٩
سورة الذاريات		
﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٩	٨٥
﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾	٥٣	٣١٣
سورة القمر		
﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾	٤٥	٢٨١، ٣٠٩
سورة المجادلة		
﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾	٢١	١٦٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة جانبية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحشر		
﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ﴾	٢	٢٢٠
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾	١٠	١٩٢، ٣٤٧
﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ﴾	١٤	٢١٢، ٢٣٠، ٢٥٠، ٣٠٩
سورة الممتحنة		
﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾	١٢	٣٢٥
سورة الصف		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	١٦٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥١، ٣٤٣
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾	٩	١٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	١٠	١٤٦، ٢٣٦
﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	١١	١٤٦، ٢٣٦
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨	٦٦
سورة الطلاق		
﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾	٢	٣٣١
سورة الملك		
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	١٤	٤٧
سورة القلم		
﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾	٢٨	٢٨٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٣٥	١٩٨
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٤٤	٣٠٩
سورة المعارج		
﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾	٥	٢٥٥
سورة نوح		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾	٥ ـ ٧	١٥٣
﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾	٢١	٣٢٩
﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦	١٥٥
سورة الجن		
﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾	١٨	٣٢
سورة المزمل		
﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾	٥	٢٥٥
سورة المدثر		
﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾	٧	٢٥٥
سورة القيامة		
﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾	٣٦	٦٥
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾	٢	٦٥، ١٥٠، ٢٥٥
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨	٢٦٨
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾	٩	٢٦٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النبأ		
﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾	٨	٨٥
سورة النازعات		
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	١٥٢، ٣٢٨
﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾	٣١	١٣٩
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾	١٥ ـ ١٧	٢٧٩، ٣١٠
سورة الفجر		
﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾	١٠ ـ ١٢	٣٢٨
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾	١٤	٢٧٧
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	٤	١٥٠، ٢٥٥
سورة الشرح		
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٥، ٦	١٦٤
سورة الكافرون		
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾	٦	١١٨، ٢٠٣

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
اتَّقوا الله في البهائم العجماوات، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة	١٣٨
اختاروا نقباءكم... الحكمة ضالة المؤمن؛ أنَّى وجدها فهو أحق النَّاس بها	٣٢٢
إذا رأيت أمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم. فقد تُودِّع منهم	٦٨، ٣٢٨
إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا أحدكم	٣١٧
أقتلته بعد أنْ قال: لا إلٰه إلَّا الله، يا أسامة؟!. قال: يا رسولَ الله	٣٤٥
ألا إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم، كحرمةِ يومِكم هذا	٥٩
ألا أنَّ العربيَّة من أحدكم ليست بأب ولا أم، ولكن العربيَّة اللسان	٩٥
الذين يُصلحون ما أفسد النَّاس من سُنَّتي، ويُحْيُون ما أمات النَّاس من سُنَّتي	١٢
أُمرت أنْ أقاتل النَّاس حتَّى يقولوا: لا إلٰه إلَّا الله	٣٤٤
إن استطاع ألَّا تقوم ـ أي الساعة ـ حتَّى يغرسها فليَغْرِسْها	١٢
إنَّ الله زوَى لي الأرض، فأُريتُ مشارقها ومغاربها	١٤
إنَّ الله سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّن استرعاه حفظ أو ضيَّع	٤٢
إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة	٥، ٥٨
إنَّ بين يدي الساعة سنين خدَّاعات، يُصدَّق فيها الكاذب	٣٠١

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أنَّ العباس سأل النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فرخص له في ذلك	٢٦٧
إنْ قامت الساعةُ وفي يد أحدِكم فسيلةٌ ـ نخلة صغيرة أو شتلة ـ	١١
إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب منه	٦٨
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	١٧٢
أوثق عُرى الإيمان: أن تحبَّ في الله، وتبغض في الله	١٩٨
أيُّها النَّاس، ألا من كنتُ جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهري فليستقِدْ منه	٥٩
ب	
بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا	٢٩٧
بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء	١٠، ١٢
ت	
تكون النُّبُوةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها	١٤
ث	
ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا	٣١٨
خ	
خيار أئمتكم ـ أي أُمرائكم ورؤسائكم ـ الَّذين تحبونهم ويحبونكم	٣١٨
د	
دخلت امرأة النار في هرة حبستها	١٣٨
دخلت بغيٌّ الجنَّةَ في كلب سقته	١٣٨
الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لأئمة المسلمين وعامتهم	٣٢٤
ر	
الرجل التافه، يتكلم في أمر العامة	٣٠٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
س	
سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر	١٧٢
ستكون فتنٌ: القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي	٢٩٧
ص	
صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنَّة	١٥٤، ٢٩٦
ع	
عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى	٣٣٢
عُذِّبَت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار	٥، ٥٧
عليكم بالسواد الأعظم	٣٢١
العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما اللمس	١٤٢
ك	
كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحمَّى والسهر	٢٦٨
كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيه	٢٥٦
كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه	١٧٢، ٣٤٦
كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، والرجلُ راعٍ في أهل بيته	٤٢
ل	
لا تختلفوا؛ فإن مَنْ كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	١٠٩
لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	١٠٩، ١٧٢، ٣٤١
لا تقوم الساعة حتَّى يقاتل المسلمون اليهود؛ فيقتلهم المسلمون	١٤٩
لا طاعة في معصية، إنَّما الطاعة في المعروف	٣٢٥
لا يأتي عليكم زمان إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه	٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا يكن أحدكم إمَّعة، يقول: أنا مع النَّاس، إن أحسنوا أحسنت	٣١٦
لا ينبغي لمسلم أن يذلَّ نفسه. قيل: وكيف يذل نفسه؟	٥، ٦٦
لتُفتحن القسطنطينيَّة، فلنعم الأميرُ أميرُها، ولنعم الجيشُ ذلك الجيش	١٦
لزوال الدُّنْيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حق	٣٤٠
لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ حتَّى يُعلنوا بها؛ إلَّا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ	٧٦
لو اتفقتما على رأي ما خالفتكما	٣٢١
لولا أنَّ الرُّسَلَ لا تُقتلُ، لضربتُ أعناقَكما	١١١
لولا أنَّ الكلابَ أمَّة من الأمم لأمرت بقتلها	٥٧
ليبلغنَّ هذا الدينُ ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت مدرٍ أو وَبَرٍ	١٣
ليس منا مَنْ بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم	٢٦٧
م	
ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك	٣٤١
ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنِّي أصلي وأنام، وأصوم وأفطر	٨١
ما ظهر الزنى والربا في قرية إلَّا أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله ﷻ	٨٧
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد	٢٤٣، ٢٤٤
مدينة هرقل تفتح أوَّلًا	١٥
المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يُسْلِمه ولا يَخذله	١٧٢، ٢٦٧
المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على مَنْ سواهم	١٧٢
من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان	١٩٨
من أراد منكم بحبوحة الجنَّة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد	٣٢٠
من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه	٦٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَنْ قُتل دون أهله فهو شهيد	٧٤
من قتل عصفورًا عبثًا عَجَّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إنَّ هذا قتلني عبثًا	٥٨
من لم يهتمَّ بأمرِ المسلمين فليس منهم	٤٧
مَنْ هؤلاء؟. قيل: هؤلاء الزانون والزواني	٨٧
مَنْ يضمن لي ما بين لحيَيْه وما بين رِجْلَيْه أضمن له الجنَّة	٨٠
المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا	٢٤٣
ن	
نُصرت بالرعب مسيرة شهر	٢١٤
نعم. قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَن	٨
و	
والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنَّة حتَّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتَّى تحابوا	٣٤٦
ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهْن	٢١٣، ٢١٤
ي	
يا أيُّها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد	٥٩، ٢٠٠
يا شبابَ قريش، لا تَزْنوا، أَلَا من حفظ فرجَه فله الجنَّة	٨٠
يا عبد الله، إنَّ لجسدك عليك حقًّا ـ أي في الراحة ـ وإنَّ لعينك عليك حقًّا	٦٣
يا عبدَ الله، يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي، تعالَ فاقتلْه	٢٩
يبيع دينه بعَرَضٍ يسيرٍ من الدنيا	٣٠٢
يسعى بذمَّتهم أدناهم، وهم يد على مَنْ سواهم	٢٦٨

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

❖ **١ ـ أحاديث الفتن ومستقبل الإسلام** **٧**

أحاديث آخر الزمان ٨

فهم مخالف للواقع ٩

فترات وموجات ١٠

إساءة فهم أحاديث الفتن ١٢

الأحاديث المُبَشِّرات ١٣

فتح القسطنطينيَّة ثمَّ رُوميَّة ١٤

حاجة العالم إلى الإسلام ١٦

جهاد الدعوة ١٧

يا له من دِين لو كان له رجال ١٨

❖ **٢ ـ عصر المآسي والبكاء** **٢٠**

آثار الصحوة الإسلامية ٢١

تعاون أعداء الإسلام على أمة الإسلام ٢٢

اعتداءات القوى الوثنية في الهند وكشمير ٢٢

QaradawiBooks.com

القوى الصليبية في البوسنة والهرسك ٢٣
قيمة الخلافة الإسلامية وآثار فقدها ٢٥
أين دور الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي؟ ٢٧
ما يحدث في أريتريا والصومال ٢٧
خشية اليهود من الصحوة الإسلامية ٢٨
عودة روح السلف الصالح بين أبناء الصحوة الفلسطينيين ٣٠
إفراغ اليهود حقدهم على المساجد ٣١
لا يملك أحد نزع ملكية المسجد ٣١
أمة الإسلام مطالبة بالبذل في سبيل قضاياها ٣٣

❖ **٣ ـ مساوئ الحضارة الغربيَّة المعاصرة ٣٦**

توجه الحضارة الغربيَّة ٣٦
١ ـ المادِّيَّة المسرفة ٣٧
٢ ـ الإباحيَّة المُتْلِفة ٤١
٣ ـ العنصريَّة المُسْتَكْبِرة ٤٣
الحضارة الغربيَّة تكيل بمِكْيَالَيْن وتزن بمِيزَانَيْن ٤٤
موقفهم من الديمقراطيَّة في البلاد العربيَّة ٤٥
حرمان المسلمين من أبسط حقوقهم ٤٥
توجُّه الحضارة الإسلاميَّة ٤٦
مقاومة القيم السلبيَّة الموروثة، والقيم السلبيَّة الغازية ٤٧

❖ **٤ ـ حقوق الإنسان بين الغرب والإسلام ٤٩**

دواعي الحديث عن حقوق الإنسان ٤٩

QaradawiBooks.com

١ ـ جناية الغرب على حقوق الإنسان ٤٩
٢ ـ ضياع حقوق الإنسان في بلادنا ٥١
٣ ـ أسبقيَّة الإسلام في تقرير الحقوق ٥٦
حقوق الحيوان ٥٧
تقرير حقوق الإنسان في الإسلام ٥٨
تأثر الغرب بالإسلام في مجال الحقوق ٦١
خصائص حقوق الإنسان في الإسلام ٦٢
١ ـ الشمول ٦٣
٢ ـ التوازن ٦٣
٣ ـ الثبات ٦٤
٤ ـ الإلزام ٦٤
ضمانات حقوق الإنسان في الإسلام ٦٦
١ ـ الفرد ٦٦
٢ ـ المجتمع ٦٧
٣ ـ الدولة ٦٨
خاتمة ٦٩
الهرولة نحو إسرائيل ٧١

❖ **٥ ـ العلاقات الجنسيَّة بين الإسلام والغرب ٧٣**

خلاف حضاري ٧٣
قيمة العفة والعرض والشرف في الحضارة الإسلامية ٧٤
إطلاق الحضارة الغربية العنان للشهوات ٧٥
آثار انتشار الإباحية على المجتمع الغربي ٧٥

QaradawiBooks.com

اعتدال نظرة الإسلام للعلاقة الجنسية ٧٦
لماذا حرَّم الإسلام الزنى؟ ٧٧
تربية المسلم والمسلمة على العفاف والفضيلة ٧٨
سورة النور وآداب الأسرة ٧٩
الأسرة هي محضن الحياة الاجتماعية المستقرة ٨١
الرجل والمرأة متكاملان لا متنافسان ٨٢
هل تحررت المرأة الغربية؟ ٨٢
خلل العلاقة بين الرجل والمرأة في الغرب ٨٤
نماذج غربية واقعية ٨٤
أسس الحياة السعيدة ٨٥
الخطر الذي يهدد الحضارة الغربية ٨٦

❖ **٦ ـ الصحوة الإسلاميَّة وهموم الوطن العربي ٨٩**

طبيعة أُمَّة الإسلام ٨٩
كيد أعداء الإسلام ٩٠
مظاهر الصحوة الإسلاميَّة ٩٠
صحوة عمل وسلوك ٩١
صحوة علم ووعي ٩٢
أثر الصحوة في كل مكان ٩٣
الصحوة والوطن العربي ٩٤
لا قيمة للعرب بغير الإسلام ٩٥
عن أي هذه الهموم نتحدث؟ ٩٦
همُّ التخلُّف الحضاري ٩٧

QaradawiBooks.com

عدم استغلال طاقاتنا ومواردنا ٩٨
حتى يغيروا ما بأنفسهم ٩٩
أسباب التخلُّف ٩٩
ضرورة العودة على الإسلام ١٠٠
لا تقدم بدون عمل ١٠١
روح هذه الأمَّة الإيمان ١٠١
بيننا وبين القوم مراحل واسعة ١٠٢

❖ **٧ ـ التآمر على الصحوة الإسلاميَّة ١٠٤**
من آثار الصحوة ١٠٤
العداء للصحوة الإسلاميَّة ١٠٥
في الجزائر ١٠٦
في الشرق الأقصى ١٠٧
في السودان ١٠٨
في فلسطين ١٠٩
التوتر بين إيران وأفغانستان ١٠٩

❖ **٨ ـ العداء للإسلام بين القديم والحديث ١١٧**
لماذا هذا العداء للإسلام؟ ١١٧
صراع على جبهات شتى ١١٩
عقدة الصدام مع النصرانية ١٢٠
الاستعمار الحديث واحتلال بلاد الإسلام ١٢١
١ ـ الاستعمار الشيوعي ١٢٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ الاستعمار الصهيوني ١٢٦
٣ ـ الاستعمار الأمريكي ١٢٩
التمسك بأسباب النصر ١٣٠

❖ **٩ ـ جرائم البشر في القرن العشرين ١٣٢**
إنجازات البشرية في القرن العشرين ١٣٢
انهيار القيم الإيمانية والأخلاقية ١٣٣
الانفصال بين العلم والدين ١٣٤
الحروب العالمية وأثرها ١٣٤
إفساد الفطرة التي فطر الله الكون عليها ١٣٦
فصل الحياة عن الإيمان والأخلاق ١٣٨
إفساد التوازن البيئي ١٣٩
آثار انحراف البشرية عن سنن الله ١٤١
الحضارة الغربية ليست مسيحية ١٤٣
عقوبات الله للبشرية بما كسبت أيديهم ١٤٣
دعوة إلى استمرار الدعم لفلسطين ١٤٥

❖ **١٠ ـ الصراع بين الحق والباطل ومآلاته ١٥٠**
سنة التدافع بين الخير والشر ١٥٠
الصراع بين الحق والباطل منذ فجر التاريخ ١٥٣
صراع الإسلام مع الباطل ١٥٤
الابتلاءات ومدرسة المحن ١٥٥
الصراع بين الحق والباطل سنَّة من سنن الله ١٥٦

QaradawiBooks.com

محن شتى أصابت المسلمين ١٥٧
أمة الإسلام لا تنقاد إلَّا لنداء الإيمان ١٥٨
الاستعمار الغربي لديار الإسلام ١٦٠
الاستعمار الصهيوني لفلسطين ١٦٠
سينتصر الحق لا محالة ١٦٢
تحية لشعب فلسطين المجاهد المرابط ١٦٤
ملتقى علماء المسلمين لنصرة شعب فلسطين ١٦٦
لقاء العلماء مع قادة المجاهدين ١٦٨
قرارات الملتقى ١٦٩
مطالبة الحكام ألا يستسلموا لما يريده أعداؤها ١٧٠
فتاوى وبيانات تشد أزر الفلسطينيين ١٧١

❖ **١١ ـ التنصير في أفريقيا ١٧٤**
منظمة الدعوة الإسلاميَّة ودورها ١٧٤
انتشار الإسلام عن طريق التجار ١٧٥
زعم المستشرقين وافترائهم على الإسلام ١٧٥
الإسلام دين هداية ١٧٦
الأخطار الَّتي تواجه الإسلام ١٧٦
المسلمون عندهم أعظم دين ١٧٨
الرغبة في اقتلاع الوجود الإسلامي ١٧٩
إخفاق التبشير في المنطقة العربيَّة ١٧٩
تغيير الهدف في المنطقة العربيَّة ١٨٠
نجاح المبشرين تغيير الهوية الإسلاميَّة ١٨١

QaradawiBooks.com

هدف المبشرين خارج المنطقة العربيَّة ١٨١
يجب الاعتراف بعمل المبشرين ١٨٣
لماذا يعلن المبشرون إخفاقهم؟ ١٨٤
وهم بذلك يريدون أن يحققوا هدفين ١٨٤
الإسلام سفينة إنقاذ هذا العالم ١٨٤
الإسلام قادر على الانتشار ١٨٦
عِزَة طفل مسلم ١٨٧
تعاون الأعداء فيما بينهم ١٨٨
غياب فقه الأولويات عند أبناء الأمة ١٨٨
الإسلام يحمل رسالة إنقاذ البشريَّة ١٨٩

❖ **١٢ ـ الإعلام المتصهين ١٩٣**
وعاظ الكراهية في الشرق الأوسط ١٩٣
هذا هو منطق هؤلاء القوم ١٩٦
أوثق عُرى الإيمان ١٩٨
لا يمكن أن تحب كل إنسان ١٩٨
قتال الإسرائيليين بسب ظلمهم وعدوانهم ١٩٩
تحريف الكلم ٢٠١
دعوتنا إلى الحب والإخاء الإنساني والحوار والتسامح ٢٠٣
ما قيمة أن تقتل عددًا من السّياح؟ ٢٠٧

❖ **١٣ ـ الإيمان والمقاومة وأسطورة القوَّة الَّتي لا تقهر ٢١١**
غرور إسرائيل بما تملك من ترسانة عسكرية ٢١١

QaradawiBooks.com

أسطورة زائفة ٢١٢
هزيمة إسرائيل ليست مستحيلة ٢١٢
ضياع هذه الأمة بسبب اليأس والقنوط والاستسلام ٢١٣
من يحرص على الموت تُوهب له الحياة ٢١٤
انتصارات المسلمين عبر التاريخ ٢١٥
دور العامل النفسي وأثره في القلوب ٢١٦
يتحقق النصر حين تثبت النفوس ويقوى الإيمان ٢١٨
على المسلم أن يبذل ما في وسعه ٢١٩
ما أُخذ بالقوة لا يسترد إلَّا بالقوة ٢٢٠
نشد على أيدي المقاومة الباسلة ٢٢١

❖ **١٤ ـ ذكرى قيام دولة الكيان الصهيوني ٢٢٣**

إعلان قيام دولة الكيان الصهيوني ٢٢٣
الحروب الصليبية الأولى والثانية ٢٢٤
مقاومة الشعب الفلسطيني ٢٢٥
تخطيط اليهود القديم وتدبيرهم ٢٢٥
إسقاط الخلافة الإسلامية ٢٢٦
اعتراف القوى الكبرى بهذا الكيان المحتل ٢٢٧
كنا نقول إسرائيل المزعومة حتى صرنا نحن المزعومين ٢٢٩
استعمار عنصري إحلالي ٢٢٩
تغير موازين المعركة وفلسفة المواجهة ٢٣١
المفاوضات العبثية ومحاولة وأد الانتفاضات ٢٣٢
أهمية دعم صمود أهل فلسطين ٢٣٣

QaradawiBooks.com

التعتيم الإعلامي على الانتفاضة ٢٣٤
الشعوب لا تخضع كما يخضع القادة ٢٣٤
حقوق الشعب الفلسطيني ٢٣٦
خطورة الكيان الصهيوني على الأمة ٢٣٧
زيارة بابا الكنيسة الكاثوليكية سوريا ٢٣٩

❖ **١٥ ـ انتفاضة الأقصى المباركة ٢٤١**
الوفاء لدماء الشهداء ٢٤١
علينا أن نبلغ ونذكِّر ٢٤٢
الواجب على أمة الإسلام ٢٤٣
يوم الغضب العربي والإسلامي ٢٤٥
قصيدة الشاعر عمر أبو ريشة ٢٤٥
لا بدَّ للأمة أن تقف وقفة رجل واحد ٢٤٧
جميع الساسة الأمريكيين نسخة واحدة ٢٤٨
يجب أن نعول على ما بأيدينا ٢٤٩
المقاومة هي السبيل الوحيد ٢٥٠
ما زلنا نركض وراء السلام المزعوم ٢٥١
أربأ بأرض قطر أن ينجسها السفاح شارون ٢٥٢

❖ **١٦ ـ فوز حماس في الانتخابات ومقتضياته ٢٥٤**
الحياة قائمة على الابتلاء ٢٥٥
تعذيب المؤمنين في مكة ٢٥٦
الكفاح المسلح في المدينة ٢٥٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة موثقة

صبرًا إخوتنا في حماس ٢٥٧
إنَّ الله مع الصابرين ٢٥٨
الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ٢٥٩
طريق التضحيات والمشقات والآلام ٢٥٩
فأما الزبد فيذهب جفاء ٢٦٠
الثبات على المبادئ والقيم ٢٦٠
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا فرقوا ٢٦١
العدو يريد استئصال الجميع ٢٦٢
أذكركم بالله وبقدس الأقداس ٢٦٣
الشعب الفلسطيني لن يركع أو ينحني ٢٦٤
القضية الفلسطينية هي أعدل القضايا ٢٦٥
ندعو العرب والمسلمين لمناصرة فلسطين ٢٦٦
وجوب إغاثة الملهوف وإعانة المضطر ٢٦٦
المؤمنون كالجسد الواحد ٢٦٧
وجوب نصرة فلسطين وتحريرها ٢٦٩
الحق منتصر بإذن الله ٢٧٠

❖ **١٧ ـ رسائل ما بعد الحرب على غزة ٢٧٥**

❖ الرسالة الأولى إلى الكيان الصهيوني ٢٧٥
جرائم لا إنسانية لمن قام بها ٢٧٦
انتقام الله من المجرمين ٢٧٦
فشلت إسرائيل في تحقيق أهدافها ٢٧٧

QaradawiBooks.com

الرسالة الثانية إلى أبناء غزة ٢٧٩
صلابة وإيمان أهل غزة ٢٧٩
مكانة الشهداء وثواب الجرحى ٢٨٠
لن يضيعكم الله ٢٨١
الرسالة الثالثة إلى رجال المقاومة ٢٨٢
جذوة الجهاد لا تنطفئ ٢٨٣
من أراد للمقاومة أن تفشل أخزاه الله ٢٨٤
الرسالة الرابعة إلى أمة الإسلام ٢٨٥
أمة الإسلام لا تموت ٢٨٦
الرسالة الخامسة إلى أحرار العالم ٢٨٦
الرسالة السادسة إلى حكام العرب والمسلمين ٢٨٨
اتقوا الله في شعوبكم ٢٨٩
المعركة مفروضة عليكم ٢٩٠
الله ﷻ لن يتخلى عن المؤمنين ٢٩١
نأمل أن يكون خيرًا ولا نعول عليه ٢٩٢
نحن أمة السلام لمن سالمنا ٢٩٣

❖ **١٨ ـ فلسطين والأقصى بين الآلام والآمال ٢٩٥**

❖ الفتن التي تصيب المسلمين ٢٩٥
الفتنة أشد من القتل ٢٩٧
هوان الدين على الناس ٢٩٨
قضية العرب والمسلمين الأولى ٢٩٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عذر أقبح من ذنب ٣٠٠
التحقيق الفوري في هذه الجريمة ٣٠١
من علامات الساعة ٣٠١
ماذا حدث لقومنا؟ ٣٠٢
يتنزل النصر حين نتمسك بديننا ٣٠٣
مكانة المسجد الأقصى ٣٠٤
متى تتحرك الأمة وقادتها لنصرة المسجد الأقصى؟ ٣٠٥
المسجد الأقصى وقف إسلامي ٣٠٦
أعداد هائلة ولكنها كالغثاء ٣٠٦
جماهير الأمة ما زالت بخير ٣٠٧
الطائفة المنصورة ٣٠٧
دور الأمة في دفع قادتها على الوحدة ٣٠٩
ماذا يجب على أمة الإسلام؟ ٣١٠
فلسطين والقدس قضيَّة الأمة ٣١٢

❖ **١٩ ـ المشاركة السياسيَّة في قطر ٣١٥**

الحرية والاستقلال ٣١٦
التعاون ٣١٨
المحبة ٣١٨
الشورى ٣١٩
النصيحة ٣٢٤
الطاعة في المعروف ٣٢٥
بين الشورى والديمقراطيَّة ٣٢٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

خطوة طيبة تستحق التنويه ٣٢٧
حملة الإسلام على الاستبداد ٣٢٧
ملكة سبأ نموذج للحاكم الراشد ٣٣٠
تجربة ديمقراطيَّة جديدة في قطر ٣٣١

❖ **تفجيرات سامرَّاء حقائق ونداءات ٣٣٤**
١ ـ الاتفاق على إنكار الحادث ٣٣٦
٢ ـ الجهل بمرتكب الحادث ٣٣٧
٣ ـ دعوات للتظاهر فاقدة للحكمة ٣٣٨
٤ ـ الاعتداء على أهل السنة ٣٣٩
لن يقف الشارع السني صامتا ٣٤٢
مشاركتي في مؤتمرات التقريب ٣٤٢
نداء لعلماء الشيعة في العراق ٣٤٤
تعالوا إلى كلمة سواء ٣٤٥
موقف البرلماني الأوروبي من قضيَّة الرسومات المهينة ٣٤٨

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٥٣**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٣٧١**
- **فهرس الموضوعات ٣٧٧**

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية